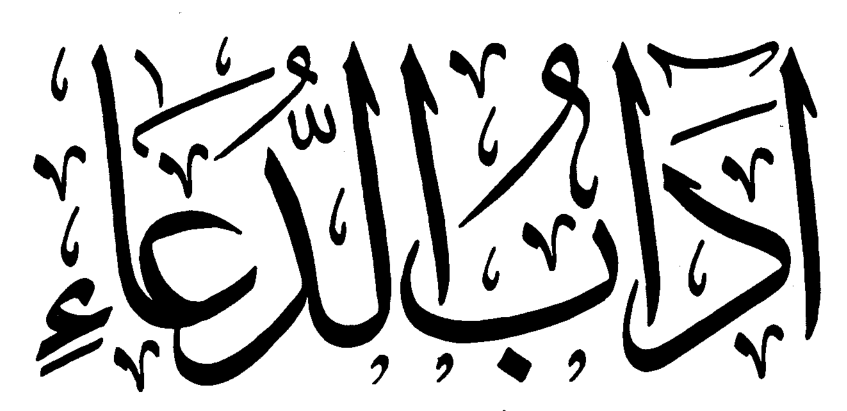


المسمّى

أدب المرتعى في علم الدعا

تأليف

الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي

(٨٤١ - ٩٠٩ هـ)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

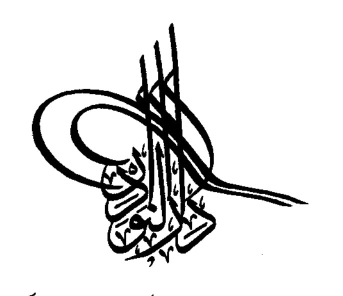
محمد خلوف العبد الله




بسم الله الرحمن الرحيم


آداب الدعاء

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع
سُورِيَّة - دِمَشْق - ص.ب ٣٤٣٠٦ - بَيرُوت - لبنان - ص.ب ٥١٨٠ / ١٤
www.daralnawader.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله الذي أمر بالدُّعاء، وجعله وسيلة الرَّجاء، فكلُّ مَنْ خَلَقَه يفزع في حاجته إليه، ويعوِّل عند الحوادث والكوارث عليه، سبحانه من لطيف، لم تخفَ عليه مُضْمَرات القلوب، فَيُفْصِحُ له عنها بنطقٍ بيانٌ، ولم تستتر دونَه مُضمَّنات الغيوب، فيعبِّر له عنها بحركةٍ لسانٌ، لٰكنَّه أنطقَ الألسنَ بذكره، لتستمرَّ علىٰ وَلَهِ العبوديَّة، وتظهرَ به شواهدُ أعلام الرُّبوبيَّة، أحمدُه حمدَ الشَّاكرين، وأسأله أن يصلِّي علىٰ نبيِّه شاهدِ الصِّدق لدين الحقِّ، دليلِ العباد إلىٰ سبيل الرَّشاد [1]، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسلمياً كثيراً.

أمـا بعـد:

فقد روىٰ الإمام أحمد في «الزُّهد»، عن مطرِّف بن عبد الله قال: تذاكرت ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله عزَّ وجلَّ، وإذا أنت لا تقدر علىٰ ما في يد الله عزَّ وجلَّ إلاَّ أن تسأله

(١) من مقدمة الإمام الخطابي في كتابه القيِّم: «شأن الدعاء» (ص: ١ ـ ٢).

فيعطيك، فإذا جماع الخير الدُّعاء [1].

والله سبحانه وتعالىٰ جعل الدعاء إليه جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، ونوراً لا يخبو، وشرع لعباده المؤمنين أن يتضرعوا إليه بسهام أدعية لا تثلم، وجعل لهم منها حصوناً حصينة لا تهدم، وضمن لهم في محكم كتابه إجابة دعائهم؛ فإمّا أن يعجّلها لهم في دنياهم، أو يدّخرها لأخراهم، فيمحّص الله عباده المؤمنين، ويبتلي منهم الصابرين، ويجتبي إليه المخلَصين؛ فحسن الظن به سبحانه ـ كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ [2]: لقاح الافتقار والاضطرار إليه، ومتىٰ اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء، فتصبح البليّة عطيّة، ويصير المكروه محبوباً، وتنقلب المحنة منحة؛ فما من عسير إلاَّ وعليه سبحانه يسير، فهو المولىٰ النصير، فنعم المولىٰ ونعم النصير.

وبين أيدينا، كتاب عظيم الشَّأن في هـٰذا الباب، رائق في معناه، لطيف في مبناه، للإمام الهُمام، والعالم القَمْقَام [3]، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، ذكر فيه فصولاً كثيرة، أربت علىٰ الأربعين، جاءت في أبهىٰ حُلَّة، مشتملة علىٰ أكثر ما يحتاجه الدَّاعون، من الآيات، والأحاديث النبوية، والآثار في الحض علىٰ الدعاء والأمر به، وأوقات الإجابة وأحوالها وأماكنها، ومن أدعية ورد بهاالشرع، وفضيلة

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (ص: ٢٤١).

(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيم (ص: ١٩٩).

(٣) **القمقام والقُماقم من الرجال**: السيد الكثير الخير، الواسع الفضل. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٩٤).

الدَّاعين والذَّاكرين، وأسباب الإجابة وموانعها.

وعرض فيه فصولاً فقهية تتعلق بدعاء المأمومين مع الإمام، ورفع اليدين، وصفة الرَّفع، وفيما يشرع لمن أكل حراماً، وفي الجهر والإسرار بالدعاء، وغير ذلك.

وطرق فصولاً عقديَّة مما يتعلق بالسؤال والاستعانة، والرَّد علىٰ من ترك الدُّعاء متعلِّلاً بالقضاء، ونحو ذلك.

ولم يخل المؤلف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ كتابه هـٰذا من نفحات وعظيَّة ـ كما هو دَأْبُه وديدنُه في أكثر مؤلفاته ـ، فذكر فيه فصولاً في استحبابَ التذلُّل والخضوع والمسكنة، وإخلاص الدُّعاء، والأخذ علىٰ يد الظَّالم والصَّبر عليه، والتَّحذير من الظُّلم، ودعاء المظلوم.

فجاء كتاباً جامعاً حاوياً نافعاً، فيه من الفوائد ما هو حقيق علىٰ أن يعضَّ عليه بالنَّواجذ، وتثنىٰ عليه الخناصر، منهضاً للمقصِّرين، مسلِّياً للحزين، محرِّضاً للمشمِّرين، فقد جمع بين دفتيه فرائد أثيرة، وفوائد كثيرة، وتهذيب كلام أئمة أعلام كبار؛ كالحافظ ابن رجب الحنبلي، فقد ظلَّ المؤلف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ يرتشف من معين كتبِهِ وكلامه في هـٰذا الباب، ويقتبس من كنوز علمه الرَّصين جواهرَ النِّكات والعيون.

وبالجملة: هو كتاب يصلح للملوك والأمراء، والأغنياء والفقراء، والعامَّة والفقهاء، ينهض بالقاعد إلىٰ المسير، ويؤنس السائر إلىٰ الطريق المنير.

فالله أسأل أن يثيب مؤلِّفه بهـٰذا السِّفر الجليل جميلَ الذِّكر في الدُّنيا، وجزيل الأجر في الآخرة. آمين.

* وصف النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق هٰذا السفر الحافل علىٰ نسخة خطية بقلم المؤلف المعروف بغرابة الشكل والتركيب، واتصال الحروف، وقلة الإعجام.

وهٰذه النسخة من محفوظات دار الكتب الظاهرية بدمشق المحروسة ضمن مجموع، تحت رقم (٣٧٧٣)، ويقع في (٤٩) ورقة، من (١ ـ ٤٩)، وقياس ورقها (٣٠×٤٢ سم)، وفي الصفحة (٢٣) سطراً تقريباً.

وقد وقع في أوله خرم قليل ـ بمقدار نصف ورقة ـ، وهو ما ابتدأ فيه مؤلفه من الاستفتاح والتقديم لكتابه.

وقد انتهىٰ المؤلف من نسخ كتابه في آخر شهر ربيع الأول سنة (٨٦٢ هـ). وأُثبت علىٰ طُرَّة النسخة الخطية ختم المدرسة العمرية ـ التي لا تزال آثارها باقية حتىٰ اليوم ـ بصالحية دمشق حيث أنهىٰ المؤلف كتابه هٰذا، كما أثبت في آخره.

* تحقيق اسم الكتاب :

جاء علىٰ ظهر النسخة الخطية بخط المؤلف قوله: «وبعد، فهٰذا كتاب يشتمل علىٰ الدعاء وسميته كتاب: «أدب المرتعىٰ في علم الدعا»».

وكذا سماه المؤلف في «فهرست كتبه» (٥/ أ) فقال: «أدب المرتعىٰ، والتمهيد، كلاهما تصنيفي».

وكذا سمَّاه غير واحد ممن ترجم لابن عبد الهادي أو ذكر مؤلفاته من

المصنفين، كالبغدادي في «هدية العارفين» (٢/ ٢٣٨)، و«إيضاح المكنون» (١/ ٥١)[1].

وقد وسمه غير واحد من المعاصرين الذين كتبوا عن الإمام ابن عبد الهادي ونشروا بعض كتبه بـ«آداب الدعاء»، أو «أدب الدعاء»، أو «الأدب في علم الدعاء»، وأغرب بعضهم فسمَّاه «المرتضىٰ في علم الدعا». وكل هٰذه الأسماء خطأ لا ريب، والصحيح ما قدمته. ولعلَّ السبب في ذكر هٰذه الأسماء: صعوبة خط الإمام ابن عبد الهادي، الذي يحتاج إلىٰ مِراس طويل، وخبرة خاصة، الأمر الذي يوقع الكثيرين من المشتغلين بكتبه بالتصحيف والتحريف الكبيرين، والتوفيق والعصمة من الله وحده.

* عملي في الكتاب:

١ ـ نسخ الأصل المخطوط، ومعارضته علىٰ المصادر التي نقل

---

(١) جاء في «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٣٢٥) تحت مادة: (رعي): راعي الماشية: حافظها، والرّعيَّة: الماشية الراعية أو المرعية، وقرأ بعضهم: «أرسله معنا غداً نرتعي ونلعب»، وهو نفتعل من الرعي، وقيل: معنىٰ يرتعي: يرعىٰ بعضنا بعضاً، انتهىٰ.
ومقصود المؤلف بالمرتعىٰ: المحفوظ المرعي، فيكون: «المرتعىٰ»: صفة لموصوف محذوف تقديره: «أدب الرجل المرتعىٰ» أي: الذي ارتعاه الله سبحانه وتعالىٰ فهيأ له شأن الدعاء. فالأدعية والتعوذات ـ كما يقول ابن القيم رحمه الله ـ بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحدِّه فقط، فمتىٰ كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعداً قوياً، والمانع مفقوداً، حصلت به النكاية في العدو، ومتىٰ تخلّف واحد من هٰذه الثلاثة تخلَّف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثمَّ مانع من الإجابة، لم يحصل التأثير.

عنها المؤلف؛ لزيادة التثبت في تحقيق الكتاب، فما وقعت عليه من خطأ أصلحته، أو نقص أكملته، وجعلته بين حاصرتين [ ].

وتصحيح الكتاب، وتحقيق متنه، من أكبر الأعمال وأشقِّها، يحتاج من الجهد والعناية إلىٰ أكثر مما يحتاج إليه التأليف، وقديماً قال الجاحظ في كتابه: «الحيوان» (١/ ٧٩): «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعنىٰ، أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص حتىٰ يردَّه إلىٰ موضعه من اتصال الكلام».

٢ ـ أضفت إلىٰ الكتاب عناوين لفصول ذكرها المؤلف دون أن يعنون لها؛ وذلك لتيسير الفائدة والمراجعة، وصنع الفهارس، وجعلتها بين حاصرتين.

٣ ـ عزو الآيات الكريمة بإثباتها في نصِّ الكتاب.

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية؛ فإن كان الحديث في الصحيحين، فإني أكتفي بالعزو إليهما دون غيرهما، وإلَّا فمن السنن الأربعة؛ بذكر رقم الحديث، والكتاب والباب اللذين ورد فيهما الحديث، فإن لم أجده في أحد الكتب الستة، فإني أعزوه إلىٰ كتب الحديث الأخرىٰ بذكر رقم الحديث، أو الجزء والصفحة. وقد أشير أحياناً إلىٰ الكلام عن الحديث صحة وضعفاً؛ بالاعتماد علىٰ كلام الحفاظ والأئمة المتقدمين.

٥ ـ تخريج الآثار والحكايات التي أوردها المؤلف في صلب كتابه هٰذا، بالرجوع إلىٰ المصدر الذي أخذ عنه المؤلف، وبنسبتها إلىٰ الكتب التي أسندتها، أو ذكرتها.

٦ ـ تخريج الأشعار التي ذكرها المؤلف، بالإحالة علىٰ الديوان إن كان للشاعر المذكور ديوان، وإلاَّ فمن كتب العربية وأمهات المصادر، دون الاستفاضة في التخريج، ثم وضعت الأوزان الشعرية بين حاصرتين.

٧ ـ ترجمت لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، دون الإطالة.

٨ ـ عرفت ببعض الكتب غير المطبوعة والتي ذكرها المؤلف في ثنايا كتابه.

٩ ـ نبَّهت علىٰ بعض الأشياء التي جانب فيها المؤلف الصواب، بالاستدراك عليه من كلام الأئمة الثقات؛ وذلك استكمالاً لفوائد الكتاب، واستيضاحاً للصواب.

١٠ ـ ضبطت الكتاب بالشكل ضبطاً شبه تام؛ لتيسير قراءته ومطالعته.

١١ ـ ذيَّلت الكتاب بفهرس تحليل تناول رؤوس الآي، وأطراف الحديث، وقوافي الأشعار، والأرجاز، والأعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب، وجعلت من ترجمت له بين حاصرتين، ثم ختمت الفهارس برؤوس الفصول وما اشتمل عليه الكتاب.

وبعد، فأحمد الله ـ عز وجل ـ علىٰ توفيقه لإخراج الكتاب علىٰ هٰذا النحو، وأثنِّي بإزجاء الشكر والعرفان لأخينا وأستاذنا الحاذق النبيه اللبيب، والأديب الأريب، الفاضل المحقق الشيخ نور الدين طالب مدير دار النوادر المباركة، الذي أتحفني بوده وحبه، وما فتئ عن تشجيعه

وحثه؛ في خدمة هٰذا العمل ونشره، فلله درُّه من ناصح أمين، أسأل الله العظيم أن يعظم قراه يوم يلقاه.

وأخيراً: أسأل المولىٰ ـ تعالىٰ ـ أن ينفع بعملي هٰذا، ويثيبني به، ضارعاً إلىٰ من ينظر من عالم فيه، أن يستر عثاري وزللي، ويسدّ بسداد فضله خللي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

محمد خلوف العبد الله

دمشق في الحادي والعشرين من رمضان سنة (١٤٢٧ هـ)

١٣ / ١٠ / ٢٠٠٦ م

■ ○ ■

ترجمة المؤلف

«نُبذة مختصرة»

*** اسمه ونسبه:**

هو الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، المنتهي نسبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فهو قرشي عمري عدوي، دمشقي صالحي، مقدسي الأصل، حنبلي المذهب.

وهو جمال الدين بن بدر الدين بن شهاب الدين.

ويعرف بابن عبد الهادي، ويلقَّب بابن المِبْرَد ـ بكسر الميم وسكون الباء الموحدة ـ، كما ضبطه الكتاني [1] وغيره، وهو لقب أبيه وجده وإخوته.

ويكنىٰ بأبي المحاسن، وبأبي عمر أيضاً.

قال تلميذه ابن طولون عن نسبه، أنشدني قائلاً [من الرَّجز]:

من يطلب التعريف عني قد هدي فاسمي يوسف وابن نجل المبرد

(١) انظر: «فهرس الفهارس» له (٢/ ١١٤١).

وأبي يعرف باسم سبط المصطفىٰ   والجد جدي قد حذاه بأحمد [١]

فهو ربيب أسرة عريقة، ضاربة جذورها، راسخة معالمها بشرف العلم والنسب والدين.

فجده الأعلىٰ محمد بن قدامة، هو أخو الشيخ أحمد بن قدامة والد الإمام موفق الدين.

وأبوه كان وافر الحظ من العلم والدين، وكان من أماثل القضاة، ذوي السيرة النزيهة الحسنة [٢].

وجده كان من مشايخ المحدثين، صاحب صفات حميدة في الدين والعفة والصلاح [٣].

*** مولده ونشأته:**

ولد الإمام ابن عبد الهادي سنة (٨٤١ هـ) في أول يوم منها، كما أخبر هو عن نفسه [٤]، في السهم الأعلىٰ بصالحية دمشق، كما ذكر تلميذه ابن طولون [٥] وغيره.

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٢٨٧)، نقلاً عن «سُكُرْدان الأخبار» لابن طولون.

(٢) انظر: ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (٣/ ٦٢)، و«القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٥٩٠).

(٣) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٢٧٢).

(٤) «زبد العلوم» للمؤلف (ورقة: ٤٦/ أ).

(٥) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٢٨٦)، نقلاً عن «سُكُرْان الأخبار» لابن طولون.

وقد نشأ في بيئة علمية مشهورة، فتربَّىٰ في كَنَف أبيه وجده، وتفقه بهما، وسمع عليهما الحديث، وحصَّل له أبوه الإجازة من ابن ناظر الصاحبة (ت: ٨٤٩ هـ)، ومن الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، وغيرهما.

وحضر دروس خلائق، وكان ملازماً للعلماء والصالحين، فحفظ «المقنع» للموفق بن قدامة علىٰ عدد منهم، وأخذ علم التصوف في سن مبكرة عن شيخه أبي العباس بن زيد (ت: ٨٧٠ هـ)، وغيره [(١)].

كما حفظ ألفية ابن مالك، وقرأ في النحو والصرف والبيان، ونظم الشعر علىٰ طريقة الفقهاء [(٢)].

ثم غلب عليه علم الحديث، فقرأ علىٰ مشايخ كثر «صحيح البخاري» و«مسند الحميدي»، و«الدارمي»، وغيرهما، حتىٰ قال الشطي: «صنف ما يزيد علىٰ أربعمئة مصنف، وغالبها في علم الحديث» [(٣)].

ثم انصرف في آخر عمره إلىٰ الطب، فألف فيه كتباً ورسائل عديدة [(٤)].

وهٰكذا صار الإمام ابن عبد الهادي آية من الآيات في التأليف في علوم عدة، فإنه ثقف علوم عصره كلها تقريباً، وألف فيها جملة من التصانيف، وهو لم يبلغ العشرين من عمره.

---

(١) «زبد العلوم» للمؤلف (ورقة: ٧٦).

(٢) انظر: «الكواكب السائرة» للغزي (١/ ٣١٦).

(٣) انظر: «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (ص: ٨٣).

(٤) انظر: «مقدمة ثمار المقاصد» للدكتور أسعد طلس (ص: ٤٨).

* **مشاهير شيوخه:**

١ - علاء الدين المرداوي أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرداوي الصالحي الحنبلي، شيخ المذهب وإمامه، وصاحب التصانيف الفائقة، مثل «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»، توفي سنة (٨٨٥ هـ).

قال ابن عبد الهادي: قرأت عليه غالب «المقنع»، وغالب «الطوفي» [١].

٢ - أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف، تقي الدين بن قندس البعلي الصالحي الحنبلي، صاحب الحاشية المشهورة علىٰ «الفروع» لابن مفلح، توفي سنة (٨٦١ هـ).

وقد تفقه به ابن عبد الهادي، وقرأ عليه «المقنع» وغيره، ثم صرف همته إلىٰ الحديث [٢].

٣ - زين الدين الحبال أبو الفرج عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن يوسف، قيل: إنه كتب القرآن أكثر من مئة مرة، توفي سنة (٨٦٦ هـ).

قال ابن عبد الهادي: قرأت عليه القرآن، وجميع «المقنع»، والبخاري ومسلم، و«أربعين ابن الجزري»، وغير ذلك [٣].

٤ - أبو حفص عمر زين الدين اللؤلؤي، المتوفىٰ سنة (٨٧٣ هـ)،

---

(١) انظر: «الجوهر المنضد» للمؤلف (ص: ١٠١).

(٢) انظر: «القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: «الجوهر المنضد» للمؤلف (ص: ٦٤).

قرأ عليه ابن عبد الهادي «ثلاثيات البخاري»، و«الزهد» للإمام أحمد، و«مسند عبد بن حميد»، وغير ذلك [(١)].

٥ ـ عمر بن إبراهيم بن محمد أبو حفص نظام الدين ابن مفلح، المتوفىٰ سنة (٨٧٢ هـ)، قرأ عليه المؤلف كثيراً، وسمع منه مالا يحصىٰ [(٢)].

كما أخذ القرآن والسنة والفقه والعربية عن جماعات كثيرة غيرهم، وأجاز له الكثير من الأخيار من مختلف البلدان؛ كالبرهان البعلي، (ت: ٨٤٢ هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، وقاسم بن قطلوبغا (ت: ٨٧٩ هـ)، وغيرهم.

وأخذ الحديث عن جماعة كبيرة من تلاميذ الحافظ ابن حجر، وابن العراقي، وابن البالسي، وابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرهم.

*** مشاهير تلامذته:**

١ ـ الإمام المؤرخ، شمس الدين بن طولون محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي الدمشقي، وقد ألف كتاباً في مناقب شيخه سماه: «الهادي في مناقب الإمام يوسف بن عبد الهادي». كما أخذ ابن طولون العلوم عن أكثر من خمسمئة عالم حضوراً ومكاتبة، وبلغت مؤلفاته أكثر من سبعمئة مؤلف، توفي سنة (٩٥٣ هـ) [(٣)].

٢ ـ أحمد بن محمد شهاب الدين المرداوي الحنبلي الصالحي

---

(١) انظر: «الجوهر المنضد» للمؤلف (ص: ١٠٥).

(٢) انظر: «الجوهر المنضد» للمؤلف (ص: ١٠٦).

(٣) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٢٩٨)، و«الكواكب السائرة» للغزي (٢/ ٥٢).

المعروف بـ«ابن الديوان»، الشيخ الإمام، أخذ علم الحديث عن ابن عبد الهادي، وتفقه عليه، وولي إمامة جامع الحنابلة نيفاً وثلاثين سنة، توفي سنة (٩٤٠ هـ) [١].

٣ - عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي أبو المفاخر الدمشقي الشافعي، المؤرخ المحدث، أخذ العلم عن ابن عبد الهادي، وأكثر عنه في كتابه المشهور: «الدارس في تاريخ المدارس»، توفي سنة (٩٢٧ هـ) [٢].

كما أخذ عنه تلامذة كثيرون؛ كابن الكيَّال، وابن عطوة، والماتاني، وشهاب الدين الشويكي، بالإضافة إلىٰ أفراد أسرته؛ كزوجته المسماة: «بلبل»، وقد سمعت منه كثيراً من مؤلفاته ومسموعاته، وأجازها بها. كما سمع منه إخوته ومنهم: أبو بكر وأحمد اللذان سمعا منه هٰذا الكتاب، كما أثبت المؤلف ذلك بخطه في آخر الكتاب.

*** ثناء العلماء عليه:**

تبوأ الإمام ابن عبد الهادي مكانة علمية رفيعة، جعلت كثيرين من العلماء والمؤرخين يذكرونه بالعلم والإمامة والمعرفة والإتقان، ومن هؤلاء:

١ - ابن طولون، حيث قال فيه: «هو الشيخ الإمام، علم الأعلام،

---

(١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٢٣٩)، و«الكواكب السائرة» للغزي (٢/ ٩٧).

(٢) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ١٥٣)، و«الكواكب السائرة» للغزي (٢/ ٢٥٠).

المحدث الرحلة، العلاَّمة الفهامة، العالم العامل، المتقن الفاضل، جمال الدين أبو المحاسن، وأبو عمر...»[1].

وقال أيضاً: «هو في غالب الفنون قد فصَّل»، ثم قال: «هو في فنه كالجبل الشَّامخ»[2].

٢ ـ ابن العماد الحنبلي، حيث قال فيه: «كان إماماً علامة، يغلب عليه علم الحديث والفقه، ويشارك في النحو والتصريف والتصوف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة»[3].

٣ ـ الكمال الغزي، حيث قال فيه: «هو الشيخ الإمام العلامة، الهمام، نخبة المحدثين، عمدة الحفاظ المسندين، بقية السلف، قدوة الخلف، كان جبلاً من جبال العلم، وفرداً من أفراد العالم، عديم النظير في التحرير والتقرير، آية عظمىٰ، وحجة من حجج الإسلام كبرىٰ، بحر لا يلحق له قرار، وبر لا يشق له غبار، أعجوبة عصره في الفنون، ونادرة دهره الذي لم تسمح بمثله السنون»[4].

٤ ـ الشطي، حيث قال فيه: «أجمعت الأمة علىٰ تقدمه وإمامته، وأطبقت الأئمة علىٰ فضله وجلالته»[5].

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٤٨٦)، نقلاً عن «سكردان الأخبار» لابن طولون.

(٢) «فهرست المرويات» لابن طولون، ورقة (٦٣/ ب)، مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٤٣).

(٤) انظر: «النعت الأكمل» للكمال الغزي (ص: ٦٨).

(٥) انظر: «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (ص: ٧٤).

٥ ـ الكتاني، حيث قال فيه: «هو الحافظ جمال الدين، من أعيان محدثي القرن العاشر، والمشهورين بكثرة التصنيف، وسعة الرواية»[(١)].

* تصانيفه:

أقبل الإمام ابن عبد الهادي علىٰ التأليف في سن مبكرة، فقد كان في سن العشرين حينما ألف كتابه الذي بين أيدينا، وغيره من الكتب، وعُمِّر نحواً من سبعين سنة قضاها في العلم والتعليم، والتأليف والكتابة، حتىٰ بلغت أسماء مؤلفاته مجلداً، كما ذكر ابن طولون، حتىٰ إن أصابعه قد اسودَّت من كثرة ما كتب، حتىٰ قال في ذلك [من الطويل]:

لقد سوَّد الحبرُ الأصابعَ من يدي ... لكثـرة مـا أعتـادُه بـالكتـابـةِ
وقد صحَّ في الأخبار أن مدادَنا ... يوازِنُ يومَ الحشر دمَ الشهادةِ[(٢)]

---

(١) انظر: «فهرس الفهارس» للكتاني (٢/ ١١٤١).

(٢) «العقد الغالي في النظم العالي» لابن طولون، ورقة (١٠٧/ أ).

قلت: ولا أدلّ علىٰ كثرة مؤلفاته من كتابه «فهرست الكتب»، المخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق، تحت رقم (٣١٩٠)، فقد ذكر فيه أكثر من أربعمئة كتاب له، علىٰ أنه لا يحوي جميع مؤلفاته؛ وذلك لأنه ناقص من الآخر، كما أنه كتب قبل نهاية القرن التاسع، وقد كانت وفاته بعد ذلك بأزيد من عشر سنين. وقد قام الأستاذ صلاح محمد الخيمي مدير دائرة المخطوطات في دار الكتب الظاهرية بدمشق بنشر هٰذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت في رمضان، سنة (١٤٠٢ هـ)، المجلد (٢٦)، الجزء الثاني، (٧٧٥ ـ ٨١١)، ثم ذكر الكتب والرسائل التي تملكها دار الكتب الظاهرية، ثم أتبع ذلك بالكتب التي ذكرها بروكلمان، في «الأدب العربي». علىٰ أني وقفت علىٰ جملة من التصحيفات في أسماء الكتب التي ذكرها من «الفهرست»، والعصمة لله وحده. =

وقد طبع من مؤلفاته ما يقارب الخمسين كتاباً، وبقي عشرة أضعاف هٰذا المطبوع في عالم المخطوطات لابن عبد الهادي لم ير النور بعد.

وأعرض في هٰذه العجالة أهم مؤلفاته المخطوطة في الحديث والفقه والوعظ، وغيرها.

ومقتضىٰ النصيحة: أن يبتدأ بتقديم بعث هٰذه المخطوطات التي سأذكرها من مرقدها، وإخراجها إلىٰ النور قبل غيرها لمن أراد أن ينشر من مؤلفات هٰذا الإمام شيئاً؛ ذلك لما احتوت عليه هٰذه الكتب من درر فريدة، وفوائد أثيرة:

= وقد قام قبله الأستاذ الدكتور محمد أسعد طلس بجهد مشهود في التعريف بابن عبد الهادي، وآثاره المخطوطة من خلال تحقيقه البديع لكتاب: «ثمار المقاصد» للمؤلف، ويُعدُّ من أحسن من كتب عن ابن عبد الهادي وعرف بمؤلفاته، وقد عكف كل من أتىٰ بعده علىٰ الاقتباس منه، والإفادة مما كتب.
كما أعدَّ الدكتور محمد عثمان شبير أطروحته في الدكتوراه: «الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي»، وأثره في الفقه الإسلامي، المقدَّمة إلىٰ الأزهر الشريف سنة (١٤٠٠ هـ)، وأتىٰ فيها علىٰ التعريف بعشرات المخطوطات التي طالعها بنفسه، مبيناً منهج المؤلف، وطريقته، خاصة ما يتعلق منها بالجانب الفقهي.
وجمع الدكتور ناصر بن سعود السَّلامة ـ وهو أحد المقتنين لعدد كبير من مخطوطات ابن عبد الهادي المصوَّرة ـ دراسة طيِّبة لمؤلفاته سماه: «معجم مؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي المخطوطة بمكتبات العالم»؛ حيث قام بذكر أماكن وجود مخطوطاته، وأرقامها في المكتبات العامة، وعدد أوراقها، ومصوراتها.
وأخيراً: قام الدكتور صفوت بن عبد الهادي بجهد كبير في التعريف بابن عبد الهادي، ومؤلفاته المخطوطة، من خلال أطروحته في الماجستير، فقدم عرضاً طيِّباً، وجمعاً قيِّماً. فجزىٰ الله الجميع خير الجزاء والعطاء، علىٰ ما بذلوه من إيضاح وبيان.

١ ـ «هداية الإنسان إلىٰ الاستغناء بالقرآن»، ظاهرية، تحت رقم (٣٤٥)، ويقع في (٢٩٧) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٧٨ هـ).

٢ ـ «البيان لبديع خلق الإنسان»، ظاهرية، تحت رقم (٣١٩٦)، ويقع في (١٣٠) ورقة.

٣ ـ «معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام»، ظاهرية، تحت رقم (١٤٦٣)، ويقع في (٧٤) ورقة.

٤ ـ «تهذيب النفس للعلم وبالعلم»، ظاهرية، تحت رقم (٣٢١٦)، ويقع في (١٦) ورقة.

٥ ـ «طب الفقراء والجمع لهم بين الأسرار الإلـٰهية والأدوية الطبية»، ظاهرية، تحت رقم (٣١٥٥)، ويقع في (٢٠١) ورقة.

٦ ـ «الإرشاد إلىٰ حكم موت الأولاد»، ظاهرية، تحت رقم (٣٢١٤)، ويقع في (٥٠٠) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٩٧ هـ).

٧ ـ «إرشاد الحائر إلىٰ علم الكبائر»، ظاهرية، تحت رقم (٧٤٠٣)، ويقع في (١٢) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٨٥ هـ).

٨ ـ «قرة العين فيما حصل من الاتفاق والاختلاف بين المذهبين»، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، صورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة شستربتي بإيرلندا، تحت رقم (٣٥٠٤/ ١ف) بخط المؤلف، ووصل فيه إلىٰ آخر كتاب المناسك تقريباً، ولم يتمه، ويقع في (٥٠) ورقة.

٩ ـ «الرد علىٰ من شدَّد وعسَّر في جواز الأضحية بما تيسر»، مكتبة

الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، صورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة برلين، برقم (١٠٥٢/ ف٨)، ويقع في (٨) ورقات.

١٠ ـ «زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم»، ظاهرية، تحت رقم (٣١٩٢)، ويقع في (١٦٨) ورقة.

١١ ـ «التوعد بالرجم والسياط لفاعل اللواط»، ظاهرية، تحت رقم (٣٢١٥)، ويقع في (٩٦) ورقة.

١٢ ـ «الميرة في حل مشكل السيرة»، ظاهرية، تحت رقم (١٩٠٤)، ويقع في (١٧٢) ورقة، وفرغ منه سنة (٩٠٥ هـ).

١٣ ـ «ضبط من غبر فيمن قيده ابن حجر»، ظاهرية، تحت رقم (١١٨٢)، ويقع في (٩١) ورقة، وتضمن ضبط أسماء الرجال الذين ذكرهم ابن حجر في «تقريب التهذيب».

١٤ ـ «التخريخ الصغير والتحبير الكبير»، ظاهرية، تحت رقم (١٠٣٢)، ويقع في (٥٢) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٨٣ هـ)، وجمع فيه الأحاديث المشهورة بين الناس والغرائب القليلة الوقوع في الكتب المشهورة مما ليس في الصحيحين.

١٥ ـ «الإرشاد إلىٰ اتصال بانت سعاد بزكي الإسناد»، ظاهرية، ضمن مجموع تحت رقم (٣٧٩٤)، ويقع في (٧) ورقات (٦١ ـ ٦٧).

١٦ ـ «إرشاد السالك إلىٰ مناقب مالك»، ظاهرية، تحت رقم (٣٤٦١)، ويقع في (٤٥٢) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٨٧ هـ).

١٧ ـ «الدر النفيس في أصحاب محمد بن إدريس»، ظاهرية،

تحت رقم (٤٥٥١)، ويقع في (١١٩) ورقة، وفرغ منه سنة (٨٨٨ هـ)، وهو مخروم الأول.

* وفاته:

اتفق المؤرخون علىٰ أن الإمام ابن عبد الهادي توفي بصالحية دمشق، يوم الإثنين، سادس عشر المحرم، من سنة تسع وتسعمئة، وصُلِّي عليه بجامع الحنابلة، وودعته دمشق في جنازة حافلة، ودفن بسفح جبل قاسيون.

تغمده الله بواسع المغفرة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، آمين.

■ ○ ■



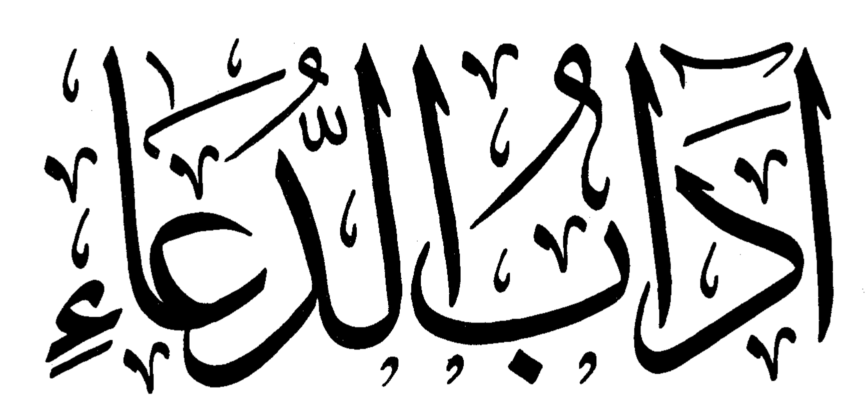

صور المخطوطات






الصفحة الأولىٰ (ب) من المخطوط

الصفحة الأخيرة (أ) من المخطوط



آداب الدعاء

المُسمّى

أدبُ المُرتَعَى في عِلمِ الدُّعا

تأليف

الإمامِ يُوسُفَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ الهادِيِّ المقدِسيِّ الحَنْبَليِّ
(٨٤١ ـ ٩٠٩ هـ)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه
محمّد خلوف العبدالله

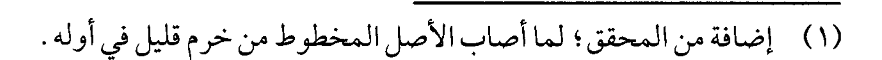


[المقدمة]

[الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خاتم النَّبيين، وإمامِ المرسلين، سيدِنا محمَّد، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ أنبياء الله أجمعين] (١)، وعلىٰ آل كُلٍّ، وسائرِ الصَّالحين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، ورضي الله عن الإمامِ المُبجَّل، والحَبْرِ المفضَّل، الإمامِ الربَّانيِّ، والصِّدِّيق الثاني، الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ الشَّيْبانيِّ، وعنْ مُوضِحِ المسالك، الإمامِ النَّاسك أبو عبدِ الله مالكٍ، وعن الإمام الرَّافعيِّ أبي عبدِ الله مُحمَّدٍ بنِ إدريسٍ الشافعيِّ، وعن مُوْضِح البيانِ، ومُظْهِرِ التِّبيان أبي حنفيةَ النُّعمانِ، ورضي الله عن جميعِ التَّابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

وبعـــد:

فهٰذا كتاب مشتمل علىٰ الدُّعاء، وسمَّيتُه كتاب: «أدبُ المُـرْتَعَـىٰ في علمِ الدُّعا»، واللهَ أسألُ أن يجعلَه خالصاً لوجهِهِ الكريمِ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلُ.



(١) إضافة من المحقق؛ لما أصاب الأصل المخطوط من خرم قليل في أوله.

فصـــل

[فيما وَرَدَ من الدُّعاءِ في كِتَابِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ]

وقد ورد الدُّعاءُ في كتابِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في أماكنَ، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦].

قال البَغَويُّ: قال ابنُ عبَّاسٍ: سببُ نزولِها أنَّ اليهودَ قالوا: كيفَ يسمعُ دعاءَنا ربُّنا، وأنتَ تزعمُ أنَّ بيننا وبين السَّماءِ مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ، وأنَّ غِلَظَ كلِّ سماءٍ مثلُ ذلك؟! فأنزلَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هـٰذه الآية [١].

وقيـــلَ: إنَّ سببَ نزولها أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: أقريبٌ ربُّنا فنناجيه، أم بعيدٌ فنناديه؟! فنزلتْ [٢].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ١٥٥)، و«الجامع في أحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٣٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٢/ ٥٣٥)، وأبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (ص: ٣١)، وغيرهم من طريق عبدة بن أبي برزة السجستاني، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، عن أبيه، =

وقيـلَ: إنَّه لمَّا نزل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] قالوا: أيَّ ساعةٍ؟! فنزلتْ [(١)].

وقيـلَ: إنَّ قوماً سألوا النَّبيَّ ﷺ، فقالوا له: أينَ اللهُ؟ فنزلتْ هٰذه الآيةُ [(٢)].

وقيـلَ: إنَّه كانَ فُرِضَ علىٰ المسلمين في أوَّل الصَّومِ أنَّ مَنْ صلَّىٰ العشاء أو نام حَرُمَ عليه الطَّعام والشَّرابُ والجماعُ، فدنا عمرُ من زوجته، ونامَ رجلٌ قبل أن يأكلَ فأصبحَ مجهوداً، [واعترف] رجال من المسلمين بما [كانوا] يصنعون، فقالوا: فأتوا نبينا، فما علينا؟ فنزلتْ [(٣)].

= عن جده. وإسناده ضعيف؛ لجهالة الصلت بن حكيم؛ كما ذكر الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣/ ١٩٥). وانظر: «أطراف الغرائب والأفراد» للدارقطني (٤/ ٣٥٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٦٩).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٨)، والطبراني في «الدعاء» (١٠)، (١١)، عن عطاء بن أبي رباح.
ورواه الطبراني ـ أيضاً ـ في «الدعاء» (١٢)، عن عبيد بن عمير.
ونسبه القرطبي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٨) إلىٰ قتادة.

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» (١/ ٧٣)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٨)، عن الحسن، مرسلاً.
ورواه ابن مردويه في «تفسيره» (١/ ٤٦٩ ـ الدر المنثور)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) روىٰ البخاري في «صحيحه» (١٨١٦)، كتاب: الصوم، باب: قول الله ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧]، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتىٰ يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري=

وقولــه: ﴿قَرِيبٌ﴾؛ أي: قريبٌ من سماع الدُّعاء، وقيل: قريبٌ من الإجابة.

وقولــه: ﴿أُجِيبُ﴾ فيه قولان:

أحدُهمـا: أنَّه بمعنىٰ أسمعُ.

والثانــي: أنَّه مِنَ الإجابة.

وقال الزَّجَّاجُ في هٰذه الآية: والدُّعاءُ علىٰ ثلاثة أَضْرُبٍ؛ فضربٌ توحيدٌ وثناءٌ علىٰ الله؛ كقوله: لا إلٰه إلَّا [الله]، ولا إلٰه إلَّا أنتَ، ونحوِهِ، وضرْبٌ منها: أن يسألَ اللهَ العفوَ والمغفرةَ والرَّحمةَ، وما يُقَرِّبُ

= كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولٰكن أنطلق فأطلبُ لك ـ وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ـ، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبةً لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هٰذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾.

وروىٰ أبو داود في «سننه» (٥٠٦)، كتاب: الصلاة، باب: كيف الأذان، عن ابن أبي ليلىٰ مرسلاً، قال: كان الرجل إذا أفطر فنام قبل أن يأكل، لم يأكل حتىٰ يصبح، قال: فجاء عمر بن الخطاب فأراد امرأته، فقالت: إني قد نمت، فظن أنها تعتلُّ، فأتاها، فجاء رجل من الأنصار فأراد الطعام، فقالوا: حتىٰ نسخن لك شيئاً، فنام، فلما أصبحوا أنزلت علىٰ النبي ﷺ هٰذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾.

وانظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٢١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٧٥).

قلت: وقد ظهر لك من هٰذا أن ما ساقه المؤلف من سبب النزول إنما هو في قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، وليس في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] المراد بيانُه لدىٰ المؤلف ـ رحمه الله ـ.

منه؛ كقوله: ﴿ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾[آل عمران: ١٤٧]، وضربٌ: مسألةُ الحَظِّ من الدُّنيا؛ كقوله: ارزقْني مالاً، وَوَلَداً، وما أشبه هٰذا [١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[الأنبياء: ١١٠]؛ معناه: إذا اشتدَّتِ الأصواتُ وتعالتْ؛ فإنَّه يسمَعُ كلَّ شخصٍ بعينِهِ، ولا يشغَلُه سَمْعٌ عن سَمْعٍ.

وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾[الأعراف: ٥٥].

قال الزَّجَّاجُ: تَضَرُّعاً: تَمَلُّقاً، وحقيقتُه ـ والله أعلم ـ: أن يدعوه خاضعين مُتَعَبِّدِيْنَ، وخُفْيَةً؛ أي: اعتقدوا عبادته في أنفسِكُمْ؛ لأنَّ الدُّعاء معناه العبادةُ [٢].

وقال تعالىٰ مادحاً المتذلِّلين في الدُّعاء والانكسار: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، فمَدَحَهم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بدعائهم له رَغَباً راغبين فيه، ورهباً خشوعهم في الدعاء.

وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾[الأعراف: ٥٦].

قال الزَّجَّاجُ: أيْ: ادعوُه خائفين عذابَه، وطامعين في رحمتِهِ [٣].

ويُروىٰ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لَنْ يَدْخُلَ أحدٌ الجنَّةَ بعمَلِهِ**» قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ ؟! قال: «**ولا أنا، إنْ لَمْ يتغمَّدْني اللهُ برحمتِهِ**» [٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢/ ٣٤٤).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) رواه البخاري (٥٣٤٩)، كتاب: المرضىٰ، باب: نهي تمني المريض الموت، =

قـــال تعـــالـــىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ٢]، والصلاةُ قَدْ صَرَّح اللهُ في كتابه أنَّها الدُّعاءُ في قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ١٠٣]؛ أي: ادع لهم.

وقيـــل: الخشوعُ في أفضل العبادات، وهي الصلاةُ.

وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، هٰذه من أعظم الدعاء.

قال ابن عبّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ، قال رسولُ الله ﷺ: «دعا أخي يونسُ في الظُّلماتِ بهٰذه الدَّعوةِ؛ فأنجاه اللهُ تعالىٰ، فلا يدعو بها مؤمن مكـروب إلاَّ كشـف الله ـ عَـزَّ وَجَـلَّ ـ ذلـك عنـه، إنهـا عِـدَةٌ مِـنَ اللهِ لا نكذبها»[١].

وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[المجادلة: ١].

قال الزَّجَّاجُ: سببُ نزولها أنَّ أمَّ كُـلْثُـومٍ قال لها زوجُها: أنتِ عليَّ

= ومسلم (٢٨١٦)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالىٰ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٢)، والنسائي في «السنن الكبـرىٰ» (١٠٤٩٢)، والإمـام أحمـد فـي «المسنـد» (١/ ١٧٠)، والحـاكـم فـي «المستدرك» (١٨٦٢)، وصححه وأقره الذهبي، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٣٣)، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إلـه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شي قط إلا استجاب الله له».

كظَهْرِ أمِّي، وكانتْ هـٰذه الكلمةُ مما يُطَلِّقُ بها أهلُ الجاهليَّةِ، فصارتْ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقالت: إن أَوْسَاً تزوَّجني وأنا شابَّـةٌ مرغوبٌ فيَّ، فلمَّا خلا سنِّي، ونَثَـرْتُ بطني، جعلني عليه كأمِّه، فرُوِيَ أنَّ النَّبي ﷺ قال لها: «**ما عِنْدي في أمرِكِ شيءٌ**»، فشكتْ إلىٰ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وقالت: اللهمَّ إني أشكو إليك [(١)].

ورُوِيَ ـ أيضاً ـ أنَّها قالت للنَّبي ﷺ: إنَّ لي صِبْيَةً صغاراً، إنْ ضَمَمْتُهم إليه ضاعُوا، وإن ضَمَمْتُهُمْ إليَّ جاعوا؛ فأنزلَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هـٰذه الآيات [(٢)].

وقولُه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

قال الرَّازِيُّ: هـٰذا يدُلُّ علىٰ أنَّ الإنسانَ لا يدعو اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلَّا بالأسماء الحسنىٰ، نحو: يا اللهُ، يا رحمـٰنُ، يا منَّانُ، يا رحيمُ، يا ودودُ، يا خالقُ، يا بارئُ، ولا يقول: يا صانعُ، ولا يا معلِّمُ، ولا نحو ذلك مما يشاركه فيه غيرُه مجازاً [(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٦٣)، كتاب: الطلاق، باب: الظهار، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٣٨٢)، وغيرهم، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ نحوه.
وقد ذكره البخاري في «صحيحه» (٦/ ٢٦٨٩) معلقاً بصيغة الجزم، مختصراً.
وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ١٣٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ١٣٣)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٤/ ٣٠٤).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٨/ ٧٤).

وقولُه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

سُئِلَ أبو الحسن القنَّاد [١] عنها، فقال: ادعوني بلا غَفْلَةٍ، أستجبْ لكم بلا مُهْلَةٍ، ادعوني بالتوبة، أستجبْ لكم بالمغفرَةِ، ادعوني بالتذلُّلِ، أستجبْ لكم بالتفضُّلِ، ادعوني بالإقبالِ، أُقْبِلْ عليكم بالإجابةِ، ادعوني دعوةَ العبيدِ، أستجبْ لكم بالمزيدِ، ادعوني في السَّـرَّاءِ والضَّـرَّاء، أَصْرِفْ عنكمْ جميعَ البَلاءِ [٢].

وقال تعالىٰ ـ وهو أعظمُ ما ورد في الدُّعاء والإجابة ـ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨]، هٰذا الدُّعاءُ من زكريَّا لمَّا دعا به، استجاب له، فقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[آل عمران: ٣٩]، فهٰذا أعظم شيء ورد في الإجابة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[الأنعام: ٥٢].

---

(١) هو علي بن عبد الرحيم الواسطي، من مشايخ الصوفية المشهورين، كان أحد عصره علماً وأدباً، وتحريراً وعبارة، روىٰ عن الحسين بن منصور الحلاَّج شيئاً من كلامه، وروىٰ عنه عبد الله بن أحمد الفارسي، وأحمد بن أبي حاتم القزويني، وغيرهما. والقنَّاد ـ بفتح القاف والنون فدال مهملة في آخرها ـ نسبة إلىٰ من يبيع القند، وهو السكر. انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٥٤٥)، و«التدوين في أخبار قزوين» للرافعي القزويني (٣/ ٣٦٧).

(٢) وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٣١)، عن الشبلي: أنه سئل عن قول الله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾[غافر: ٦٠] قال: ادعوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة.

روىٰ مسلم في «صحيحه»، من حديثِ سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، قال: نزلَتْ فيَّ، وفي ابنِ مسعودٍ، وصهيبٍ، وعمَّارٍ، والمقدادِ، وبلالٍ، قالتْ قريشٌ لرسولِ الله ﷺ: إنَّا لا نرضىٰ أن نكونَ أتْباعاً لهؤلاءِ، فاطرُدْهُم عنك، فدخلَ من ذلك علىٰ رسول الله ﷺ ما شاء الله، فنزلتْ هٰذه الآية [1]. والمراد بهما: الدُّعاء.

وقيـــل: الصَّلاةُ المكتوبةُ، قاله عمر، وابن عباس.

وقيـــل: ذكرُ اللهِ، قاله النَّخَعِيُّ.

وقيـــل: عبادةُ اللهِ، قاله الضَّحَّاكُ.

وقيـــل: تَعَلُّمُ القرآنِ غُدْوَةً وعشيَّةً، قاله أبو جَعْفَرٍ.

وقيـــل: الدُّعاءُ بالتوحيدِ والإخلاصِ وعبادتُه، قاله الزَّجَّاجُ [2].

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)، كتاب: فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ، وابن ماجه (٤١٢٨)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، وهٰذا لفظ ابن ماجه.

(٢) انظر هٰذه الأقوال في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٠٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٢٨١).

قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالىٰ نهىٰ نبيه محمداً أن يطرد قوماً كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، والدعاء لله يكون بذكره، وتمجيده، والثناء عليه قولاً وكلاماً، وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هٰذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك؛ بأنهم يدعونه بالغداة والعشي؛ لأن الله قد سمَّىٰ العبادة دعاء، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وأمرَ الله في كتابه بالدُّعاءِ للغيرِ، فقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[التوبة:١٠٣]، فأمره بالدعاءِ لقومِهِ، ويونسُ لمَّا دعا علىٰ قومهِ عاقَبَهُ علىٰ ذلك.





فصـــل

[فيما وَرَدَ من الدُّعاءِ في السُّنَّةِ الشَّريفَةِ]

والوارد من ذلك في السُّنَّة كثيرٌ لا يُحْصَىٰ، ونذكر نُبْذَةً منه:

فرُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خيرُ الدُّعاءِ [دعاءُ يومِ عرفة] [1]، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّونَ مِنْ قبلي: لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ» [2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ليس شيءٌ

---

(١) سقط في الأصل المخطوط، والاستدراك من المراجع المشار إليها في التخريج.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، وقال: غريب، حماد بن أبي حميد ليس بالقوي عند أهل الحديث، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٠)، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف.

ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢١٤)، ومن طريقه عبد الرزاق في «المصنف» (٨١٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٢٨٤)، من حديث طلحة بن عبد الله بن كَريز ـ بفتح الكاف ـ، مرسلاً. وقد روي عن الإمام مالك موصولاً، كما ذكر البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ١١٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣٩)، وضعَّفاه. وانظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

أكرمَ علىٰ اللهِ من الدُّعاءِ»[1].

وعن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ، قال: كنتُ خلفَ النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يا غلامُ! إني أعلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظْكَ، [احفظِ][2] اللهَ تجِدْه تُجَاهَك، إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعوا علىٰ أنْ ينفعوكَ بشيءٍ، [لم][3] ينفعوك إلَّا بشيءٍ كَتَبَهُ لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضرُّوك بشيء، لم يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ»[4].

قال ابن رجبٍ في «شرح النَّواويَّة»[5] في قوله: «إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعنْ باللهِ».

قال: هٰذا مأخوذٌ من قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٨٢٩)، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠١).

(٢) سقط في الأصل المخطوط.

(٣) في الأصل المخطوط: «ما».

(٤) رواه الترمذي (٢٥١٦)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٥٩)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٩٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٦٣٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٥٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٦٣٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٥).

(٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» له (ص: ١٩١).

نَسۡتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥]؛ فإنَّ السؤال للهِ هو دعاؤه، والرَّغْبَةُ إليه، والدُّعاءُ: هو العبادةُ.

وعن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «الدُّعاء مُخُّ العبادةِ»[1].

وقد أمرَ اللهُ بمسألَتِهِ: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[النساء: ٣٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «مَنْ لا يَسْأَلِ اللهَ يغضبْ عليه»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء، وقال: حديث غريب من هٰذا الوجه لا نعرفه إلَّا من حديث ابن لهيعة، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣١٩٦)، وفي «الدعاء» (٨)، وإسناده ضعيف كما أشار إليه الترمذي.
وقد روىٰ أبو داود (١٤٧٩)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، والترمذي (٢٩٦٩)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البقرة، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠٢)، وغيرهم بإسناد صحيح، عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة».
قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٣٠٥): مخ الشيء: خالصه، وإنما كان مخها لأمرين:
أحدهما: أنه امتثال أمر الله تعالىٰ؛ حيث قال: «ادعوني أستجب لكم» فهو محض العبادة وخالصها.
الثاني: أنه إذا رأىٰ نجاح الأمور من الله قطع أمله عمَّا سواه، ودعاه لحاجته وحده، وهٰذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، =

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنَّ بني فلانٍ أغاروا عليَّ، فذهبوا بابْني وإبِلِي، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ آل محمَّدٍ كذا وكذا أهلُ بيتٍ ما لهمْ مُدٌّ مِنْ طعامٍ، أو صاعٌ، فاسألِ اللهَ»، فرجعَ إلىٰ امرأتِهِ، فقالتْ له: ما قالَ لك؟ فأخبرَها، فقالتْ: نِعْم ما ردَّ عليك، فما لبثَ أنْ ردَّ اللهُ عليه إبلَه وابنَه أوفرَ ما كانت، فأتىٰ النَّبيَّ ﷺ فأخبرَه، فَصَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وأمرَ النَّاسَ بمسألَةِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ [1].

وفي «الصَّحيحين» عن النَّبيِّ ﷺ: إن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يقولُ: «هلْ مِنْ داعٍ فأستجيبَ له؟ هَلْ من سائلٍ فأُعْطِيَهُ سؤالهُ؟ هلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأغفرَ له؟» [2].

= كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٦٦٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٣١)، وفي «الدعاء» (٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٩)، كلهم من رواية أبي صالح الخُوزي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وهٰذا الخوزي مختلف فيه، ضعفه ابن معين، وقوّاه أبو زرعة.

قال الطيبي: معنىٰ الحديث: أن من لم يسأل الله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه، والله يحب أن يسأل. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٩٥).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٠٩٤)، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء، والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

وعن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ: «قال الله تعالىٰ: مَنْ ذا الذي دعاني فلَمْ أُجِبْهُ ؟ وسأَلَنِي فلمْ أُعْطِهِ ؟، واستغفَرَنِي فَلَمْ أَغْفِرْ له ؟ وأنا أرحمُ الرَّاحمين» [(١)].

قال ابن رجبٍ في «شرح النَّواويَّة»: واللهُ يُحِبُّ أنْ يُسْأَل وَيُرْغَبَ إليه في الحوائجِ، ويُلَحَّ في سؤالهِ ودعائِهِ، ويَغْضَبُ مِمَّنْ لا يسألُه، ويستدعي من عبادِهِ سؤالَه [(٢)].

وعن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، فيما يروي عن ربِّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أنَّه قال: «يا عبادي ! إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علىٰ نفسي، وجعلتُه بينكم مُحَرَّماً، فلا تظالَمُوا، [يا عبادي ! كلُّكم ضالٌّ إلاَّ مَنْ هديتُه، فاسْتَهْدُوني أَهْدِكم] [(٣)]، يا عبادي ! كلُّكم جائعٌ إلا مَنْ أطعمتُه، فاستطعموني أُطْعِمْكُمْ، يا عبادي ! كلُّكم عَارٍ إلا من كَسَوْتُه، فاسْتَكْسُوني أَكْسُكُمْ، يا عبادي ! إنَّكم تُخْطِئون بالليلِ والنَّهارِ، وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفروني أَغْفِرْ لكم، يا عبادي ! إنَّكم لم تبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولم تبلغوا نَفْعي فَتَنْفَعُوني، يا عبادي ! لو أنَّ أَوَّلَكُم وآخرَكُم، وإنسَكُم وجنَّكُم، كانوا علىٰ أتقىٰ قلبِ رجلٍ منكُمْ، ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً، يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، كانوا علىٰ

(١) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/١٩٦)، ونسبه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٩٢)، إلىٰ المحاملي، كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» له (ص: ١٩٢).

(٣) سقط في الأصل المخطوط، والاستدراك من «صحيح مسلم».

أَفْجَرِ قلبِ رجلٍ منكمْ ما نَقَصَ ذلك من مُلْكي شيئاً، يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صَعِيْدٍ واحدٍ، فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألَتَهُ ما نَقَصَ ذلك ممَّا عندي شيئاً، إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ، يا عبادي ! إنَّما هي أعمالُكم أُحْصِيْها لكمْ، ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إيَّاها، فمنْ وَجَدَ خيراً فليحْمَدِ اللهَ، ومنْ وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلَّا نفسَه»[1].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ، قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «قال الله تعالىٰ: ابنَ آدمَ ! إنَّك ما دعوتَني ورجوتَني غفرْتُ لكَ علىٰ ما كانَ منْكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ ! لو بَلَغَتْ ذنوبُك عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ استغفرْتني غفرْتُ لك، يا ابنَ آدمَ ! لو أتيتَني بقُرَابِ الأرضِ خَطايا، ثُمَّ لقيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئاً، لأتيتُكَ بقُرابِها مغفرةً»[2].

وفي الطَّبراني مرفوعاً: «مَنْ أُعْطِيَ الدُّعاءَ أعطِيَ الإجابةَ؛ لأنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله لعباده، وقال: حديث غريب، وفي بعض النسخ: حسن، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤/ ٣٩٩). وفي الباب: عن أبي ذر، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٠٢٣)، وفي «المعجم الصغير» (١٠٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٢٩)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. وإسناده ضعيف؛ لضعف محمود بن العباس؛ كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٦/ ٣٨٢)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ١٤٩).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ [و] ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ هٰذه القلوبَ أوعيةٌ، فبعضُها أوعىٰ من بعض، فإذا سألتُمُ اللهَ، فاسألوه وأنتم مُوْقِنُونَ بالإجابةِ؛ فإنَّ اللهَ لا يستجيبُ لعبْدٍ دعاه مِنْ ظَهْرِ قلبٍ غافلٍ» (١).

قال ابنُ رجبٍ في «شرح النَّواويَّة»: ولهٰذا نُهِيَ أنْ يقولَ العبدُ في دعائه: اللهمَّ اغفرْ لي إنْ شِئْتَ، ولٰكنْ لِيَعْزِمِ المسأَلَةَ؛ فإنَّه لا مُكْرِهَ له، ونُهِيَ أن يستعجِلَ ويَتْرُكَ الدُّعاءَ لاستبطاءِ الإجابةِ، وجعلَ ذلكَ من موانعِ الإجابةِ؛ حتَّىٰ لا يَقْطَعَ العبدُ رجاءَه من الإجابةِ والدُّعاء، ولو طَالَتِ المُدَّةُ؛ فإنَّه سبحانَه يُحِبُّ المُلِحِّين في الدُّعاءِ.

وجاء في الأثرِ: إنَّ العبدَ إذا دعا ربَّه وهو يُحِبُّه، قال: يا جبريلُ! لا تُعَجِّلْ بقضاءِ حاجةِ عبدي؛ فإنِّي أُحِبُّ أن أَسْمَعَ صوتَه (٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) بإسنادٍ حسن. انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٢٢)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ١٤٨). وفي الباب: من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٩٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٠١)، من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف؛ لضعف عفير بن معدان، كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٥/ ١٠٥)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (٢/ ٢٩١). وفي الباب: عن جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

فما دامَ العبدُ يُلِحُّ في الدُّعاء، وَيَطْمَعُ في الإجابةِ من غَيْرِ قَطْعِ الرَّجاءِ، فهو قريبٌ من الإجابةِ، ومَنْ أدمنَ قَرْعَ البابِ يُوْشَكُ أَنْ يُفْتَحَ له [1].

وفي «صحيح الحاكم»، عن أنسٍ مرفوعاً: «لا تعَجُزوا عنِ الدُّعاءِ؛ فإنَّه لا يَهْلِكُ مع الدُّعاءِ أحدٌ» [2].

وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ، [قال]: قال رسولُ الله ﷺ: «يُستَجابُ لأحدِكُمْ ما لم يُعَجِّلْ، يقول: قَدْ دَعَوْتُ ربِّي فلمْ يستَجِبْ لي» [3].

وعنه ـ أيضاً ـ، قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولُ أحدُكُمْ: اللهمَّ اغفرْ لي إنْ شِئْتَ، ولٰكنْ ليعزِمْ [و] [4] ليعظِّمِ الرغبةَ؛ فإنَّ اللهَ لا يتعاظَمُه شيءٌ أعطاه» [5].

وعنه ـ أيضاً ـ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدُكُمْ: اللهمَّ

---

(1) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٩٢).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٠٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٣٥٣)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٥/ ١٣٦). وإسناده ضعيف جداً.

(3) رواه البخاري (٥٩٨١)، كتاب: الدعوات، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل، ومسلم (٢٧٣٥)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل.

(4) في الأصل المخطوط: «أو».

(5) رواه مسلم (٢٦٧٩)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء.

اغفرْ لي إنْ شِئْتَ، اللهمَّ ارحمْني إن شِئْتَ، لِيَعْزِمْ في الدعاءِ؛ فإنَّ اللهَ صانعٌ ما يشاءُ، لا مُكْرِهَ لَهُ» [١].

وعن صَفْوانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ صَفْوانَ ـ وكانت تحتَه الدَّرْدَاءُ ـ [٢]، قال: قَدِمْتُ الشَّامَ فأتيتُ أبا الدَّرْداءِ في منزلِهِ فلمْ أَجِدْهُ، فوجدْتُ أمَّ الدَّرداءِ، [فقالت: أتريد الحجَّ العام؟ فقلت: نعم، قالت: فادعُ اللهَ] [٣] لنا بخيرٍ؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «دَعْوَةُ المرءِ المسلمِ لأخيه بظَهْرِ الغيبِ مُسْتَجابَةٌ؛ عندَ رأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كلَّما دعا لأخيه بخيرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ به: آمينَ، ولكَ مثلُ ذلكَ» [٤].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لا يزالُ يُسْتَجَابُ للعبدِ ما لمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ ما لمْ يَسْتَعْجِلْ»، قيل: يا رسول الله! ما الاستعجالُ؟ قال: «يقولُ: دَعَوْتُ فلم يُسْتَجَبْ لِي» [٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٠)، كتاب: الدعوات، باب: ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له، ومسلم (٢٦٧٩)، (٤/ ٢٠٦٣)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء، وهذا لفظ مسلم.

(٢) في الأصل المخطوط: «وكانت تحته أمُّ الدرداء».

(٣) في الأصل المخطوط: «فقلتُ: ألم تريدي الحج العام؟ فقالت: نعم، فقلتُ: ادعُ...».

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٣)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٥) رواه مسلم (٢٧٣٥)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل.

وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما استجارَ أحدٌ من النَّار سبعَ مرَّاتٍ، إلاَّ قالتِ النَّارُ: يا ربُّ! إنَّ عبدَك فلاناً استجارَ منِّي فأجِرْه، ولا يَسْأَلُ عبدٌ الجَنَّةَ سبْعَ مرَّاتٍ إلاَّ قالتِ الجنَّةُ: يا ربُّ! إنَّ عَبْدَك فلاناً سألني، فأدخِلْهُ الجنَّةَ»[1].

وعنه ـ أيضاً ـ: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أسأَلُ اللهَ الجنَّةَ سبعَ مرَّاتٍ، قالت الجنَّةُ: اللهمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ»[2].

وفي «المسند»، والتِّرمذيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دعاءَ قلبٍ غافلٍ لاهٍ»[3].

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١٣)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٦١٩٢). وإسناده صحيح. انظر: «العلل» للدارقطني (١١/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٢٤٣).

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٥٧٩).

وروىٰ النسائي (٥٥٢١)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من حر النهار، والترمذي (٢٥٧٢)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أنهار الجنة، وابن ماجه (٤٣٤٠)، كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٤) بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «من سأل الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهمَّ أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهمَّ أجره من النار».

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، كتاب: الدعوات، باب: (٦٦)، وقال: حديث غريب، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٧)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بإسنادٍ ضعيف. وانظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٢٢).

=

وعن ابن عبَّاس ـ رضيَ الله عنهما ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا يومَ عَرَفَةَ، فقال: «اللهمَّ إنَّكَ تَرىٰ مكاني، وتَسْمَعُ كلامي، ولا يَخْفَىٰ عليك شيءٌ مِنْ أمري، أنا البائسُ الفقيرُ، المُستغيثُ، المُسْتَجيرُ، الوَجِلُ، المُشْفِقُ، المُقِرُّ، المُعْتَرِفُ بذَنْبِهِ، أسألُك مسألَةَ المسكينِ، وأبْتَهِلُ إليكَ ابتهالَ المُذْنِبِ الذَّليلِ، وأدعوكَ دعاءَ الخَائِفِ الضَّريْرِ، مَنْ خَضَعَتْ لك رَقَبَتُهُ، وذلَّ لك جَسَدُهُ، ورَغِمَ لك أَنْفُهُ، وفاضَتْ لك عيناه، اللهمَّ لا تَجْعَلْنِي بدُعائِكَ شَقِيّاً، وكُنْ لي بارّاً رؤُوفاً رحيماً، يا خيرَ المسؤولين، ويا خيرَ المُعْطِيْنَ»[1].

وخرَّج ابنُ ماجه مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ـ رضيَ الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقول في دعائه: «اللهمَّ أَحْيِنِي مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحْشُرني في زُمْرَةِ المساكِيْنِ»[2].

= ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧)، بإسناد حسن، لكن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وقد تقدم تخريجه.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٠٥)، وفي «المعجم الصغير» (٦٩٦)، وفي «الدعاء» (٨٧٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٦٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٨٠٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٤٤). وقال: حديث لا يصح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٥٢): فيه يحيىٰ بن صالح الأبلي. قال العقيلي: روىٰ عنه يحيىٰ بن بكير مناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٢٦)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٠٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١١١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ١٣)، والحديث حسن بمجموع طرقه. =

وفي حديث معاذٍ ـ رضيَ الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قال في قِصَّةِ المنامِ: «أسألُك فِعْلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المُنْكَراتِ، وحُبَّ المساكينِ»[1].

وخرَّج البَزَّارُ، والطَّبرانيُّ، والحاكمُ، من حديثِ ثَوْبَانَ، عن النَّبيِّ ﷺ، نحوَ حديثِ المنامِ، وفي حديثه: «اللهمَّ إنِّي أسألُك حُبَّكَ وحُبَّ حُبِّكَ، وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُني إلىٰ حُبِّكَ، اللهمَّ إنِّي أسألُك إيماناً يباشرُ قلبي، حَتَّىٰ أعلمَ أنَّه لَنْ يُصِيبَني إلاَّ ما كتبْتَ، ورضِّني بما قَسَمْتَ لي»[2].

= وفي الباب: عن أنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وابن عمر، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ.

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٥)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة صٓ، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٠٩)، وفي «الدعاء» (١٤١٤).

(٢) رواه البزار في «مسنده»: (٧/ ١٧٧ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والطبراني في «الدعاء» (١٤١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٢)، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «اللهمَّ إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحباً يبلغني حبك». قال الهيثمي: فيه أبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
ورواه البزار في «مسنده»: (٧/ ١٧٨ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، بلفظ: «اللهمَّ إني أسألك حبك، وحب عمل يقربني إلىٰ حبك، اللهمَّ إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. . . » الحديث.
قال الهيثمي: وفيه سعيد بن سنان، وهو ضعيف، وقد وثقه بعضهم، ولم يلتفت إليه.
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٧٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٣١)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ نحوه. قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩): هو حديث منكر.

وخرَّج التِّرمذيُّ ـ أيضاً ـ من حديثِ عبدِ الله بن يزيدَ الخَطَمِيِّ الأنصاريِّ، عن النَّبيِّ ﷺ، أنه كان يقولُ في دعائه: «اللهمَّ ارزُقْني حُبَّكَ، وحُبَّ من ينفعُني حُبُّه عندَك، اللهمَّ ما رزَقْتني مِمَّا أُحِبُّ، فاجعلْه قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ، اللهمَّ وما زَوَيْتَ عَنِّي مما [أُحِبُّ] [1]، فاجْعَلْهُ فَرَاغاً لي فيما تُحِبُّ» [2].

وخرَّج ابنُ أبي الدُّنيا، وغيرُه، من روايةِ أبي بكرِ بنِ أبي مَرْيَمَ، عنِ الهيثمِ بنِ مالكٍ الطائيِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو: «اللهمَّ اجعلْ حُبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ، واجعلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأشياءِ عندي، واقطَعْ عنِّي حاجاتِ الدُّنيا بالشَّوقِ إلىٰ لقائِكَ، وإذا أَقْرَرْتَ عينَ أهلِ الدُّنيا مِنْ دُنياهمْ، فأقرَّ عيني مِنْ عبادَتِك» [3].

وخرَّج الإمامُ أحمدُ، والحاكمُ، من حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ ـ رضي اللهَ عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ علَّمَهُ دعاءً وأمرَه أنْ يتعاهَدَ بِهِ أهلَهُ كلَّ يومٍ، قال: قُلْ حين تُصْبِحُ: «لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، وسَعْدَيْكَ، والخيرُ في يَدَيْكَ، ومنكَ، وبكَ، وإليكَ، اللهمَّ ما قلتُ من قولٍ، أو نذرْتُ مِنْ نَذْرٍ، أو حَلَفْتُ من حَلْفٍ، فمشيئَتُك بينَ يديه، ما شئْتَ كانَ، وما لمْ تَشأْ لم يَكُنْ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك، إنَّك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ وما صلَّيْتُ من صلاةٍ،

---

(1) في الأصل: «تحب».

(2) رواه الترمذي (٣٤٩١)، كتاب: الدعوات، باب: (٧٤)، وقال: حسن غريب، والطبراني في «الدعاء» (١٤٠٣)، وهٰذا لفظه.

(3) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٢)، وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي بكر بن أبي مريم، كما في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٧/ ٣٣٥).

فعلىٰ مَنْ صلَّيْتَ، وما لعَنْتُ من لَعْنٍ، فعلىٰ من لعنْتَ، أنتَ وليِّي في الدُّنيا والآخرة، توفَّني مسلماً، وألحِقْني بالصَّالحين، اللهمَّ إنِّي أسألُك الرِّضا بعد القضاءِ، وبَرْدَ العيشِ بعدَ الموتِ، وَلذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وجهِكَ، وشوْقاً إلىٰ لقائِكَ من غير ضرَّاء مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، أعوذُ بك اللهمَّ منْ أنْ أَظْلِمَ، أو أُظْلَمَ، أو أعتديَ، أو يُعْتَدىٰ عليَّ، أو أَكْتَسِبَ خطيئةً مُحْبِطَةً، أو ذنباً لا تَغْفِرُهُ، اللهمَّ فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ، ذا الجلالِ والإكرامِ؛ فإنِّي أَعْهَدُ إليك في هٰذه الحياةِ الدُّنيا، وأُشْهِدُكَ وكَفَىٰ بك شيهداً: أنِّي أشهد أن لا إلٰه إلَّا أنت، وحدك لا شريك لك، لك المُلْكُ ولكَ الحمدُ، وأنتَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأَشْهَدُ أنَّ محمَّداً عبدُك ورسولُك، وأشهد أنَّ وعدَك حقٌّ، ولقاءَك حقٌّ، والجنَّةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، والساعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّكَ تَبعَثُ مَنْ في القبورِ، وأَشْهَدُ أنَّك إنْ تَكِلْني إلىٰ نفسي، تَكِلْني إلىٰ ضَيْعَةٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وخطيئةٍ؛ فإنِّي لا أَثِقُ إلَّا برحمَتِكَ؛ فاغفرْ لي ذنبي كُلَّه، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ»(١).

وخرَّج الإمامُ أحمدُ، والنَّسائيُّ، من حديثِ عَمَّارِ بنِ ياسرٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو بهٰؤلاءِ الدَّعَوَاتِ: «اللهمَّ بعِلْمِكَ الغيبَ، وقدرَتِكَ علىٰ الخلقِ، أَحْيِني ما علمْتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا علمْتَ الوفاةَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٠٣)، وفي «الدعاء» (٣٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٠٠).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٣): أحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا، وبقية الأسانيد فيها أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

خيراً لي، اللهمَّ إنِّي أسألُك خَشْيَتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكَلِمَةَ الحقِّ في الغضبِ والرِّضا، والقَصْدَ في الفقرِ والغِنىٰ، وأسألُك نعيماً لا يَنْفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقَطِعُ، وأسألُك الرِّضا بعد القضاءِ، وبَرْدَ العيشِ بعدَ الموتِ، وأسألُك لَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجْهِكَ، والشَّوْقَ إلىٰ لقائِكَ، من غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زَيِّـنَّا بزينَةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُدَاةً مُهتدين»[1].

وفي دعاء النَّبيِّ ﷺ: «أسألُك الدَّرجاتِ العُلاَ، والنَّعيمَ المُقِيْمَ»[2].

وَسَمِعَ النَّبيُّ ﷺ ابنَ مسعودٍ وهو يقول: «أسألُك إيماناً لا يَـرْتَدُّ، ونعيماً لا يَنْفَدُ، ومرافقةَ نبيِّك في أعلىٰ جَنَّةِ الخُلْدِ»، فقال: «سَلْ تُعْطَهْ»[3].

---

(١) رواه النسائي (١٣٠٥)، كتاب: السهو، باب: نوع آخر من الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٤)، والبزار في «مسنده» (١٣٩٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١٦٢٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٧١)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٢٣)، وغيرهم.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣١٦)، وفي «المعجم الأوسط» (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١١)، وغيرهم، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ في حديث طويل قولَه: «. . . وأسألك الدرجات العلىٰ». وروىٰ النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٤٤٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٤)، عن رفاعة الزرقي ـ رضي الله عنه ـ قولَه ﷺ: «اللهم إني أسألك النعيم المقيم».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٤٥)، والطيالسي في «مسنده» (٣٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٧٠٥)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٤١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٢٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، وغيرهم. =

وهـٰذا بابٌ يقِلُّ أن يحيطَ به كتابٌ، وفي هـٰذا الباب شيءٌ كثيرٌ لا يَعْلَمُ حَصْرَهُ إلَّا اللهُ تعالىٰ، بعضُهُ صحيحٌ، وبعضُهُ ضعيفٌ، وقدِ اقتصَرْنا منه علىٰ هـٰذا؛ تبرُّكاً بالنبيِّ الكريمِ ﷺ.

■ ○ ■

= وقد رواه الترمذي (٥٩٣)، وقال: حسن صحيح، مختصراً.

فصـــل
فـــي أوقـــات الإجابـــة

ليلةُ القَدْرِ، ويومُ عَرَفَةَ، وشهرُ رمضانَ، وليلةُ الجُمعةِ، ويومُ الجمعةِ، ونصفُ الليلِ، قيل: الأوَّلُ، والأصحُّ: الثَّاني، وثُلُثُ اللَّيلِ الأوَّلُ، وثلثُ اللَّيلِ الآخرُ، وجوفُه، ووقْتُ السَّحَرِ، وساعةُ الجمعةِ، وأرجىٰ وقتِها ما بين أنْ يجلِسَ الإمامُ في الخُطْبَة إلىٰ أن تُقْضَىٰ الصَّلاةُ، وقيل: مِنْ حيثُ تقامُ الصَّلاةُ إلىٰ السَّلامِ، قيل: والدَّاعي قائمٌ يصلِّي، وقيل: بعْدَ العصرِ إلىٰ غروبِ الشَّمْسِ، وهـٰذا هو الصَّحيح من مذهبِ أحمد [١]، وقيل: آخرُ ساعةٍ من يومِ الجمعةِ، وقيلَ: بعد طلوعِ الفجرِ قبلَ طلوعِ الشَّمْسِ، وقيل: بعدَها، وقيلَ: بعدَ ارتفاعِ الشَّمْسِ، يسيراً إلىٰ ذراعٍ، وقيل: عند قولِ الإمامِ آمينَ في الصلاةِ [٢].

---

(١) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٢/ ٤٠٩).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢٢) ثلاثة وأربعين قولاً في ساعة الإجابة يوم الجمعة، وساق معها أدلتها، وبيَّن حالَها في الصحة والضعف، والرفع والوقف، وأشار إلىٰ مأخذ بعضها، وذكر أنها ليست كلها متغايرة من كل جهة، بل كثير منها يمكن أن يتحد مع غيره، ثم قال: ولا شك أنَّ أرجح الأقوال المذكورة حديث أبي موسىٰ وهو (ما بين أن يجلس الإمام علىٰ المنبر، إلىٰ أن تُقضىٰ الصلاة). =

■ ○ ■

= وحديث عبد الله بن سلام وهو (آخر ساعة بعد الظهر)، وما عداها إمَّا موافق لهما، أو لأحدهما، أو ضعيف الإسناد، أو موقوف استند قائله إلىٰ اجتهاد دون توفيق.
وقد اختلف السلف في أيِّهما أرجح؛ فروىٰ البيهقي أنَّ مسلماً قال: حديث أبي موسىٰ أجود شيء في هٰذا الباب وأصحّه، وبذلك قال البيهقي، وابن العربي، وجماعة، والقرطبي، وقال النووي: هو الصحيح، بل الصواب، وجزم به في «الروضة» بأنه الصواب، ورجحه أيضاً بكونه مرفوعاً صريحاً، وفي أحد الصحيحين ـ يعني: في مسلم ـ.
وذهب آخرون إلىٰ ترجيح قول عبد الله بن سلام، فحكىٰ الترمذي عن أحمد أنه قال: أكثر الأحاديث علىٰ ذلك، وقال ابن عبد البر: إنه أثبت شيء في هٰذا الباب، ورجحه كثير من الأئمة أيضاً؛ كأحمد وإسحاق، ومن المالكية الطرطوشي، وحكىٰ العلائي أنَّ شيخه ابن الزملكاني ـ شيخ الشافعية في وقته ـ كان يختاره ويحكيه عن نص الشافعي.
وسلك صاحب «الهدي» ـ يعني: ابن القيم ـ مسلكاً آخر، فاختار أنَّ ساعة الإجابة منحصرة في أحد الوقتين المذكورين، وأنَّ أحدهما لا يعارض الآخر؛ لاحتمال أن يكون ﷺ دلَّ علىٰ أحدهما في وقت، وعلىٰ الآخر في وقت آخر، وهو كقول ابن عبد البر: الذي ينبغي: الاجتهاد في الدعاء في الوقتين المذكورين، وسبق إلىٰ نحو ذلك الإمام أحمد، وهو أولىٰ في طريق الجمع، انتهىٰ مختصراً من «الفتح».
وانظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٩/ ١٧ ـ ٢٤)، و«المجموع شرح المهذب» (٤/ ٤٦٩)، و«شرح مسلم» كلاهما للنووي (٦/ ١٤٠)، و«زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٨٢).

فصل
[أحوال الإجابة]

وأحوالُ الإجابةِ: عند النِّداءِ، وبينَ الأذانِ والإقامةِ، وبينَ الحَيْعَلَتَيْن، وعند الصَّفَّين، وعند التحامِ الحَرْبِ، ودُبُرَ الصَّلواتِ المكتوباتِ، وفي السُّجودِ، وعُقَيْبَ تلاوةِ القرآنِ، لا سيَّما الخَتْمُ، وخصوصاً من القارىءِ، وعند شُرْبِ ماءِ زمزمَ، والحضورِ عند الميِّتِ، وصياحِ الدِّيَكَةِ، واجتماعِ المسلمينَ، وفي مجالسِ الذِّكْرِ، وعندَ قولِ آمينَ، وعند تغميضِ الميِّتِ، وعند نزولِ الغَيْثِ، وعند رؤيةِ الكَعْبَةِ، والصَّائمُ حالَ يُفْطِرُ.



فصـــل

أماكـــــن الإجابـــــة

قال الحسنُ البَصْرِيُّ في «رسالته إلىٰ أهل مَـكَّةَ»[1]: الدُّعاءُ

(١) انظر: «فضائل مكة والسكن فيها» للحسن البصري (ص: ٢٤ ـ ٢٥)، طبعة مكتبة الفلاح بالكويت، بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني، ووقع هناك: «وما علىٰ الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً إلاَّ مكة، ثم عدَّها كالتالي:

١ ـ جوف الكعبة.

٢ ـ الحجر الأسود.

٣ ـ الركن اليماني.

٤ ـ الحِجْر.

٥ ـ خلف المقام.

٦ ـ عند الملتزم.

٧ ـ عند باب بئر زمزم.

٨ ـ علىٰ الصفا والمروة.

٩ ـ بين الصفا والمروة.

١٠ ـ بين الركن والمقام.

١١ ـ بمنىٰ.

١٢ ـ بجمع.

١٣ ـ بعرفات.

=

مُستجابٌ هناكَ في خمسةَ عَشَرَ موضِعاً: في الطَّوَافِ، وتحتَ المِيْزَابِ، وفي الرُّكْنِ، وعندَ زمزمَ، وعلىٰ الصَّفا والمَرْوةِ، والمَسْعَىٰ، وخلفَ المَقَامِ، وفي عَرَفَاتَ، ومُزْدَلِفَةَ، ومِنىٰ، وعند الجَمَرَاتِ، وعندَ النبيِّ ﷺ، والملتَزَم، وعند المِنْبَرِ من كُلِّ مسجدٍ، وعندَ صخرَةِ بيتِ المَقْدِسِ، والله أعلم.

■ ○ ■

= ١٤ ـ في المشعر الحرام.

وقد روىٰ صاحب «العقد الثمين» (١/ ٧٥) هٰذه المواضع نقلاً عن رسالة الحسن هٰذه، إلاَّ أنه أضاف: الجمرات الثلاث.

فصل

الذين يستجاب دعاؤهم

المُضْطَرُّ، والمظلومُ، قيل: ولو كانَ فاجِرَاً، وقيل: ولو كانَ كافراً، والوالدُ، والإمامُ العادلُ، والرَّجلُ الصَّائمُ، والولدُ البارُّ لوالدَيْهِ، والمسافرُ، والصَّائم حين يُفْطِرُ، والمسلمُ لأخيه بظَهْرِ الغيبِ، والمُسْلِمُ ما لم يَدْعُ بظُلْمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ، ولكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دعوةٌ مستجابةٌ.

■ ○ ■



فصل

[بعض الأدعية الواردة عن السَّلف]

وقد وردَ في الآثارِ من الدُّعاءِ شيءٌ كثيرٌ لا يُحصيهِ إلاَّ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فُروِيَ: أنَّ جعفراً الصَّادقَ كانَ يدعو في آخرِ رمضانَ، فيقول: «اللهمَّ ربَّ رمضانَ، مُنْزِلَ القرآنِ، هٰذا شهرُ رمضانَ، الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ، وقد انْصَرَمَ؛ أيْ ربِّ ! فأعوذ بوجهك الكريمِ أن يَطْلُعَ الفجرُ من ليلتي هٰذه، أو يَخْرُجَ رمضانُ ولك عندي ذَنْبٌ تريدُ أن تعذِّبني بهِ يومَ لقائك».

وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ لرجلٍ كان يأتي المَلِكَ: ويْحَكَ! تأتي من يُغْلِقُ عَنْكَ بابَه، ويُظْهِرُ لك فَقْرَهُ، ويوراي عَنْكَ غِناه، وتَدَعُ من يَفْتَحُ لك بابه نصفَ الليلِ ونصفَ النَّهارِ، ويُظْهِرُ لك غِناه، ويقول: ادْعُني أستَجِبْ لك ؟! [1].

وقال طاوسُ لِعَطَاءٍ: إِيَّاك أنْ تَطْلُبَ حوائِجك مِمَّن أغلقَ دونَك بَابَه،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٤٣٥)، وعندهم، ويقول: «ادعوني أستجب لكم» بدل «ادعني أستجب لك»، وفيه: أن الرجل هو عطاء الخراساني.

وَيجْعَلُ دونَها حُجَّابَه، وعليك بمَنْ بابُه مفتوحٌ إلىٰ يوم القيامةِ [1].

وقال أبو مسلم الخَوْلَانيُّ: ما عَرَضَتْ لي دعوةٌ فَذَكَرْتُ النَّارَ، إلاَّ صَرَفْتُهَا إلىٰ الاستعاذةِ مِنْها [2].

قال ابنُ عبَّاسٍ: من كان ذاكراً للهِ في الرَّخاءِ، ذَكَرَهُ اللهُ في الشِّدَّةِ، واستجابَ لَهُ، ومن يَغْفُلْ عنِ اللهِ في الرَّخاء، وَيذْكُرْه في الشِّدَّةِ، لم يَسْتَجِبْ له [3].

أخبرني الشَّيخُ الصَّالحُ شهابُ الدِّينِ بنُ هلالٍ الأَزدِيُّ بقراءتي عليه، قال: أخبرني ابنُ المُحِبِّ سماعاً، عن النَّابُلُسِيِّ، عن الواسِطِيِّ، قال: أخبرني الشَّيخ العلاَّمةُ موفَّقُ الدِّين ابنُ قُدامةَ المقدسيُّ، قال: أخبرَنا جماعةٌ من التَّوابِيْن، قال: أخبرَنا الشَّيخُ أبو الحسنِ أحمدُ بن حَمْزَةَ السّلَمِيُّ، وجماعةٌ قالوا: أنبأنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمدَ المَقَّرِيُّ الأصبهانيُّ، قال: أخبرَنا أبو نعيمٍ الحافظُ، أنبأ محمدٌ بن حُمَيْدٍ، ثنا عبدُ اللهِ بن مسعودٍ الرَّقِّي، ثنا يزيدُ بن محمَّدٍ بنُ سِنَانٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ، قال: حدثني الحسنُ بن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما أنا أطوفُ مع أبي حولَ البيتِ، في ليلةٍ ظلماءَ، وقدْ رَقَدَتِ العيونُ، وهدأَتِ الأصواتُ؛ إذ سَمع [أبي] هاتفاً يهتف بصوت حزينٍ شجيٍّ، وهو يقول [من البسيط]:

يا مَنْ يُجيبُ دُعا المُضْطَرِّ في الظُّلَمِ ... يا كاشفَ الضُّرِّ والبَلْوىٰ مع السَّقَمِ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٧).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(٣) ذكره ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٩).

قَـدْ نـامَ وفـدُك حـولَ البيـتِ وانْتَبَهُـوا وأنــتَ يـا حـيُّ يـا قيُّـومُ لـم تَنَـمِ
هَبْ لي بجودِك فضلَ العفوِ عن جُرُمٍ يـا مَـنْ إليـه أشـارَ الخَلْـقُ فـي الحَـرَمِ
إنْ كـان عفـوك لا يـرجُـوه ذو سَـرَفٍ فمـن يَجُـودُ علـىٰ العـاصيـنَ بـالكَـرَمِ

قال: فقال لي أبي: يا بُنَيَّ! ما تسمعُ صوتَ النَّادبِ لذَنْبِهِ، المستقيلِ لربِّه؟ الحَقْه، فلعلَّك أنْ تأتيَ به، فخرجْتُ أسعىٰ حولَ البيتِ أطلُبه، فلمْ أجِدْه، حتىٰ انتهيتُ إلىٰ المَقَام، فإذا هو قائمٌ، فقلتُ: أَجِبْ ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ، فأوجَزَ في صلاتِهِ واتَّبَعَنِي، فأتيتُ أبي فقلتُ: هـٰذا الرجلُ يا أبتِ، قال له أبي: مِمَّنِ الرجلُ؟ فقال: من العَرَبِ، قال: وما اسمُك؟ قال: مُنازل بن لاحقٍ، قال: وما شأنُك؟ وما قصَّتُك؟ قال: وما قصَّةُ من أسَلَمتهُ ذنوبُه، وأوْبَقَتْهُ عيوبُه، فهو مُرْتَهَنٌ في بحرِ الخطايا، فقال له أبي: عليَّ ذلك، فاشرحْ خَبَرك.

قال: كنتُ شابَّاً علىٰ اللهوِ والطَّرَبِ، لا أُفِيقُ عنه، وكانَ لي والدٌ يَعِظُني كثيراً، ويقولُ: يا بنيَّ! احذرْ هفواتِ الشَّبابِ وَعَثَرَاتِهِ؛ فإنَّ لله سَطَوَاتٍ وَنَقَماتٍ، ما هي مِنَ الظَّالمين ببعيدٍ، وكانَ إذا ألَحَّ عليَّ بالموعِظَةِ، ألْحَحْتُ عليه بالضَّرْبِ، فلمَّا كان يومٌ من الأيَّامِ، ألَحَّ عليَّ بالموعظةِ، فأوجَعْتُه ضَرْبَاً، فحلفَ بالله مُجْتَهِداً: ليأتينَّ بيتَ اللهِ الحرامَ، فيتعلَّقُ بأستارِ الكعبةِ، ويدعو عليَّ، فخرجَ حتَّىٰ انتهىٰ إلىٰ البيتِ، فتعلَّق بأستارِ الكعبةِ، وأنشأ يقول [من البسيط]:

يا مَنْ إليه أتىٰ الحُجَّاجُ قد قَطَعُوا عَـرْضَ المَهَـامِـهِ مِـنْ قُـرْبٍ ومِـنْ بُعْـدِ
إنِّـي أتيتُـك يـا مَــنْ لا يُخَيِّـبُ مَـنْ يـدعُـوه مُبْتَهِـلاً بـالـواحِـدِ الصَّمَـدِ
هـٰذا مُنَـازِلُ لا يـرتـدُّ عَـنْ عَقَقِـي فَخُـذْ بحقِّـيَ يـا رحمـٰنُ مِـنْ ولـدي

وشُلَّ [منه] بحوْلٍ مِنْكَ جانِبَهُ   يا مَنْ تقدَّسَ لم يُوْلَدْ ولم يَلِدِ

قال: فواللهِ ما استَتَمَّ كلامَه حتىٰ نَزَل بي ما ترىٰ، ثُمَّ كَشَفَ عن شِقِّهِ الأيمنِ فإذا هو يابسٌ، قال: فأُبْتُ ورَجَعْتُ، ولم أَزَلْ أترضَّاهُ، وأخضَعُ له، وأَسألُه العفوَ عنِّي إلىٰ أنْ أجابني أن يدعُوَ لي في المكانِ الذي دعا عليَّ، قال: فحمَلْتُه علىٰ ناقةٍ عُشَرَاءَ، وخرجْتُ أقفو أَثَرَه حتَّىٰ إذا صِرْنا بوادي الأَرَاكِ، طارَ طائرٌ من شجرةٍ، فَنَفَرتِ النَّاقةُ، فَرَمَتْ به بين أحجارٍ، فَرَضَخَتْ رَأْسَه فماتَ، فدَفَنْتُهُ هناك، وأَقْبَلْتُ آيِسَاً، وأعظمُ ما بي، ما أَلقاهُ من التَّعييرِ: أنِّي لا أُعْرَفُ إلا بالمأخوذِ بعقوقِ والدِهِ.

فقال له أبي: أبشِرْ فقدْ أتاك الغَوْثُ، فصلَّىٰ ركعتين، ثم أَمَرَه فكَشَفَ عن شِقِّه بيده، ودعا له مَرَّاتٍ يرَدِّدُهنَّ، فعادَ صحيحاً كما كان، وقالَ له أبي: لولا أنَّه قد كان سَبَقَتْ إليك من أبيك في الدُّعاء لك؛ بحيثُ دعا عليك، ما دَعَوْتُ لك.

قال الحسن: وكان أبي يقولُ لنا: احذروا دعاءَ الوالدَيْن؛ فإنَّ في دعائهما النَّماءَ والانجِبَارَ، والاستصغارَ والبوارَ [١].

وكان عُبَيْدَةُ الخَوَّاصُ يبكي ويقولُ: قد كَبِرْتُ، فأعتِقْني من النَّارِ [٢].

وقال سُفيانُ الثَّوريُّ: رأيتُ رجلاً متعلِّقاً بأستارِ الكعبةِ، وهو يقولُ:

---

(١) انظر: «التوابين» لابن قدامة (ص: ٢٣٧ ـ ٢٤١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (ص: ٢٠٢)، وانظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٨٧)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٧٦).

اللهمَّ سَلِّمْ، قلتُ: ما شأنُكَ، ولِمَ تطلُبُ السَّلامةَ ؟ فقال: يا أخي ! كنَّا أربعةً؛ تنصَّرَ أحدُنا عند الموتِ، وتهوَّدَ الآخرُ، وتمجَّسَ الآخرُ، وبقيتُ أنا خائفاً أرغبُ إلىٰ الله تعالىٰ في السَّلامة (١).

قال سفيانُ بن عُيَيْنَةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: سمعْتُ أعرابيّاً يقول في الطَّواف: إلٰهي ! من أولىٰ بالتَّقصيرِ منِّي، وقد خلقتني ضعيفاً؟ ومن أولىٰ بالكرم منك، وقد سمَّيْتَ نفسك رؤوفاً؟ ولك المنَّةُ عليَّ، وعصيتُك بِعِلْمِكَ، ولك الحمدُ عليَّ، فبانقطاعِ حُجَّتي، ووجوبِ حُجَّتِك، وبفقري وغِناك، إلَّا ما غَفَرْتَ لي (٢).

قال وُهَيْب بنُ الوَرْدِ: بينما امرأةٌ تطوفُ، وهي تقولُ: يا ربِّ ! ذَهَبَتِ اللذاتُ، وبقيتِ التَّبِعَاتُ، يا ربّ ! مالكَ عقوبةٌ إلَّا النَّارُ، أما في عفوك ما يسعني؟ قال: فما استتمَّت كلامَها إلَّا وقائلٌ يقولُ: قد عفَوْنا عنكِ، وغفرْنا لكِ (٣).

وقال بعضُهم: دخلْنا علىٰ عطاءٍ نعودُه في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ، فقلْنا له: كيف ترىٰ حالَك ؟ فقال: الموتُ في عُنُقي، والقبرُ بين يديَّ، وفي القيامةِ موقفِي، وعلىٰ جِسْرِ جهنَّمَ طريقي، ولا أدري ما يُفْعَلُ بي، ثم بكىٰ بكاءً شديداً، حتىٰ غُشِيَ عليهِ، فلمَّا أفاقَ، قال: اللهمَّ ارحمْ وَحْشتي

---

(١) ذكره ابن الجزري في «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» (ص: ٣٤).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٥٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٢٣)، وابن قدامة في «التوابين» (ص: ٦٩)، عن وهيب بن الورد، بسياق آخر، وذكره ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص: ٤٣)، وعنه نقل المؤلف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

في القبرِ، ومَصْرَعي عندَ الموتِ، وارحمْ مَقامي بين يديكَ، يا أرحمَ الراحمين [1].

وقيل: إنَّ محمَّدَ بن المُنْكَدِرِ بكىٰ عند مَوْتِهِ، فقيل له: ما يُبْكيكَ؟ فرفعَ طرْفه إلىٰ السَّماءِ، وقال: اللهمَّ إنَّك أمرْتني فَقَصَّرْتُ، ونهيتَني فعصيْتُ؛ فإن غَفَرْتَ فقدْ مَنَنْتَ، وإنْ عاقبْتَ فما ظَلَمْتَ [2].

قال بعضُ الصَّالحين: بينا أنا أطوفُ بالكعْبةِ، وإذا أنا بجاريةٍ تقول: يا كريمُ!، عَهْدَك القديمَ؛ فإنِّي علىٰ العهدِ مقيمٌ، فقلتُ: يا جاريةُ! وما العهدُ الذي بينَكِ وبينَه؟ قالت: يا أخي! أمرٌ عجيبٌ، وذلك أنِّي كنتُ في البحرِ، فهبَّتْ بنا ريحٌ، فدمَّرتْ كلَّ من في السَّفينةِ، وغَرِقَ كلُّ من فيها، فلم ينجُ منهمْ غيري، وهـٰذا الطِّفلُ، وبقيتُ علىٰ لوحٍ، ورجلٌ أسودُ علىٰ لوحٍ آخرَ، فلما أصبحَ الصُّبحُ دخلَ الأسودُ إليَّ، وجعلَ يُدَافِعُ الماءَ بذراعيه حتَّىٰ وصل إليَّ واستوىٰ معنا علىٰ اللوحِ، وجعل يراوِدُني عن نفسي، فقلتُ له: يا عبدَ الله! نحنُ في بَلِيَّةٍ لا نرجو السَّلامةَ منها بطاعةٍ، فكيف بالمعصيةِ؟!

فقال: دعيني، فوالله لا بُدَّ من ذلك، ومدَّ يدَه وأخذَ الطِّفْلَ منِّي، ورمىٰ به في البحرِ، فرفَعْتُ طَرْفي إلىٰ السَّماءِ، وقلتُ: يا من يحولُ بينَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ١٠٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ٨٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٥٤)، لـٰكن من قول عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ١٢٦)، و«العاقبة في ذكر الموت» لعبد الحق الإشبيلي (ص: ١٢٧).

المرءِ وقلبهِ، حُلْ بيني وبين هـٰذا الأَسْوَدِ بحَوْلِكَ وقوَّتِكَ، إنَّك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وإذا بدابَّةٍ من دوابِّ البحرِ قد فَتَحَتْ فاها والتقَمَتِ الأَسْوَدَ وغابتْ به في البحرِ، وبقَيتِ الأمواجُ ترميني يميناً وشمالاً، فرمتْني إلىٰ جزيرةٍ من جزائرِ العربِ، فقَصَصْتُ لهم قِصَّتي وما جرىٰ لي، فتعجَّبوا من ذلك، وأطرَقُوا رؤوسَهم، وقالوا: لقد أَخْبَرْتِنا بأمرٍ عجيبٍ، ونحنُ نخبرُكِ بأمرٍ تعجَبينَ منه، وذلك أنَّا كنَّا مسافرين في البحرِ؛ إذِ اعترَضَتْنَا دابَّةٌ، ووقفتْ أمامَنا، وإذا الطِّفلُ علىٰ ظهرِها، ومنادٍ ينادي: خذوا هـٰذا الطِّفْلَ من علىٰ ظهري، وإلا أَهْلَكْتُكُمْ، فنزلَ واحدٌ منَّا علىٰ ظهرِها وأخذَه، وغاصَتِ الدَّابَّةُ في البحرِ، وقد عاهدْنا الله تعالىٰ ألَّا يرانا علىٰ معصيةٍ أبداً، وأعطَوْني الطِّفلَ، وهـٰذا بعضُ عجائبِ صُنْعِ اللهِ تعالىٰ[1].

وعن ابنِ عمرَ: أنَّه كان يدعو علىٰ الصَّفا والمروةِ، وفي مِنىٰ، فيقولُ في دعائه: اللهمَّ اجعلْني ممَّن يحبُّك، ويُحِبُّ ملائكَتك، ويحبُّ رسلَك، ويحبُّ عبادَك الصَّالحينَ، اللهمَّ حبِّبْني إليك، وإلىٰ ملائكتِك، وإلىٰ رسلِك، وإلىٰ عبادِك الصَّالحين، في دعاءٍ كثيرٍ[2].

وعن سَلَّام بن مِسْكين، قال: سمعْتُ الحسنَ يقولُ: امْلأْ قلوبَنا إيماناً بكَ، ويقيناً بكَ، ومعرفةً بكَ، ومعرفةً لك، وتصديقاً بكَ، وحياءً لك، وشوقاً إلىٰ لقائك.

وعن عبد الواحد بن زيد أنه كان يقول في دعائه: أسأَلُكَ اللهمَّ أركاناً

---

(١) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٣٠٨)، وغيرهما.

قويَّةً علىٰ عبادتكَ، وأسألُك جَوَارِحَ مُسَارعَةً إلىٰ طاعَتِكَ، وأسألُك هِمَماً متعلِّقةً بمحبَّتك [1].

وعن مَرْثِد بِن أبي عامرٍ، عن الحسنِ بن الحسنِ بن عليٍّ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنَّه كانَ يقولُ في دعائِهِ: اللهمَّ ارزقْني محبَّةً لك تَقْطَعُ بها عنِّي محبَّاتِ الدُّنيا والآخرةِ ولذَّاتها، وارزقْني محبَّةً لك تَجْمَعُ لي بها خيرَ الآخرةِ ونعيمَها، اللهمَّ اجعلْ محبَّتك أحبَّ الأشياءِ عندي، وأقرَّها لعيني، واجعلْني أُحِبُّك حُبَّ الدَّاعين في محبَّتك، حبّاً لا يخالِطُه حبٌّ هو أعلىٰ منهُ في صدري، ولا أكثرُ منه في نَفْسِي، حتىٰ تَشْغَلَ قلبي به عن السُّرورِ بغيرِه، حتىٰ يَكْمُلَ لي به عندك الثَّوابُ غداً في أعلىٰ منازلِ المحبِّينَ لكَ يا كريم! قال: وكان من خيارِ أهْلِ البيت، وكان يدعو بهـٰذا الدعاءِ في آخرِ كلامِهِ، ويَبْكِي.

وعن عقبةَ بنِ فُضَالَة، قال: كان أبو عبيدة الخوَّاصُ يقول في دعائِه، بعدما كَبِر: اللهمَّ ارزقني حبّاً لك، وحبّاً لطاعتك، وحباً لمُطِيعيك، وحبّاً لأوليائِك، وحبّاً لأهل محبَّتِكَ، وخُدَّامِك، اللهمَّ ارزقني حبّاً ترفعُني به عندكَ في أعلىٰ درجاتِ العُلا، في منازلِ المحبِّين للقاءِك، وكان يبكي حتىٰ يكاد يُغمىٰ، وكان قد كَبِر جداً.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِي، ثنا أبو قُرَّة، ثنا حميدُ بنُ قائد، قال: كان بعضُ التَّابِعين يقول: إلـٰهي! أَعْطَيْتَنِي من غير أن أسألَك، فكيف تَحْرِمُني وأنا أسألُك، اللهمَّ إنِّي أسألُك أن تُسْكِنَ عَظَمَتَك في قلبي، وأن

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٢٦).

تَسْقِيَني شَرْبةً من كأسِ حبِّك [(١)].

وكان من دعاء بعض التَّابعين: اللهمَّ أَمِتْ قلبي بخوفِكَ وخَشْيتِكَ، وأحيهِ بحبِّك وذكرِك [(٢)].

وكان علي بنُ الموفَّق يقول: اللهمَّ إن كنت تعلمُ أنِّي أعبُدُك خوفاً من نارِك، فعذِّبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدُك حبّاً منِّي لجنَّتك فاحْرِمْنِيْهَا، وإن كنت تعلم أني أعبدُك حباً مني لك، وشوقاً إلىٰ وَجْهِك الكريم، فأبِحْنِيه [مرة]، واصْنَعْ بي ما شئت [(٣)].

وقال بعضُ السَّلفِ لإخوانه: زهَّدَنَا اللهُ وإيَّاكم في الحرام، زَهَادةَ من قَدَرَ عليه في الخَلْوةِ، فَعَلِمَ أن اللهَ يراهُ، فترَكَه [(٤)].

وختمَ آدمُ بن أبي إياسٍ القرآنَ، وهو مُسَجَّىٰ للموت، ثم قال: بحبِّي لك إلَّا رَفَقْتَ بي في هـٰذا المَصْرَعِ، كنت أؤمِّلُكَ لهـٰذا، كنت أرجوك، لا إلـٰه إلَّا الله، ثم قضىٰ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [(٥)].

وكان عبدُ الصَّمد الزاهدُ يقول عندَ موتِه: سيِّدي ! لهـٰذه الساعةِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٨٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٢١).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١١٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٣)، وابن الأعرابي في «الزهد وصفة الزاهدين» (ص: ٢٤)، عن بكر بن عبد الله المزني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

(٥) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٩)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٥٩).

خَبأْتُكَ، ولهٰذا اليومِ اقْتَنيتُكَ، حقِّقْ حُسْنَ ظنِّي بك [1].

ولمَّا دَخلُوا علىٰ عثمانَ وضربُوه، جعل يقولُ ـ والدِّماءُ تَسِيلُ عليه ـ: لا إلٰه إلَّا أنت سُبْحانَكَ إنِّي كنت من الظالمين، اللهمَّ إني أَسْتَعدِيْك عليهم، وأستعينُك علىٰ جميعِ أموري، وأسألُكَ الصبرَ علىٰ ما بَلَيْتَنِي [2].

ومرَّ أبو جعفر محمدُ بنُ عليٍّ بمحمدِ بن المُنْكَدِرِ ـ وهو مغمومٌ ـ، فسأل عن سبب غَمِّه، فقيل له: الدَّيْنُ قد قَرَحَهُ، فقال أبو جعفر: أَفُتِحَ له في الدُّعاء؟، قيل: نعم، قال: لقد بُورِكَ لعبدٍ في حاجةٍ أكثر فيها من الدُّعاء؛ كائنةً ما كانت [3].

وكان بعضُ السَّلَفِ يقول في مَرَضِه: اللهمَّ أَنْقِصْ من الوَجَعِ، ولا تُنْقِصْ منَ الأَجْرِ [4].

■ ○ ■

---

(1) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢)، و«الثبات عند الممات» كلاهما لابن الجوزي (ص: ١٧٦ ـ ١٧٧)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩١).

(2) كذا في الأصل: «بليتني»، والصواب: «بلوتني»، والأثر رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ٥٨)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٤٠١).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٦١)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٢)، وعندهما: «قد فدحه» بدل «قد قرحه».

(4) روىٰ البخاري في «الأدب المفرد» (٥٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٧٨)، عن أبي نحيلة ـ ويقال: نخيلة، رجل من أصحاب النبي ﷺ ـ أنه رمي بسهم، فقيل له: انزعه، فقال: «اللهم أنقص من الوجع، ولا تنقص من الأجر». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٩٨): رجاله رجال الصحيح.

فصــل

ويدعو المأمومون مع الإمام

قال البخاريُّ: بابُ: رفعِ النَّاسِ أيديَهم مع الإمام في الاستسقاء [١]، وذكر حديثَ الاستسقاءِ في الجمعةِ، ثم قال: فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه، ورفع النَّاسُ أيديَهم مع رسولِ الله ﷺ يدعون [٢].

قال ابنُ رجبٍ في «شرح البخاريِّ»: والمقصودُ من هٰذا الحديثِ في هٰذا الباب: أنَّ المأمومين يرفعون أيديَهم إذا رفعَ الإمامُ يديه، ويدعون معه، وممَّن قال إنَّ الناسَ يدعون مع الإمام: مالكٌ وأحمدُ ـ رضي الله عنهما ـ.

وقال أصحابُ الشَّافعيِّ: إنْ سمعوا دعاءَ الإمامِ أمَّنوا عليه، وإنْ لم يسمعوا دعوا، وكذا قالوا في قُنوت المأمومِ خلفَ الإمامِ.

وأمَّا مذهبُ الإمامِ أحمدَ ـ رحمه الله ـ: فإنْ لمْ يسمعْ صوتَ إمامِه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٣٤٨)، وكذا بوَّب البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٧).

(٢) رواه البخاري (٩٨٣)، كتاب: الاستسقاء، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ معلقاً بصيغة الجزم، وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٣٩٢).

المشروعِ دعا، وإن سمعَ، فهل يؤمِّنُ، أو يدعو، أو يخيِّرُ بينهما، أو يتابعه في الثَّناء، ويؤمِّنُ علىٰ دعائه؟ حُكي عنه فيه رواياتٍ [1].

قال ابنُ رجب في «شرح الفاتحة» الفصل الخامس: في التَّأمين علىٰ الدُّعاء في غير الفاتحة: فأمَّا السَّامعُ للدعاءِ والمستمعُ له، فينبغي أنْ يؤمِّنَ علىٰ الدُّعاء، كما في القنوتِ.

وقال أصحابنا: يُستَحَبُّ للسَّامعِ أن يؤمِّن أو يدعو، خيَّروه بينهما.

ثمَّ قال: فأمَّا الدَّاعي نفسُه، فقال أصحابنا: لا يؤمِّن، وقالتْ طائفةٌ، منهم ابنُ عطيَّةَ: يُشرَعُ لكلِّ داعٍ أن يؤمِّن، واستدلُّوا بحديث: «اختمْ بآمين» [2].

وعن معاذٍ: أنَّه كانَ إذا قرأَ آخرَ البقرةِ قال: «آمين» [3].

قال: وبالقياس علىٰ تأمينِ الإمامِ علىٰ دعاءِ العامَّةِ، وقد دلَّ علىٰ استحبابِ التَّأمين للمستمعِ للدُّعاءِ أحاديثُ منها، حديثُ ارتقىٰ المنبر، فقال: «آمين» [4].

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٦/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٩٣٨)، كتاب: الصلاة، باب: التأمين وراء الإمام، عن أبي زهير النميري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٧٦).

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٩١)، وغيرهما عن مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن أبي هريرة، وكعب بن عجرة، وجابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وكان ابنُ مسعود إذا ختمَ القرآن جمعَ أهلَه، فأمَّنوا علىٰ دعائه [1]، ولمْ يزلِ السَّلفُ والنَّاسُ علىٰ ذلك إلىٰ زماننا.

■ ○ ■

(١) ذكره ابن قدامة في «المغني» (١/ ٤٥٨). والمشهور: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فعلُه، كما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٠٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٧٤)، وغيرهما.

فصـــل

[استحباب الخضوع والخشوع في الدُّعاء]

ويُستَحَبُّ الخشوعُ في الدُّعاءِ والمسكنةُ والافتقارُ والخضوعُ والذُّلُّ والانكسارُ، وتركُ التجبُّرِ والتكبُّرِ.

قال الشيخُ شمسُ الدِّينِ بنُ عبد القويِّ [1] في كتابه «النَّظْم الكبير»، في باب: صلاةِ الاستسقاءِ [من الطويل]:

ويخضعُ نحوَ الأرضِ بالطَّرْفِ خاشعاً ... ويرفعُ كفَّ المستغيثِ المُجَهَّدِ

ويدعو دعاءَ المُخْبِتينَ بقلبِهِ ... دعاءَ غريقٍ في دجىٰ الليلِ مُفْرَدِ

---

(١) هو الإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد القوي بن بدران المرداوي المقدسي، كان من أعيان المذهب الحنبلي، ومحاسن الشيوخ، حسن الديانة، دمث الأخلاق، كثير الإفادة، درس بالمدرسة الصاحبية، وتخرج به جماعة من الفضلاء؛ كشيخ الإسلام أبي العباس. توفي سنة (٦٩٩ هـ)، وله تصانيف عدة؛ من أشهرها قصيدته الدالية التي نظم فيها كتاب «المقنع» لابن قدامة المتوفىٰ سنة (٦٢٠ هـ)، وسماه: «عقد الفرائد وكنز الفوائد»، واشتهرت بـ: «النظم الكبير»، كما ذكر المؤلف هنا، ثم أتبع هـٰذا النظم بنظم آخر في الآداب، جعله كالمقدمة له، وهو المشهور بـ: «منظومة الآداب». انظر: «المقصد الأرشد» (٢/ ٤٥٩)، و«شرح منظومة الآداب» للحجاوي (ص: ٣٤ ـ ٣٥).

فـإنَّ الـذي يـدعـوه يَـرْزُقُ مَـنْ عصـىٰ ... وفـــاتــحُ بـــابٍ للمطيــعِ ومعتـــدِ

ولكنَّمــا صــدْقُ الــرَّجــاءِ مفــاتــحُ الــ ... ــخزائـنِ فـادعُ واسْـعَ للفضـل واجتـدِ

ولا تقنطـــنْ مـــن رحمـــة الله إنَّمـــا ... قنــوطُ الفتــىٰ خُســرانُــه فــادعُ تهتــدِ

وقُــلْ بــانكســارٍ قــارعــاً بــابَ راحــمٍ ... قــريــبٍ مجيــبٍ بــالفــواضــلِ مبتــدِ

إلٰهـي أتـىٰ العـاصـون بـابَـك مـا لهـمْ ... سواك يزيلُ الأزل في الحاصلِ العَدِ

إليــك فــرزْنــا مــن عــذابِــكَ رهبــةً ... فــلا تطــردنَّــا مــن جنــابِــكْ وتُبعــدِ

دعــونــاك لــلأمــرِ الــذي أنـت ضــامــنٌ ... إجــابتَــه يــا غيــرَ مُخْلِــفِ مــوعــدِ

إليـــك مـــددْنـــا بـــالـــرَّجـــاءِ أكُفَّنـــا ... فحــاشــاكَ مــن ردِّ الفتــىٰ فــارغَ اليــدِ

ونـــادِ بقلـــبٍ خـــاشـــعٍ متضـــرعـــاً ... بمــا شئــتَ مــن كُــلِّ الــدُّعــا غيــرَ معتــدِ

■ ○ ■

فصـــل

ويُستَحَبُّ رفعُ اليدين في الدُّعاء

وقد ورد في الحديث: «أنَّ المؤمنَ إذا رفعَ يديه في الدُّعاءِ استحيا اللهُ أن يردَّهما صفراً خائبتين»[(١)].

وقد ورد رفعُ اليدين في الدُّعاء في أماكن.

قال ابنُ رجب: وقد رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه كان يرفعُ يديه في الدُّعاء، وأكثرُ ما رويَ عنه أنَّه كان يرفعُهما في صلاةِ الاستسقاءِ؛ فإنَّه كانَ يرفعُ يديه حتىٰ يُرىٰ بياضُ إبطيه[(٢)].

وفي «تجريد الأصول»[(٣)]، عن سلمانَ [قال]، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ حييٌّ كريمٌ، يستحي من عبدِهِ إذا رفعَ يديه إليه أن يرُدَّهما صِفراً»[(٤)].

---

(١) سيأتي تخريجه قريباً من حديث سلمان ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٣٠٠).

(٣) كتاب: «تجريد الأصول في أحاديث الرسول» للشيخ الإمام هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الجهني، شرف الدين، أبو القاسم الشافعي، (المتوفىٰ سنة: ٧٣٨ هـ)، جرَّد فيه «جامع الأصول» لابن الأثير ما زاد فيه من شرح الغريب والإعراب والتكرار. انظر: «كشف الظنون» (١/ ٥٣٦).

(٤) رواه أبو داود (١٤٨٨)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، والترمذي (٣٥٥٦)، كتاب: =

وفي «صحيح البخاري»، لمَّا دخلَ الرَّجلُ وطلبَ من رسولِ اللهِ ﷺ الاستسقاءَ، قال: فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه[1].

وقال البخاريُّ، بابُ: رفعِ النَّاسِ أيديَهم مع الإمامِ في الاستسقاءِ[2].

ثم روىٰ حديثَ أنسٍ، قال: أتىٰ رجلٌ أعرابيٌّ من أهلِ البدوِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ يوم الجمعةِ، فقال: يا رسولَ اللهِ! هلكت الماشية، هلك العيالُ، هلك النَّاسُ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديه، ورفعَ النَّاسُ أيديَهم معَ رسولِ اللهِ ﷺ يدعون[3].

وعن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ رفعَ يديه حتَّىٰ رأيْتُ بياضَ إبطيه[4].

ثمَّ ذكر البخاريُّ بعده، باب: رفعِ الإمامِ يديه في الاستسقاءِ[5]، ثمَّ ذكرَ حديثَ أنسٍ، وفي الحديث: أنَّه رفعَ يديه حتَّىٰ رأينا بياضَ إبطيه[6].

= الدعوات، باب: (١٠٥)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٨٦٥)، كتاب: الدعاء، باب: رفع اليدين في الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٦)، وغيرهم، وزادوا إلا أبا داود: «خائبتين».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٣٤٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره البخاري في «صحيحه» (٥/ ٢٣٣٥)، معلقاً بصيغة الجزم، وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٣٩٣).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٣٤٩).

(٦) رواه البخاري (٩٨٤)، كتاب: الاستسقاء، وعنده: «... وإنه يرفع حتىٰ يرىٰ بياض إبطيه».

وعن أنسٍ، قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يرفعُ يدَيْه في الدُّعاءِ حتَّىٰ يُرىٰ بياضُ إبطيه [١]، ولم يذكرْ في هـٰذه الرواية الاستسقاءَ.

وعن سهلِ بنِ سعدٍ، قال: ما رأيتُ النَّبيَّ ﷺ شاهراً يديه قطُّ، يدعو علىٰ منبرٍ ولا غيرِه، ما كان يدعو إلاَّ يضعُ يديه حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ويشيرُ بإصبعه إشارةً [٢].

وعن أبي موسىٰ: لمَّا فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ من حُنَيْنٍ، بعثَ أبا عامرٍ علىٰ جيش فلقيَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ، فقُتِلَ دريدُ، وهَزَمَ اللهُ أصحابَه.

وقال أبو موسىٰ: وبعثني معَ أبي عامرٍ، فرُمِيَ أبو عامرٍ في ركبتهِ، رماه جُشَمِيٌّ بسهمٍ فأثْبَتَهُ في ركبتِهِ، فانتهيتُ إليه، فقلتُ: يا عمُّ! مَنْ رماكَ؟ فأشارَ إلىٰ أبي موسىٰ، فقالَ: ذلك قاتلي الذي رَماني، فقصدْتُ له، فلحقْتُه، فلمَّا رآني ولَّىٰ، فاتَّبَعْتُه، وجعلتُ أقولُ له: ألا تستحي؟ ألا تلبَثُ؟ فكفَّ، فاختلفنا ضربتين بالسَّيفِ، فقتلتُه، ثمَّ قلتُ: أبا عامرٍ! قتلَ اللهُ صاحبَك، قال: فانزِعْ هـٰذا السَّهمَ، فنزعتُه، فنزا منه الماءُ. قال: يا بنَ أخي! أقرِئ لي النَّبيَّ ﷺ السَّلامَ، وقل له: استغفرْ لي، واستخلَفَني أبو عامر علىٰ النَّاس، فمكثَ يسيراً ثُمَّ مات، فرجعْتُ فدخلْتُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ في بيته علىٰ سريرٍ مُرَمَّل، وعليه فراشٌ، قَدْ أثَّر رمالُ السَّرير

---

(١) رواه مسلم (٨٩٥)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء.

(٢) رواه أبو داود (١١٠٥)، كتاب: الصلاة، باب: رفع اليدين علىٰ المنبر، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨٣)، وغيرهم، وهـٰذا لفظ الإمام أحمد.

بظهرِه وجنبيه، فأخبرْتُه بخبرِنا وخبرِ أبي عامرٍ، وقال: قلْ له: استغفرْ لي، فدعا بماءٍ فتوضَّأ، ثمَّ رفع يديه، فقال: «اللهمَّ اغفرْ للعُبَيْدِ أبي عامرٍ»، ورأيتُ بياضَ إبطَيْهِ، ثمَّ قالَ: «اللهمَّ اجعلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ من خَلْقِك، منَ النَّاسِ» [1].

وعن أبي برزة الأَسْلَميِّ: أنَّ النبيَّ ﷺ رفعَ يديه في الدُّعاءِ [2].

وعن عمرَ بنِ الخطَّابِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ يومَ بدرٍ استقبلَ القبلةَ، ثمَّ مَدَّ يديه فجعلَ يهتفُ بربِّه: «اللهمَّ أنجِزْ لي ما وعدْتني، اللهمَّ إنْ تَهلِكْ هـٰذه العِصابةُ من أهلِ الإسلامِ لا تُعْبَدْ في الأرضِ، فما زالَ يهتفُ بربِّه مادّاً يديه، مُسْتَقِبلَ القبلةِ، حتَّىٰ سقطَ [رداؤه عَنْ منكِبَيْهِ]» [3].

وعن عمر: أنَّه رأىٰ النَّبيَّ ﷺ قائماً يدعو، رافِعَاً كفيه قِبَل وجهِهِ، ولا يجاوزُ بهما رَأْسَه، مقبِلاً ببطنِ كفَّيهِ إلىٰ وجهِهِ [4].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٦٨)، كتاب: المغازي، باب: غزوة أوطاس، ومسلم (٢٤٩٨)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي موسىٰ وأبي عامر الأشعريين ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٤٤٣)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧٤٤٠).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٨): أبو هلال صاحب أبي برزة لم أعرفه، ويزيد بن أبي زياد مختلف فيه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٦٦١٤)، عن عمير مولىٰ أبي اللحم ـ رضي الله عنه ـ.

ورُوِيَ: أنَّه كان ﷺ إذا دعا جعلَ باطنَ كفَّيهِ إليه، وإذا استعاذَ جعلَ ظهرَهما إليه [1].

وفي صفةِ الرَّفعِ خمسةُ أنواعٍ [2]:

أحـدِها: أنَّ الرَّفعَ لمْ يكنْ رفْعَاً، إنَّما كانَ إشارةً بالأصبعِ الواحدةِ إلىٰ السَّماءِ، وفي هـٰذا أحاديثُ تُذْكَرُ، وليستْ بشيءٍ، لكنْ في بعضِ المواضعِ وردتْ الإشارةُ بالأصبعِ، ولكنْ قد وردَ الرَّفعُ غيرَ الإشارةِ، فيكونُ الرَّفعُ شيءٌ، والإشارةُ شيءٌ.

النَّوعِ الثَّاني: رفعُ اليدين وبسطُهما، وجعلُ بطنِهما إلىٰ السَّماءِ، وقد ورد في هـٰذا أحاديثُ.

قال ابنُ رجبٍ في «شرح البخاري»: وهـٰذا هو المتبادِرُ إلىٰ الفهمِ [3].

النَّوعِ الثَّالثِ: أنْ يرفعَ يدَيْه، ويجعلَ ظهرَهما إلىٰ القِبْلةِ، وبطونَهما مما يلي وجْهَهُ، وقد وردَ فيه أحاديثُ، وتقدَّم بعضُها. قلتُ: وهـٰذا هو المتبادِرُ إلىٰ الفهمِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٥٦)، من حديث خلاد بن السائب الأنصاري.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٨): رواه أحمد مرسلاً، وإسناده حسن.
وقال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ١٠٠): فيه ابن لهيعة.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٠٥ ـ ١٠٦)، و«فتح الباري» له أيضاً (٦/ ٣٠٢)، وما بعدها.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٣٠٤).

الرابعِ عكسُ الثَّالثِ: وهو أن يجعل ظهورَهما ممَّا يلي وَجْهَ الدَّاعي، وقد وردَ فيه أحاديثُ أيضاً.

النَّوعِ الخامسِ: أنْ يقلِبَ كفَّيه، ويجعلَ ظهورَهما ممَّا يلي السَّماءَ، وبطونَهما ممَّا يلي الأرضَ، مَعَ مدِّ اليديْنَ ورفعِهِما إلىٰ السَّماء، وفيه أحاديثُ أيضاً.

ويَمْسَحُ بيديه بعْدَ رفعِهِما وَجْهَهُ، لِمَا روىٰ عمرُ بنُ الخطَّابِ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رفعَ يديه في الدُّعاء، لم يَحُطَّهُمَا حتَّىٰ يمسحَ بهما وَجْهَهَ، وقال محمَّد بن المُثَنَّىٰ في حديثه: «لم يردَّهُما»، رواه التِّرمذي، وقال: حديثٌ غريب [1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء، وقال: صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن عيسىٰ، وقد تفرد به، وهو قليل الحديث، وقد حدث عنه الناس.

قال النووي في «شرح المهذب» (٣/ ٤٦٣): ذكر الشيخ عبد الحق ـ الإشبيلي ـ هٰذا الحديث في كتابه «الأحكام»، وقال: قال الترمذي: وهو حديث صحيح، وغلط في قوله: إن الترمذي قال: هو حديث صحيح، وإنما قال: غريب.

ونقل عنه الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٥٢): أن كلام الترمذي هٰذا ليس في النسخ المعتمدة، بل فيها أنه غريب.

والحديث قد رواه أيضاً: عبد بن حميد في «مسنده» (٣٩)، والبزار في «مسنده» (١٢٩)، وضعفه، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٠٥٣)، وفي «الدعاء» (٢١٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦٧).

والحديث مداره علىٰ حماد بن عيسىٰ الجهني، وقد ضعفه الأئمة كأبي زرعة؛ كما في «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٤٠)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٦٧)، وفي «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٨٦)، =

واختلفَ كلامُ أحمدَ، هل يَمْسَحُ وجهَه بيديه بعد الفراغِ منْ دعاءِ القنوتِ ؟ على روايتين عنه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضيَ عنه -[1].

■ ○ ■

= والترمذي والبزار - كما تقدم عنهما -. وذكر ابن حجر في «بلوغ المرام» (٤/ ٢١٩ - «سبل السلام»): أنَّ له شواهد منها: حديث ابن عباس عند أبي داود وغيره، ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن.

(١) الصحيح منهما: أنه لا يمسح. انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٨٣ - ٤٨٤).



فصـــل
وتُسْتَحَبُّ الإشارةُ في الدُّعاءِ

ولهـٰذا وردتِ الإشارةُ في التشهُّدِ.

وفي حديث سهلِ بنِ سعدٍ، قال: ما رأيتُ النَّبيَّ ﷺ شاهِرًا يديه قطُّ، يدعو علىٰ منبرٍ ولا غيرِه، ما كان يدعو إلَّا يضع يديه حذوَ منكبيه، ويشيرُ بأصبعِه إشارةً [١].

وقد رُوِيَ عنه ﷺ: أنَّه أشار بأصبعه بعَرَفَةَ [٢].

ورُوِيَ أنه أشارَ بأصبعه لمَّا رَكِبَ راحِلَتَهُ، وقال: «اللهمَّ أنْتَ الصَّاحبُ في السَّفر» [٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كما جاء في حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ الطويل في «صحيح مسلم» (١٢١٨): أن النبي ﷺ قال بإصبعه السبابة يرفعها إلىٰ السماء وينكتها إلىٰ الناس: «اللهم اشهد» ثلاث مرات.

(٣) رواه النسائي (٥٥٠١)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من كآبة المنقلب، والترمذي (٣٤٣٨)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج مسافراً، وقال: حسن غريب، وغيرهما، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وعن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّه قال: إذا دعا أحدُكم فهٰكذا، ورفعَ أصبعَه المُشيرةَ، وهٰكذا، ورفعَ يديه جميعاً [١].

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ، قال: الاستغفارُ أن تشيرَ بأصبعٍ واحدةٍ [٢].

وعن عائشة ـ رضيَ الله عنها ـ، قالتْ: إنَّ اللهَ يحبُّ أن يُدعىٰ هٰكذا، وأشارتْ بالسَّبَّابة [٣].

وعن ابن الزُّبَيْر ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، قال: إنَّكم تدعون، أفضلَ الدُّعاءِ هٰكذا، وأشارَ بأصبعه [٤].

وعنِ ابنِ سيرينَ، قال: إذا أَثنيتَ علىٰ اللهِ، فأشِرْ بأصبعٍ واحدةٍ [٥].

وعن سمعانَ، قال: بَلَغَنا أنَّه الإخلاصُ [٦].

■ ○ ■

---

(١) رواه الوليد بن مسلم في «كتاب الدعاء» كما عزاه ابن رجب في «فتح الباري» (٦/٣٠٣).

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٩)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، ومن طريقه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٩/٤٨٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٤٣١)، إلا أن عنده: «وأشارت بأصبع واحدة».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٦٨٩).

(٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٠٥).

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه، لٰكنه ذكره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

فصل

ويُستَحبُّ الدُّعاءُ مُستَقْبِلَ القبلةِ وغيرَ مستقبلِ القبلةِ

وقد بوَّبَ البخاريُّ علىٰ كلٍّ منهما؛ فذكرَ في باب: الدُّعاءِ مستقبلَ القبلةِ[1]، حديثَ عبدِ الله بن زَيْدٍ، قال: خرج النَّبيُّ ﷺ إلىٰ هـٰذا المُصَلَّىٰ يستسقي، [فدعا واستسقى]، ثم استقبلَ القبلةَ وقلَبَ رداءَه[2].

وذكر في باب: الدُّعاء غيرَ مستقبلِ القبلةِ[3]، حديثَ أنسٍ في الاستسقاء في خُطْبةِ الجمعةِ[4].

وكان أحمدُ الهَمَدانيُّ لا يدعو شيئاً إلَّا مستقبلَ القبلةِ[5].



---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٣٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٣)، كتاب: الدعوات، ومسلم (٨٩٤)، في أول كتاب: صلاة الاستسقاء.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٣٥).

(٤) وقد تقدم تخريجه.

(٥) وجاء ذلك أيضاً عن: وكيع بن الجراح، كما روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٩).
وعن سفيان الثوري، كما روىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٩٣٧).
وعن سليمان بن موسىٰ، كما روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨٧)، وعن غيرهم.



فصــل

والســؤال لا ينبغي إلاَّ لله

ولا ينبغي للخَلْقِ، كما في حديثِ وصيَّةِ ابنِ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: «إذا سألتَ فاسْأَلِ اللهَ» [1]، فأَمَرَ بإفرادِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالسُّؤالِ، ونهىٰ عن سؤالِ غيرِهِ من الخلقِ، وقد أمرَ الله تعالىٰ بِسُؤَالِهِ، فقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[النساء: ٣٢].

وفي التِّرمذيِّ، عن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «سلوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فإنَّ اللهَ يُحِبُّ أن يُسْأَلَ» [2].

وفيه عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «مَنْ لا يَسْأَلِ اللهَ يغضبْ عليهِ» [3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧١)، كتاب: الدعوات، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٨٨)، وفي «الدعاء» (٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٢٤)، وأشار الترمذي والبيهقي إلىٰ ضعفه؛ لتفرد حماد بن واقد به، وهو ليس بالقوي عندهم.

(٣) تقدم تخريجه.

وفيه ـ أيضاً ـ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّيْنَ في الدُّعاء»[1].

وفي حديث آخرَ: «لِيَسْأَلْ أحدُكُمْ ربَّه حاجَتَهُ كلَّها، حتَّىٰ يسألَه شِسْعَ نَعْلِهِ إذا انقطعَ»[2].

وفي المعنىٰ أحاديثُ كثيرةٌ، وفي النَّهيِ عن سؤالِ الخلقِ أحاديثُ كثيرةٌ صحيحةٌ.

وفي حديث مسعودِ بن عمروٍ مرفوعاً: «لا يزالُ العبدُ يسألُ، وهو غنيٌّ، حتىٰ يَخْلِقَ وجْهَهُ، فما يكونُ له عندَ اللهِ وجهٌ»[3].

وفي «صحيح البخاريِّ» عنه ﷺ: «لا يزالُ العبْدُ يسألُ حتَّىٰ يأتيَ يومَ القيامةِ، وليس علىٰ وجهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»، وقال: «إنَّ الشَّمسَ تدنو منَ

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٢٠)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٨٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ١٦٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٦٩)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وإسناده ضعيف، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٩٥)، وفي «تلخيص الحبير» (٢/ ٩٥)، وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٩٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٠٤)، كتاب: الدعوات، باب: ليسأل الحاجة مهما صغرت، وقال: غريب، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٣٤٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٦٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٦)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٣/ ٩٦ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٣٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٥٨١)، وإسناده ضعيف، كما نصَّ عليه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٨٢)، وكذا الهيثمي، وغيرهما. =

النَّاسِ. . . »، وذكر بقيَّةَ الحديثِ [1].

وفيه عنه ﷺ: «لِيأْخُذَ الرَّجلُ حبْلَهُ فيغدو فيحتطبُ، خيراً من أن يسألَ النَّاسَ أعطَوْه أو منعُوْه» [2].

وقد بايعَ النبيَّ ﷺ جماعةٌ من أصحابه علىٰ ألَّا يسألوا النَّاسَ شيئاً، منهم: الصِّديقُ، وأبو ذرٍّ، وثوبانُ [3]، وكان أحدُهم يسقطُ سَوْطُه أو خِطَامُ ناقَتِهِ فلا يسألُ أحداً أن يناولَهُ ـ رضي الله عنهم ـ [4].

قال ابنُ رجبٍ في «نور الاقتباس» [5]: واعلمْ أنَّ سؤالَ اللهَ تعالىٰ دونَ خلقِهِ هو المُتَعيَّنُ عقلاً وشرعاً، ودلَّلَ من وجوهٍ متعددةٍ، منها:

أنَّ السؤالَ فيه بذلٌ لماءِ الوجهِ، وذِلَّةٌ للسَّائلِ، وذلك لا يصلحُ إلَّا للهِ وحدَه، فلا يصلحُ الذُّلُّ إلَّا له بالعبادةِ والمسألةِ، وذلك من غاياتِ المحبَّةِ الصَّادقة.

وكان الإمامُ أحمدُ ـ رضي الله عنه ـ، يقول: اللهمَّ كما صُنْتَ وجهي

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٥)، كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثراً، ومسلم (١٠٤٠)، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البخاري (١٤٠١)، و(١٤٠٢)، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، عن أبي هريرة، والزبير بن العوام ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩١).

(٤) رواه مسلم (١٠٤٣)، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس، عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس» لابن رجب (ص: ٦٨)، وما بعدها.

عن السُّجودِ لغيرِكَ، فَصُنْهُ عنِ المسألةِ لغيرِكَ [١].

وقال أبو [الخير] [٢] الأقطعُ: كنتُ بمكَّةَ سنةً، فأصابتْني فاقةٌ وضُرٌّ، فكنْتُ كلَّما أردْتُ أن أخرجَ إلىٰ المسألةِ هتفَ بي هاتفٌ يقولُ: الوجهُ الذي يسجدُ لي لا تبذُلْهُ لغيري [٣].

وفي هٰذا المعنىٰ يقول بعضهم [من الكامل] [٤]:

ما اعتاضَ باذلُ وجهِهِ بسؤالِهِ ... بدلاً وإن نالَ [الغنىٰ] [٥] بسُؤالِ

وإذا السُّؤالُ معَ النَّوالِ وزنْتَه ... رَجَحَ السُّؤالُ وخفَّ كلُّ نَوالِ

فإذا ابتُلِيتَ ببذْلِ وجهِك سائلاً ... فابذُلْه للمتكرِّمِ المِفْضَالِ

ولهٰذا المعنىٰ كانتْ عقوبةُ مَنْ أكثرَ منَ المسألةِ بغيرِ حاجةٍ أن يأتيَ يومَ القيامةِ وليس علىٰ وجهه مُزْعَة لحمٍ، كما ثبت ذلك في «الصحيحين» [٦]؛ لأنَّه أذهبَ عِزَّ وجههِ وصيانَتَه في الدُّنيا، فأذهبَ اللهُ من وجههِ في الآخرةِ جمالَه وبهاءه الحِسِّيَّ، فيصيرُ عَظْماً بغيرِ لحمٍ، ويذهبُ جمالُه وبهاؤه المعنويُّ، فلا يبقىٰ له عندَ اللهِ وجاهةٌ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٣).

(٢) في الأصل: «الحسن».

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٤) هو محمد بن عبد الله المؤدب، كما ذكر ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص: ١٤٦)، وانظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٢١٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨/ ٣٣٠).

(٥) في الأصل: «العلا».

(٦) وتقدم تخريجه قريباً.

ومنها: أنَّ السؤالَ عبوديةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّها إظهارُ الافتقارِ إليه، والاعترافُ بقدرتهِ علىٰ قضاءِ الحوائجِ، وفي سؤالِ المخلوقِ ظُلْمٌ؛ لأنَّ المخلوقَ عاجزٌ عن جَلْبِ النَّفعِ لنفسه ودفع الضَّرَرِ عنها، فكيف يقدر علىٰ ذلك لغيره، وسؤالُه إقامةٌ له مقامَ من يقدرُ، وليس هو بقادرٍ.

ويشهد لهٰذا المعنىٰ الحديثُ الذي في «صحيح مسلم»، عن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ: «يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وإِنْسَكم وجِنَّكم، قاموا في صَعِيْدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألَتَهَ، ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عندي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا غُمِسَ في البحرِ» (١).

وفي التِّرمذيِّ وغيره زيادةٌ في هٰذا الحديث: «وذلك بأنِّي جوادٌ واحدٌ ماجدٌ، أفعلُ ما أريدُ، عطائي كلامٌ، وعذابي كلامٌ، إذا أردت شيئاً، إنَّما أقولُ له: كنْ فيكونُ» (٢)، فكيفَ يُسْأَلُ الفقيرُ العاجزُ، ويُتْرَكُ الغنيُّ القادرُ، إنَّ هٰذا لأعجبُ العَجَبِ؟!

قال بعضُ السَّلف: إنِّي لأستحيي منَ اللهِ أن أسأَلَه الدُّنيا، وهو يملِكُها، فكيفَ أسألُها منْ لا يملكُها ـ يعني: المخلوقَ ـ (٣).

وحصلَ لبعض السَّلفِ ضيقٌ في معيشتِه، حتَّىٰ همَّ أن يطلُبَ منْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٥)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٤٨)، وقال: حسن، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٤)، وغيرهما.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩)، عن بنت أم حسان الأسدية ـ رحمها الله ـ.

إخوانه، فرأىٰ في منامه قائلاً يقول له: أَيَحْسُنُ بالحُرِّ المُرِيْد، إذا وجدَ عندَ الله ما يريد، أن يميلَ بقلبِهِ إلىٰ العبيد، فاستيقَظَ وهو من أغنىٰ النَّاسِ قلباً [١].

وقال بعضُ السَّلفِ: قرأتُ في بعضِ كتبِ اللهِ المُنْزَلةِ: يقولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: «أَيُؤَمَّلُ غيري للشَّدائدِ، والشَّدائدُ بيدي، وأنا الحيُّ القيُّومُ ؟! وتُرَجِّي غيري، وتطرُقُ بابَه بالبُكُرَاتِ، وبيدي مفاتيح الخزائن، وبابي مفتوح لمن دعاني ؟! من ذا الذي أمَّلني لنائبة، فقطعتُ به ؟! أو من ذا الذي رَجَاني لعظيم، فقطعتُ رَجَاه ؟! أو مَنْ ذا الذي طرَقَ بابي فلَمْ أفتَحْهُ لَهُ ! أنا غايةُ الآمالِ، فكيفَ تنقطعُ الآمالُ دوني ؟! أبخيلٌ أنا فيُبَخِّلُني عبدي ؟! أليس الدُّنيا والآخرةُ، والكرمُ والفضلُ كلُّه لي ؟! فما يمنعُ المُؤَمِّلين أن يؤمِّلوني ؟! لو جَمَعْتُ أهلَ السَّمـٰوتِ والأرضِ، ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ، وبلَّغْتُ كلَّ واحدٍ منهم أَمَلَهُ، لمْ يَنْقُصْ ذلك من مُلْكي عُضْوَ ذَرَّةٍ [٢]، فكيف يَنْقُصُ مُلْكاً أنا قيِّمُه ؟! يا بُؤْساً للقانطين من رحمتي!، ويا بؤساً لمن عصاني، وَتَوثَّب على محارمي!» [٣].

وعن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «يَنْزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، حين يبقىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخرُ، فيقولُ: من

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٥)، عن أبي عبد الله النَّباجي.

(٢) الذرَّة: هي واحدة الذرِّ، وهي صغار النمل. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (ص: ٥٠٦).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٢٩).

يَدْعُوني فأستجيبَ له ؟ ! ومن يسألُني فأُعْطِيَهُ ؟ ! ومن يستغفرُني فأَغْفِرَ له ؟ !» [(١)].

وعنه ـ أيضاً ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ينزلُ اللهُ إلىٰ سماء الدُّنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثُلُثُ الليلِ الأوَّلُ، فيقولُ: أنا المَلِكُ، أنا المَلِكُ، مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ !، من ذا الذي يسألُني فأُعْطِيَهُ؟ !، من ذا الذي يستغفرُني فأغفرَ له؟ !، فلا يزالُ كذلك حتَّىٰ يُضيءَ الفجرُ» [(٢)].

وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا مضىٰ شَطْرُ اللَّيلِ أو ثُلُثَاه، ينزلُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، فيقولُ: هلْ من سائلٍ يُعطىٰ؟ !، هل من داعٍ يُستجابُ له؟ !، هل من مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ له؟ !، حتىٰ ينفجرَ الفجرُ» [(٣)].

وعنه ـ أيضاً ـ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزلُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلىٰ سماءِ الدُّنيا لشَطْرِ الليلِ، أو ثُلُثِ الليلِ الآخرِ، فيقولُ: من يدعوني فأستجيبَ له؟ !، أو يسأَلُني فأعْطِيَهُ؟ !، ثم يقول: من يُقْرِضُ غيرَ عديمٍ ولا ظَلُوْمٍ ؟!» [(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٤)، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٢) رواه مسلم (٧٥٨) (١/ ٥٢٢)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٣) رواه مسلم (٧٥٨) (١/ ٥٢٢)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، إلا أنه قال: «حتىٰ ينفجر الصبح».

(٤) رواه مسلم (٧٥٨) (١/ ٥٢٢)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في=

ومن طريق آخر: «ثم يبسُطُ يديه ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فيقولُ: من يُقْرِضُ غيرَ عدومٍ، ولا ظَلُوْمٍ ؟!»[1].

وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يُمْهِلُ، حتىٰ إذا ذهب ثلثُ اللَّيلِ الأوَّلُ نزل إلىٰ سماء الدُّنيا، فيقولُ: هل من مستغفرٍ ؟! هل من تائبٍ ؟! هل من سائلٍ ؟! هل من داعٍ ؟! حتىٰ ينفجر الفجر»[2].

والله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يحبُّ من يسألُه، ويغضبُ علىٰ من لا يسألُه؛ فإنَّه يريدُ من عباده أن يرغبوا إليه، ويسألُوه، ويدعوه، ويفتقروا إليه، ويحبُّ المُلِحِّين في الدُّعاء، والمخلوقُ غالباً مكره أن يُسْأَلَ؛ لفقرِه وعجزِه.

قال ابنُ السَّمَّاكِ: لا تسألْ من يفرُّ منك مِنْ أَنْ تسأَلَهُ، وسلْ من أَمَرَكَ أن تسألَه[3].

وقال أبو العتاهية [من الكامل]:

لا تسألَنَّ أخاك يوماً حاجةً ... وسلِ الذي أبوابُه لا تُحجَبُ
اللهُ يغضبُ إنْ تَرَكْتَ سؤالَهُ ... وبُنيُّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

= الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(١) رواه مسلم (٧٥٨) (١/ ٥٢٢)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٢) رواه مسلم (٧٥٨) (١/ ٥٢٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٠).

فـاجعـلْ سـؤالَـكَ لـلإلـهِ فـإنَّمـا   فـي فضـلِ نعمـةِ ربِّنـا تتقلَّـبُ [(١)]

وكان يحيىٰ بنُ معاذٍ يقول: يا منْ يغضبُ علىٰ من لا يسألُه، لا تمنعْ من قدْ سألَكَ [(٢)].

وأنشد بعضُهم [من الطَّويل]:

أبـا مـالِـكٍ لا تسـألِ النَّـاسَ والتمـسْ
بكفَّيْـكَ فضـلَ اللهِ فـاللهُ أوسـعُ
ولـو يُسْـأَلُ النَّـاسُ التُّـرابَ لأوشكـوا
إذا قيـلَ [لهـم] [(٣)] هـاتُـوا أن يَمَلُّـوا ويَمْنَعُـوا [(٤)]

والله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يستدعي من عبادِه سؤالَه، وينادي كلَّ ليلةٍ: «هلْ من سائلٍ فأعطِيَهُ سؤالَه؟ !، هل من داعٍ فأستجيبَ له؟ !»، كما ثبت في «الصَّحيحين» [(٥)].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة:١٨٦]، فأيَّ وقتٍ دعاه العبدُ وَجَدَه أمامَه، قريباً مجيباً، ليس بينه وبينه حاجبٌ، ولا بوَّابٌ.

---

(١) لم أجده في «ديوانه»، وانظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٧١)، وعنه نقل المؤلف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٩٧).

(٣) كذا في الأصل، وهي زيادة مخلة بالوزن.

(٤) البيتان لابن الأعرابي، كما ذكر أبو العباس ثعلب في «مجالسه» (٢/ ٤٣٣)، والبيت الثاني منه في «لسان العرب» (١٠/ ٥١٣).

(٥) تقدم تخريجه.

وأما المخلوقُ؛ فإنه يمتنعُ بالحُجَّابِ والأبوابِ، ويعْسُرُ الوصولُ إليه في غالبِ الأوقاتِ.

قال طاوسُ لعطاءٍ: إيَّاك أن تطلبَ حوائجَك إلىٰ من يُغْلِقُ دونَك بابَه، ويجعلُ دونَها حُجَّابَه، وعليك بمن بابُه مفتوحٌ إلىٰ يومِ القيامةِ، أَمَرَك أنْ تَسْأَلَه، وَوَعَدَكَ أن يجيبَك [1].

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ لبعض العلماء: ألمْ أُخْبَرْ أنَّك تأتي الملوكَ وأبناءَ الملوكِ، تحملُ إليهم عِلْمَك؟، ويحك! تأتي مَنْ يغلقُ عليك بابَه، ويُظْهِرُ إليك فقرَه، ويوراي عنك غِناه، وَتَدعُ من يفتَحُ بابَهُ منتصفَ الليلِ، ومنتصفَ النَّهارِ، ويُظْهِرُ لك غِناه، ويقول: ادْعُني أَستَجِبْ لك [2].

ورأىٰ ميمونُ بن مُهرانَ النَّاسَ مجتمعين علىٰ بابِ بعضِ الأمراءِ، فقال: مَنْ كانتْ له حاجةٌ إلىٰ سلطانٍ يَحْجُبُهُ؛ فإنَّ بيوتَ الرَّحمـٰنِ مُفَتَّحةٌ، فليأتِ مسجداً، فليصلِّ ركعتين، ثم لِيَسْأَلْ حاجتَه [3].

وكان بَكْرٌ المُزَنِيُّ، يقول: مَنْ مِثْلُكَ يا ابنَ آدمَ! متىٰ شئتَ تطهَّرْتَ ثم ناجيتَ ربَّك، ليس بينك وبينه حاجبٌ، ولا تَرْجُمان [4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٤٣٥).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٠٤)، وابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٤٠)، بلفظ: «من مثلك يا ابن آدم! خلِّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت=

وسأل رجلٌ بعضَ الصَّالحين أن يشفَعَ له في حاجةٍ إلىٰ بعضِ المخلوقين، فقال: أنا لا أترُكُ باباً مفتوحاً، وأذهبُ إلىٰ بابٍ مغلقٍ [1].

وفي هـٰذا المعنىٰ قال بعضُهم [من الوافر] [2]:

وأَفْنِيَـــةُ الملـــوكِ مُحَجَّبَـــاتٌ ... وبَـــابُ اللهِ مبـــذولُ الفِنَـــاءِ

وقال آخر [من الكامل] [3]:

قُـلْ للـذيـن تحصَّنُـوا عـنْ سـائـلٍ ... بمنـــازلٍ مِـــنْ دُونِهـــا حُجَّـــابُ

إنْ حـــالَ دونَ لقـــائِكـــمْ بَـــوَّابُكـــمْ ... فـــاللهُ ليـــس لبِـــابِـــهِ بَـــوَّابُ

وقال الشَّيخ موفَّقُ الدِّين ـ رضي الله عنه ـ، فيما نقله عنه أبو شَامةَ ـ عفا الله عنه ـ [من مجزوء الكامل المُرفَّل]:

لا تَجْلِسَـــــنَّ ببـــابِ مَـــنْ ... يـــأبـــىٰ عليـــكَ دخـــولَ دارِهْ

وتقـــولُ حـــاجـــاتـــي إليـ ... ـــه يعـــوقُهـــا إنْ لـــمْ أُدَارِهْ

اتْـــرُكـــه واقصـــدْ ربَّهَـــا ... تُقضـــىٰ وربُّ الـــدَّارِ كـــارِهْ [4]

= علىٰ الله، ليس بينك وبينه ترجمان».

(١) ذكره ابن مفلح في «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» (١/ ١٥٢)، عن ابن الجوزي، قال: حدثني أبو الحسن بن غرسة قال: فذكره.

(٢) هو علي بن الجهم، كما في «ديوانه» (ص: ٨١)، بتحقيق خليل مردم بك.

(٣) هو الشاعر العباسي أبو الحسن جحظة البرمكي، كما رواه عنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٨)، وانظر: «ديوانه» (ص: ٤٤)، جمع: جان عبد الله توما.

(٤) وكذا نسب ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ١٠٠) هـٰذه الأبيات إلىٰ الشيخ الموفق، فقال: قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: نقلت من خط الشيخ موفق ـ رحمه الله ـ: فذكر الأبيات. =

وللشَّيخ موفَّقِ الدِّينِ ـ أيضاً ـ، فيما وجدتُه في ترجمته [من البسيط]:

لا تسألِ النَّاسَ واسألْ رازقَ النَّاسِ ... واليأسُ منهمْ غِنًىٰ فاستغْنِ باليأْسِ
واسترزقِ اللهَ مِمَّا في خزائِنِهِ ... فإنَّ ربَّك ذو فضْلٍ علىٰ النَّاسِ
فليس للنَّاسِ أن يُعطوك خَرْدَلَةً ... ولا يُعيذُوك من فَقْرٍ وإفلاسِ

ومن كلام بعض المتقدِّمين: يا ربُّ! عجيبٌ لمَنْ يعرفُكَ كيفَ يرجو غيرَكَ! عجيبٌ لمنْ يعرفُك، كيف يستغني بغيرِك [1].

وما أحسنَ قولَ القائلِ [من الطويل] [2]:

فليتَك تحلو والحياةُ مريرَةٌ ... وليتك ترضىٰ والأنامُ غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ ... وبيني وبينَ العالَمِيْن خَرَابُ
إذا صحَّ منْك الوُدُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ

فمن تحقَّقَ أنَّ كلَّ مخلوقٍ فوقَ التُّرابِ فهو ترابٌ، فكيف يُقَدِّم طاعةَ شيءٍ من التُّرابِ علىٰ طاعةِ ربِّ الأربابِ؟! أمْ كيف يُرضي التُّرابَ، ويُسخطُ الملكَ الوهَّاب؟! إنَّ هٰذا لعُجاب.

= وقد رواها الحافظ أبو طاهر السِّلفي في «معجمه» (ص: ٣٨٢)، عن أبي القاسم مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلِّي، أنه أنشده لنفسه بمصر هٰذه الأبيات، وانظر: «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني (٢/ ٨٧)، وفي الأصل: «اتركها» بدل «اتركه» والصواب ما أثبت.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٨١ ـ ١٨٢)، عن وهيب بن الورد، أن رجلاً قال: . . .، وفيه: «. . . كيف يستعين علىٰ أمره غيرك».

(٢) هو أبو فراس الحمداني، كما في «ديوانه» (ص: ٤١)، بتحقيق الدكتور محمد التونجي.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾[فاطر: ٢].

وقال: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[يونس: ١٠٧].

وقال: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر: ٣٨].

وقال تعالىٰ حاكياً عن نبيِّه ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، أنه قال لقومه: ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[يونس: ٧١].

وقال حاكياً عن نبيِّه هود: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[هود: ٥٤ ـ ٥٦].

وقال بعضهم [من البسيط] (١):

مـا قـدَّرَ اللهُ لـي لا بـدَّ يُـدْرِكُنـي ... مَنْ ذا الذي يدفعُ المَقْدورَ بالحَذَرِ

اللهُ أولـىٰ بنـا مِنَّـا بـأنفُسِنـا ... إنْ نحـنُ إلاَّ ممـاليـكٌ لمقتَـدِرِ

وشكا رجل إلىٰ الفُضَيْلِ الفاقَةَ، فقال له الفضيلُ: أمُدَبِّراً غيرَ الله تريد؟! (٢).

---

(١) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٣).

وسألَ رجلٌ ثابتاً البُنانيَّ أن يشفعَ له إلىٰ قاضٍ في قضاءِ حاجةٍ له، فقام ثابتٌ معه، فكان كلَّما مرَّ بمسجد في طريقه، دخلَ فصلَّىٰ فيه ودعا، فما وصل إلىٰ مجلس القاضي إلَّا وقدْ قامَ منه، فعاتَبه طالبُ الحاجةِ في ذلك، فقال: ما كنتُ إلَّا في حاجتك، فقضىٰ الله حاجته، ولم يحتَجْ إلىٰ القاضي [1].

وكان إسحاقُ بنُ عَبَّادٍ المصريُّ نائماً، فرأىٰ في منامه قائلاً يقولُ له: أَغِثِ المهلوفَ، فاستيقظَ فسألَ: هل في جيرانه محتاجٌ؟ قالوا: ما ندري، ثمَّ نامَ، فأتاه ثانياً وثالثاً، فقال له: تنامُ ولم تُغِثِ الملهوفَ؟! فقامَ وأخذَ معه ثلاثَ مئةِ درهمٍ، وركبَ بَغْلَه وخرجَ به من البصرةِ، حتَّىٰ وقفَ به علىٰ بابِ مسجدٍ، فصلَّىٰ فيه علىٰ الجنائز، فدخلَ المسجدَ، فإذا رجلٌ يصلِّي، فلمَّا أحسَّ به انصرفَ، فدنا منه، فقال له: يا عبدَ الله! في هـٰذا الوقتِ؟! في هـٰذا الموضع؟! ما حاجتُك؟ فقال: أنا رجلٌ كانَ رأسُ مالي مئةَ درهمٍ، فذهبتْ من بينِ يدي، ولَزِمَني دينٌ مئتا درهمٍ، فأخرجَ له الدَّراهمَ، وقال: هـٰذه ثلاثُ مئةٍ خذها، فأخذَها، ثم قال له: أتعرفُني؟ قال: لا، قال إسحاقُ بن عبَّادٍ: فإنْ نابتْك نائبةٌ فائتني؛ فإنَّ منزلي في موضعِ كذا، فقال له: رحمَك الله، إن نابتنا نائبةٌ فَزِعْنا إلىٰ مَنْ أخرَجَك في هـٰذا الوقتِ، حتىٰ جاء بك إلينا [2].

وعن شقيقٍ البَلْخِيِّ، قال: كنتُ في بيتي قاعداً، فقالتْ لي أهلي:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩١).

ما ترىٰ ما بهـٰؤلاء الأطفال من الجوع؟، ولا يحلُّ لك أن تحمِلَ عليهم ما لا طاقةَ لهم به، قال: فتوضَّأْتُ، وكان لي صديقٌ لا يزال يُقْسِمُ علىٰ الله إنْ تكنْ لي حاجةٌ أن أُعْلِمَه بها، ولا أكتُمُها عنه، فخطرَ ذِكْرُه ببالي، فلمَّا خرجْتُ من المنزلِ مرَرْتُ بالمسجدِ فذكرْتُ ما رُويَ عن أبي جعفرٍ، قال: مَنْ عَرَضَتْ له حاجةٌ إلىٰ مخلوقٍ فليبدأْ فيها باللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فدخلتُ المسجدَ وصلَّيْتُ ركعتين، فلمَّا كنتُ في التَّشهُّد أُفْرِغَ عليَّ النَّوْمُ، فرأيتُ في منامي أنَّه قيلَ: يا شقيقُ! أتدُلُّ العبادَ علىٰ الله، ثم تنساه!، فاستيقظتُ وعلمْتُ أنَّ ذلك تنبيهٌ نبَّهني به ربِّي، فلمْ أخرُجْ من المسجد حتَّىٰ صلَّيْتُ العِشاءَ الآخرةَ، ثم انصرفْتُ إلىٰ المنزل فوجدْتُ الذي أردتُ أن أقصِدَهُ قد حرَّكَهُ اللهُ، وأجرىٰ لأهلي علىٰ يديه ما أغناهم [1].

وعن إبراهيمَ بنِ أدهمَ: أنَّه خرجَ إلىٰ الغزوِ مع أصحابه، وأنَّهم تناهدوا، فوضعَ كلُّ واحدٍ منهم ديناراً، ففكَّر فيمنْ يقصِدُ من إخوانه ويستقرضُ منه، ثم استفاقَ فبكىٰ، وقال: واسوأتاهُ! أطلبُ من العبيدِ وأتركُ مولاهم؟!، فيقول لي: من كان أحقَّ أن يُطْلَبَ منه؛ أنا أو عبيدي؟! ثم توضَّأَ وصلَّىٰ وخرَّ ساجداً، وقال: يا ربِّ! قد علمْتَ ما كان منِّي، وذلك بخطأي وجهلي؛ فإن عاقبْتَني عليه فأنا أهلٌ لذلك، وإن عفوتَ عنِّي فأنتَ أهلٌ لذلك، وقد عرفْتَ حاجتي، فاقضِها برحمَتِكَ، ثم رفَعَ رأسَه، فإذا هو بنحو أربعِ مئةِ دينارٍ، فتناولَ منها ديناراً واحداً وذهبَ [2].

---

(١) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٧٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٦)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق»=

وجاء رجلٌ إلىٰ أحمدَ بنِ عائشةَ، فقال: سلْ لي فلاناً في كذا، فقال: قمْ معي فصلِّ ركعتين، واللهَ اللهَ؛ فإنِّي لا أتركُ باباً مفتوحاً، وأقصدُ باباً مغلقاً [1].

وروىٰ الشَّيخُ أبو الفرجِ في «تاريخه الكبير» بإسناده عن الحسن بن سفيان النَّسويِّ الحافِظِ، أنَّه كان مقيماً بمِصْرَ مع جماعةٍ من أصحابه يكتبون الحديثَ، فاحتاجوا فباعُوا ما معهم، حتَّىٰ لم يبقَ لهم ما يُباعُ، وبقُوا ثلاثةَ أيامٍ جياعاً لم يجدوا شيئاً يأكلون، وأصبحوا في اليومِ الرَّابعِ، وقد عزمُوا علىٰ المسألة؛ لشدَّةِ الضَّرورة، فاقترعوا علىٰ من يسألُ لهم، فخرجت القُرْعَةُ علىٰ الحَسَن بن سفيان، قال: فتحيَّرْتُ ودَهِشْتُ، ولم تسامحني نفسي بالمسألة، فعَدَلْتُ إلىٰ زاويةِ المسجدِ أصلِّي ركعتين طويلتين، وأدعو الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لكشفِ الضُّرِّ، وسياقَة الفرجِ، فلمْ أفرُغْ من الصَّلاةِ حتىٰ دخلَ المسجدَ رجلٌ معه خادمٌ في يده منديلٌ، فقال: مَنْ بينكم الحسنُ بن سفيان؟ فرفعتُ رأسي من السُّجود، وقلتُ: أنا، فقال: إنَّ الأمير ابنَ طولونَ يُقرِئُكم السَّلامَ والتَّحيَّةَ، ويتعذَّرُ إليكم في الغَفْلَةِ عن تفقُّد أحوالِكم، والتَّقصيرِ الواقعِ في رعايةِ حقوقِكم، وقد بعثَ إليكم بما يكفي نفقةَ الوقتِ، وهو زائرُكم غداً، ومعتذرٌ إليكم بلفظه، ووضع بين يدي كلِّ واحد مِنَّا صُرَّةً فيها مئةُ دينارٍ، قال: فتعجَّبْنا وسألناه عن السَّببِ، فقال: إنَّه كان اليومَ نائماً، فرأىٰ فارساً في الهواء يقول له: قمْ فأدركِ

= (٦/ ٣٢٥)، وانظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٧٤)، وقوله: «تناهدوا»: أي: أخرج الرُّفقة ما عندها من النفقة بالسويَّة في السفر.

(١) تقدم ذكره، لكن عن ابن الجوزي، قال: حدثني أبو الحسن بن غرسة، قال: فذكره.

الحسنَ بنَ سفيانٍ وأصحابَه؛ فإنَّهمْ منذُ ثلاثةِ أيَّامٍ جياعٌ في المسجدِ الفلانيِّ، فقال له: من أنتَ؟ فقال: أنا رضوانُ صاحبُ الجنَّة، قال الحسن: فشكَرْنا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وأصلحْنا أحوالَنا، وسافرْنا تلك الليلةَ من مصرَ خشيةَ أن يزورَنا الأميرُ فيطَّلعَ النَّاسُ علىٰ أسرارِنا، فيكونَ ذلك سببَ ارتفاعِ اسمٍ، أو انبساطِ جاهٍ، ويتَّصلَ ذلك بنوعٍ من الرِّيَاء والسُّمْعَةِ[1].

وروىٰ ـ أيضاً ـ بإسناد له عن محمَّدِ بن هارونَ الرَّوْيَانيِّ: أنَّه اجتمعَ هو ومحمَّدُ بنُ نصرٍ المَرْوزِيِّ، ومحمَّد بن علوية الورَّاق، ومحمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيْمَةَ، فذكر معنىٰ هـٰذه الحكاية، وأنَّ المصلِّي الدَّاعي كان هو ابنَ خزيمةَ.

وبإسنادٍ آخرَ، أنَّ الأربعةَ كانوا: محمَّدَ بنَ جريرٍ، ومحمَّدَ بنَ نصرٍ، ومحمَّدَ بنَ خزيمةَ، ومحمَّدَ بنَ هارون[2].

■ ○ ■

---

(١) ورواها الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤).
قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٦٢): رواها الحافظ عبد الغني في الرابع من الحكايات، عن أبي زرعة إذناً، عن الحسن بن أحمد السمرقندي، عن بشرويه، فالله أعلم بصحتها، ولم يلِ طولون مصر، وأما ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية، ولا أعرف ناقلها، وذلك ممكن.

(٢) ورواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٩٢)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٢٧٠)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي (٢/ ٢٥١).



فصـــل
[الاستعانةُ لا تنبغي إلاَّ بالله]

والاستعانةُ ـ أيضاً ـ لا ينبغي أن يستعانَ إلاَّ باللهِ، كما في الحديثِ: «وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ»[1]، وفي هٰذا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «احْرصْ علىٰ ما ينفعُك، واستعِنْ بالله»[2]، وعلَّمَ النبيُّ ﷺ أصحابَه أن يقولوا: «الحمدُ لله نستعينُه ونستهديهِ».

وفي دعاء القُنُوْتِ: «اللهمَّ إنَّا نستعينُكَ ونستهديكَ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٠٢٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٢١٠)، وغيرهم، عن عمر ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه، بإسناد صحيح، كما ذكر البيهقي، وقد صحَّ عن غيره من الصحابة أيضاً؛ كعلي، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ.
وجاء مرفوعاً، كما رواه البيهقي في «سننه» (٢/ ٢١٠)، عن خالد بن أبي عمران، مرسلاً. ولفظ الجميع: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك».

وقيلَ: إنَّ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لمَّا ضَرَبَ البحرَ فانفلقَ [قال]: «اللهمَّ لك الحمدُ، وإليك المُشْتكىٰ، وأنت المُسْتَعانُ، وعليك التُّكْلانُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك»(١).

وفي قصّةِ يعقوبَ: أنّه قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨].

وقال موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾[الأعراف: ١٢٨].

وقال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لنبيِّه ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

ولما بُشِّرَ عثمانُ بالجنَّةِ علىٰ بلوىٰ تصيبُه، قال: «الله المُسْتَعان»(٢).

فالعبدُ محتاجٌ إلىٰ الاستعانةِ بالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في فعلِ المأموراتِ، وتركِ المَحْظُوراتِ، والصَّبْرِ علىٰ المقدوراتِ.

وقال النَّبيُّ ﷺ في غزوة حُنَيْنٍ [لمَّا] لقيَ العدوَّ: «يا مالكَ يومِ الدِّينِ، إياكَ نعبد وإيَّاكَ نستعينُ»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٩٤)، وفي «المعجم الصغير» (٣٣٩)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، دون قوله: «وعليك التكلان»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٣): وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه البخاري (٣٤٩٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، ومسلم (٢٤٠٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، عن أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ، وهٰذا لفظ البخاري.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٦٣)، وفي «الدعاء» (١٠٣٣)، والديلمي في=

وقال ابن الزُّبَيْرِ في وصيَّتِهِ لابنه عبدِ الله بقضاءِ دَينهِ: إن عَجَزْتَ فاستعِنْ بمولاي [(١)].

وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ في أوَّلِ خُطبةٍ خَطَبَها علىٰ المنبر: ألا إن الفرية حمل أَنِفٌ، قد أخذتُ بخِطامِهِ، ألا وإنِّي حامِلُه علىٰ المَحَجَّةِ، مستعينٌ بالله عليه [(٢)].

ولما حُضِرَ [(٣)] خالدُ بنُ الوليدِ، قال رجلُ مِمَّن حولَه: والله إنَّه ليسوءُه ـ يعني: الموتَ ـ، فقالَ خالدٌ: أجلْ، فأستعينُ بالله [(٤)].

وبكىٰ عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ عند موتِهِ، وقال: إنَّما أبكي علىٰ حرِّ النَّهارِ، وبرْدِ القيامِ؛ ـ يعني: الصِّيامَ والقيامَ ـ، قال: وإنِّي أستعينُ اللهَ علىٰ مَصْرَعِي هـٰذا بينَ يديه [(٥)].

= «مسند الفردوس» (٨١٤٣)، عن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٨): فيه عبد السلام بن هاشم، وهو ضعيف.
ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٩٧)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، إلا أنه ليس فيهما تعيين الغزوة التي قال فيها ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٢٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٤٣٠).
(٢) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٨٠).
(٣) أي: نزل به الموت.
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ١١٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٧٣).
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ١٤٠)، ومن طريقه البيهقي في «شعب =

وكتبَ الحسنُ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ـ رحمهما اللهُ ـ: لا تستعِنْ بغيرِ الله، يبكِّتك الله [1].

وقال بعضهم [من مجزوء البسيط] [2]:

فاستغْنِ بالله واستعِنْه   فإنَّه خيرُ مستعانِ

■ ○ ■

= الإيمان» (٣٩٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٩).

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩٣)، وعنده: «لا تستعن بغير الله، فيكلك الله إليه». ومعنىٰ يبكتك: يقرعك ويعنّفك.

(٢) هو سمعان الصيرفي، كما رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٩٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٤٦)، وعندهما:

فاسترزق الله واستعنه   فإنه خير مستعان

فصـــل

[فضيلة الدَّاعين والذَّاكرين]

وأهلُ الدُّعاءِ والخيرِ والذِّكرِ في الدُّنيا ألذُّ من أهلِ اللذَّة، قال مالكُ بن دينارٍ: رأيتُ بالبحرينِ قصْراً مشيْداً طريَّاً، وعلىٰ بابه مكتوبٌ [من الوافر]:

طلبــتُ العيــشَ أسعــدَ نــاعميــه ... وعِشْــتُ مِــنَ المعــايــشِ فــي نعيــمِ

فلــمْ ألبــثْ وربِّ النــاسِ طَــوْرَاً ... سُلِبْــتُ مــن الأقــاربِ والحميــمِ

فقلتُ: ما هـٰذا القصرُ؟ فقالوا: هـٰذا أنعمُ أهلِ البحرينِ، ماتَ فأوصىٰ أن يُدْفَنَ في قصرهِ، وأن يُكْتَبَ علىٰ بابه هـٰذا الكلامُ. قال مالكٌ: فعجبتُ من معرفتهِ، فهلاَّ يستقبلُه الموتُ بتوبةٍ، ثم بكىٰ مالكٌ؛ إذ غُمِسَ أنعمُ النَّاسِ كانَ في الدُّنيا في العذابِ غمسةً، قيل له: هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: [لا] يا ربّ! [1]

ففي الحقيقةِ النَّعيمُ الذي لا ينفَدُ هو طاعةُ اللهِ وذكرُه ومحبَّتُه، والأُنسُ به، والشوقُ إلىٰ لقائِهِ؛ فإنَّ هـٰذا نعيمٌ لأهلهِ في الدُّنيا.

---

(١) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص: ٢٨٦).

قال مالكُ بن دينارٍ: في بعضِ الكتبِ يقولُ اللهُ تعالىٰ: أيُّها الصَّادقون! تنعَّموا بذكري؛ فإنَّ لكمْ في الدُّنيا نعيماً، وفي الآخرة جزاءً [1].

وقال: ما تنعَّمَ المتنعِّمُونَ بمثلِ ذكرِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ [2].

وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو يعلمُ الملوكُ ما نحنُ فيه، لجالَدُونا عليه بالسُّيوف [3].

وقال أبو سليمانَ: أهلُ الليلِ في ليلهم ألذُّ من أهلِ اللهوِ في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببْتُ البقاءَ في الدُّنيا، وإنَّه ليمرُّ علىٰ القلب أوقاتٌ يضحكُ فيها ضحكاً [4].

وكان بعضُ العارفين يقول: إنَّه لتمرُّ بي أوقاتٌ أقول: إنْ كانَ أهلُ الجنَّةِ في مثلِ ما أنا فيه، إنَّهم لفي عيشٍ طيِّبٍ [5].

وقال بعضُهم: مساكينُ أهلُ الدُّنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيبَ ما فيها؛ ـ يعني: محبَّةَ اللهِ وذكرَه ومعرفتَه ـ [6].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٢١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ٨١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٢).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، عن أبي سليمان الداراني.

(٥) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي (ص: ٣٤٧).

(٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٨٩)، و«شرح حديث لبيك» كلاهما =

وقيل [من البسيط]:

أهلُ المحبَّةِ قومٌ شأنُهم عَجَبُ   يقودُهُم حَزَنٌ يهتزُّهُمْ طَرَبُ
العيشُ عَيْشُهُمُ والمُلْكُ مُلْكُهمُ   ما النَّاسُ إلا هُمُ بانوا أو اقتربوا [(1)]

قال ابنُ رجبٍ: فهٰذا نعيمٌ في الدُّنيا، فإذا انقلبوا إلىٰ البرزخِ فهمْ في نعيمٍ أزْيَدَ مِنْ ذلك، كما قال بعضُ السَّلف: أنعمُ النَّاسِ أجساداً في التُّراب، [قد] أَمِنَتِ العذاب، وانتظرتِ الثَّواب [(2)].

قال ابن القيِّم في كتاب «الوابل الصَّيِّب»: وسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميةَ ـ قدَّس اللهُ روحَه ـ يقول: إنَّ في الدُّنيا جنَّةً، من لم يدخلها لمْ يدخلْ جنَّةَ الآخرةِ [(3)].

وقال مرَّةً: ما يصنعُ أعدائي بي، أنا جنَّتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقُني، أنا حبسي خَلْوَةٌ، وقتلي شهادةٌ، وإخراجي من بلدي سِياحةٌ.

وكان في حبسهِ ـ في القلعةِ ـ، يقول: لو بذلتُ مِلءَ هٰذه القَلْعَةِ ذهباً، ما عَدَلَ عندي شُكْرَ هٰذه النِّعمةِ، أو قال: ما جزيْتُهُمْ علىٰ ما تسبَّبوا لي فيه من الخَيْرِ، ونحو هٰذا [(4)].

= لابن رجب (ص: ٦٨).

(١) انظر: «شرح حديث لبيك» لابن رجب (ص: ٦١ ـ ٦٢).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٦٢).

(٣) انظر: «الوابل الصيِّب» (ص: ٦٩)، و«مدارج السالكين» كلاهما لابن القيم (١/ ٤٥٤).

(٤) انظر: «الوابل الصيِّب» لابن القيم (ص: ٦٩ ـ ٧٠).

وقال مرَّةً: المحبوسُ من حُبِسَ قلبُه عن ربِّه، والمأسورُ من أَسَرَهُ هواه [1].

وقال ابن القيِّم عنه: إنه صلَّىٰ الفجرَ يوماً وقعدَ يذكرُ إلىٰ قريبِ الظُّهرِ لا يتكلَّمُ، ثمَّ قامَ، وقال: هٰذه غُدْوتي، ولولاها لسقَطَتْ قوَّتي، أو كما قال [2].

■ ○ ■

(١) المرجع السابق (ص: ٧٠).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦٣).

فصـــل
[محبَّتُه سبحانه وتعالىٰ للدُّعاء]

والله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يحِبُّ الدُّعاءَ، كما تقدَّم، وكما رُوِيَ عن صالحِ بنِ مِسْمَارٍ، قال: بلغَنا أنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أرسلَ إلىٰ سليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بعد موتِ أبيه ـ داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مَلَكاً من الملائكةِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ، فقال المَلَكُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: إنَّ ربِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أرسلني إليك لتسألَهُ حاجةً، فقال سليمانُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: فإنِّي أسألُ ربِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن يجعلَ قلبي يحبُّه، كما كان قلبُ أبي داودَ يحبُّه، وأسألُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن يجعلَ قلبي يخشاه، كما كان قلبُ أبي داودَ يخشاه، فقال الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أرسلتُ إلىٰ عبدي ليسألَني حاجةً، فجعلَ حاجتَه إليَّ أنْ أجعلَ قلبَه يحبُّني، وأجعلَ قلبَه يخشاني، وعزَّتي لأكرمنَّه، فَوَهَبَ له مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ، ثمَّ قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[صٓ: ٣٩ ـ ٤٠] [(١)].

■ ○ ■

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩)، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٨٩) إلىٰ الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن المنذر في «تفسيره».



فصــل

ومن أعظم ما ينفع الميّتَ الدُّعاءُ

قال شبيب بن شيبة: أوصتْني والدتي عندَ موتِها، فقالتْ: يا بنيَّ! إذا أنتَ دفنْتَني فقمْ عليَّ، وقلْ: يا أُمَّ شيبة!، قولي: لا إلـٰه إلاَّ اللهُ، فقلتُ ذلك، ثمَّ انصرفتُ إلىٰ منزلي، فلما كانَ الليلُ رأيتُها في المنامِ، فقالتْ: يا ولدي! جزاكَ اللهُ خيراً، فلولا أنَّك أدركْتني بقولِ: لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، لهلكتُ [1].

وقال الفضلُ بن الموفَّقِ: لمَّا ماتَ أبي جَزِعْتُ عليه جَزَعَاً شديداً، وكنتُ آتي قبْرَه كلَّ يومٍ، ثمَّ إنّي قصَّرْتُ عن ذلك ما شاءَ اللهُ، ثمَّ إنِّي أتيتُه يوماً، فبينا أنا جالسٌ عند القبرِ غلبتْني عيناي، فنمتُ، فرأيتُ كأنَّ قبرَ أبي قد انفرجَ، وكأنَّه قاعدٌ في قبرِه متوشِّحاً أكفانَه، عليه سِحْنَةُ الموتىٰ، قال: فكأنِّي بكيتُ، فلمَّا رأيتُه، قال: يا بنيَّ! ما بطَّأَك عنِّي؟ قلتُ: وإنَّك لتعلمُ بمجيئي! قال: ما جئتَ مرَّةً إلاَّ علمتُها، وقد كنتَ تأتيني فأُسَرُّ بك، ويُسَرُّ مَنْ حولي بدعائِك، قال: فكنتُ آتيه بعد ذلك كثيراً [2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص: ١٨٧).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠٣).

وعن عثمانَ بن سَوْدَةَ الطُّفاوي، قال: ـ وكانتْ أمُّه من العابداتِ، وكان يقال لها: راهبةٌ ـ، قال: لما حُضِرَتْ رفعتْ رأسَها إلىٰ السَّماءِ، وقالت: يا ذُخْري وذخِيْرتي! ومَنْ عليه اعتمادِي في حياتي وبعدَ مَوتي، لا تخذُلْني عندَ الموتِ، ولا تُوْحِشني في قَبري.

قال: فلمَّا ماتتْ، فكنتُ آتيها في كلِّ جمعةٍ، فأدعو لها، وأستغفرُ لها، ولأهلِ القبور، فرأيتُها ذات يومٍ في منامي، فقلتُ: يا أُمَّه! كيفَ أنتِ؟ قالت: أيْ بنيَّ! إنَّ الموتَ لكُرْبةٌ شديدةٌ، وإنِّي بحمدِ الله لفي برزخٍ محمودٍ، يُفْرَشُ فيه الرَّيْحانُ، ونتوسَّدُ فيه السُّنْدسَ والإستبرقَ إلىٰ النُّشورِ. فقلتُ لها: ألكِ حاجةٌ؟ قالتْ: نعم، قلتُ: ما هي؟ قالت: لا تدعْ ما كنتَ تصنعُ من زيارتِنا، والدُّعاءِ لنا؛ فإنِّي لأسُرُّ بمجيئك يومَ الجمعةِ، إذا أقبلْتَ من أهلِكَ يقالُ لي: يا راهبةُ! هـٰذا ابنُك قدْ أقبلَ، فأُسَرُّ ويُسَرُّ بذلك من حَوْلي من الأمواتِ [1].

وعن أبي قِلابةَ، قال: أقبلْتُ من الشَّامِ إلىٰ البصرةِ، فنزلْتُ منزِلاً، فتطهَّرْتُ، وصلَّيتُ ركعتين بليلٍ، ثم وضعتُ رأسي علىٰ قبرٍ فنمْتُ، ثمَّ انتبهتُ، فإذا صاحبُ القبر يشتكي، يقولُ: قد آذيتني منذُ الليلةِ، ثمَّ قال: إنَّكم قوم تعملون ولا تعلمون، ونحن قوم نعلمُ ولا نقدِرُ علىٰ العملِ، ثمَّ قال: إنَّ الرَّكعتين اللتين ركعتَهما خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ثمَّ قال: جزىٰ اللهُ أهلَ الدُّنيا خيراً، أقرِئْهم منَّا السَّلامَ؛ فإنَّه يدخلُ علينا من دعائهم نورٌ أمثالُ الجبالِ [2].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٠٦).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٤٩٢).

وعن بِشرِ بنِ منصورٍ، قال: لمَّا كان زمنُ الطَّاعونِ، كان رجلٌ يتخلَّف إلىٰ الجَبَّان، فيشهدُ الصَّلاةَ علىٰ الجنائزِ، فإذا أمسىٰ وقفَ علىٰ بابِ المقابرِ، فقال: آنسَ اللهُ وحْشَتكم، ورَحِمَ غُرْبَتكُمْ، وتجاوزَ عن مسيئِكم، وقَبِلَ حسناتِكم، لا يزيدُ علىٰ هؤلاءِ الكلماتِ، قال: فلمَّا كانَ ذاتَ ليلةٍ، انصرفتُ إلىٰ أهلي ولمْ آتِ المقابرَ فأدعوَ، كما كنتُ أدعو، قال: فبينا أنا نائمٌ إذا بخلْقٍ كثيرٍ قدْ جاؤوني، قلت: مَنْ أنتم؟ وما حاجتُكم؟ قالوا: نحنُ أهلُ المقابرِ. قلتُ: ما حاجتُكم؟ قالوا: إنَّك عوَّدْتنا منك هديَّةً عندَ انصرافِك إلىٰ أهلِك، قلتُ: وما هي؟ قالوا: الدَّعَواتُ التي كنت تدعو بها، قلتُ: فإنِّي أعودُ لذلك، فما تركتُها بعدُ [1]، وهٰذا البابُ فيه شيءٌ كثيرٌ.

■ ○ ■

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٠). وقوله: «يتخلَّف إلىٰ الجبَّان»؛ أي: يتردد كثيراً إلىٰ المقبرة.



فصـــل

فليُحْضِرِ الدَّاعي والذَّاكرُ مَنْ يَشْهدُ له بالدُّعاءِ، ولو جماداً

قال بعضُ الصَّالحين: كان رجلٌ يصلِّي في الصَّحْراءِ، فجعلَ في مِحْرابه سبعةَ أحجارٍ، وكانَ يقولُ إذا فَرَغَ من صلاتِه: يا أحجارُ! أُشْهِدُكُمْ أنِّي أشهدُ ألاَّ إلـه إلاَّ الله، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ، فلمَّا ماتَ رأيتُه في المنامِ، فسألتُه عن حالِهِ، فقال: أُمِرَ بي إلىٰ النَّارِ، فإذا حجرٌ من تلك الأحجارِ قد جاءَ وعَظُمَ حتىٰ سدَّ البابَ الذي أُمِرَ بي إليه، فذُهِبَ بي إلىٰ البابِ الثاني، فإذا البابُ قد سدَّه حجرٌ آخر، فلمْ أزلْ مِنْ بابٍ إلىٰ بابٍ حتىٰ سُدَّتِ السَّبعُ أبوابٍ [1].



(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٢٤١)، عن عبد العزيز بن أبي رواد.

فصــل

ولا يحدِّثِ الدَّاعي نفسَه إلاَّ بخيرٍ، ولا يقلْ إلا خيراً

رُوِيَ أنَّ بعضَ الصَّالحين قامَ ليلةً يتهجَّدُ، فسبقتْه مدامِعُه، فقالَ: يا ربّ ! ما ترحمُ بكاءً ! فنودِيَ: إن شئْتَ فابكِ، وإن شئتَ فلا تبكِ، لو بكيتَ الدِّماءَ ما صلَحْتَ لنا [١].

وفي الحديث الصَّحيح: «يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرني» [٢].

وفي التِّرمذيِّ، وغيره: «إذا دعاني؛ فإنْ تقرب إليَّ شبراً، تقربْتُ إليه ذراعاً، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعاً، تقرَّبْتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هَرْوَلَةً» [٣].

اللهمَّ إنَّا لا نرجو رحمتك بأعمالنا، ولـٰكنْ نرجوها بكرمِك الزَّائدِ يا أرحمَ الرَّاحمين.

■ ○ ■

---

(١) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٢٤).

(٢) تقدم تخريجه عند البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) تقدم تخريجه، وهو قطعة من الحديث المشار إليه آنفاً.

فصــل

في بعضِ أخبارِ من أُلْهِمَ دعاءً

منه: قصَّةُ آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لمَّا تابَ الله عليه، فقال له: قلْ: «لا إلـٰه إلَّا أنت، سبحانكَ اللهمَّ وبحمدك، ظلمْتُ نفسي، وعَمِلْتُ السُّوءَ، فتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التوَّابُ الرَّحيم»، فقالها آدم، ثمَّ قال له ربُّه، قلْ: «لا إلـٰه إلَّا أنت، سبحانك اللهمَّ وبحمدِك، ظلمْتُ نفسي، وعملت السُّوء، فارحمْني، إنَّك أنت أرحمُ الرَّاحمين».

وفي رواية أخرىٰ: قل: «لا إلـٰه إلَّا أنت، سبحانكَ اللهمَّ وبحمدك، ظلمْتُ نفسي، وعملت السُّوءَ، فاغفرْ لي، إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيم» [1].

هـٰذا الدُّعاء الذي أُلْهِمَهُ آدمُ حين هَبَطَ من الجنَّة.

ومنه: قصَّة يوسفَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: أنَّ جبريلَ علَّمه هـٰذا الدُّعاءَ ـ لمَّا أراد أن يذهَبَ عنه، وذكر أنه يستوحِشُ ـ: «يا صريخَ المُسْتَصْرِخين، ويا غياثَ المُسْتَغِيثين، ويا مفرِّجَ كَرْبِ المَكْروبين، قدْ ترىٰ مكاني، وتعلمُ

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٤٦ ـ «الدر المنثور» للسيوطي)، عن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب.
ورواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٩)، عن وهب بن منبه.

حالي، ولا يخفىٰ عليك شيءٌ من أمري»، قال: فلمَّا قالها، حَفَّت به الملائكة، فاستأنس [1].

ومنه قصَّة الشَّيخ أبي عمرَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [2] قال: أتيتُ ليلةً ـ وأنا فيما بين النَّائم واليقظان ـ، فأُلْهِمْتُ دعاءً، ثم انتبهتُ سَحَراً، فدعوتُ بسِراجٍ ودواةٍ وقِرْطاسٍ، فأثبتُّه كيلا أنساه، وهو هٰذا: اللهمَّ أَمِتْني طاهراً من الأقذارِ والأنجاسِ، مُخَلَّصاً من الذُّنوب والمظالمِ، سليماً من الذُّنوب والمعاصي، بريئاً من الشَّكِّ والشِّرْكِ والنِّفاقِ، حسنَ الظنِّ بك، راجياً

(١) وروىٰ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٥)، وفي «الدعاء» (١٤٥٩)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أتىٰ النبي ﷺ فعلمه هٰذا الدعاء: «يا نور السمٰوات والأرض، ويا جبار السمٰوات والأرض، ويا ذا الجلال والإكرام، يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا منتهىٰ رغبة الراغبين، والمفرج عن المكروبين، والمروح عن المغمومين، ومجيب دعوة المضطرين، وكاشف السوء، وأرحم الراحمين، وإلٰه العالمين، ننزل بك كل حاجة»، وإسناده ضعيف.

(٢) هو الإمام العالم، الفقيه المقرئ، المحدث، البركة، شيخ الإسلام، أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام المقدسي، الجمَّاعيلي، الحنبلي، الزاهد، كتب وقرأ وحصَّل وتقدم، وكان من العلماء العاملين، ومن الأولياء المتقين، وقد جمع له الحافظ الضياء سيرة في جزأين، فشفىٰ وكفىٰ، وقال: كان لا يسمع دعاء إلَّا ويحفظه في الغالب، ويدعو به، ولا حديثاً إلَّا وعمل به، ولا صلاة إلَّا صلاها.
قال الذهبي: قلت: كان قدوة، صالحاً، عابداً، قانتاً لله، ربانياً، خاشعاً، مخلصاً، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قلَّ أن ترىٰ العيون مثله، وقد استوفيت سيرته في «تاريخ الإسلام»، توفي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ سنة (٦٠٧ هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٢/ ٥)، و«العبر» له أيضاً (٥/ ٣٣٨)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٥٨)، و«المقصد الأرشد» لابن مفلح (٢/ ٣٤٦)، وغيرها.

رحمتَك، خائفاً من ذُنوبي وسيئاتي، ناطقاً بشهادة ألَّا إلـه إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسوَلُ الله، أَنْطِقْ بها عند الموت لساني، واجعلْها آخرَ كلامي، وثبِّتْني بالقولِ الثَّابتِ في الحياة الدُّنيا وفي الآخرةِ، مشروحَ الصَّدْرِ بالإسلام، منوَّرَ القلبِ بالقرآن، مُبَشَّراً برَوْحٍ ورَيْحان، وربٍّ غيرِ غَضْبانَ، راضياً بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ رسولاً ونبيّاً، مؤمناً بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والبعثِ، والنُّشورِ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ مَنْ في القبورِ، مُسْتَشْهِداً في سبيلك، مُرَاقَ الدَّمِ فيك، وفي رسولِك، مُحِبّاً للقائك، مبيَّضَ الوجهِ ببشرىٰ رُسُلِكَ، آمناً من الفَزَعِ الأكبرِ، غيرَ خائفٍ ولا حزينٍ، ولا قائلاً: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾[المؤمنون: ٩٩]، مناوَلاً كتابي باليمينِ، مرفوعَ الكتابِ في عِلِّيِّين، ثقيلَ الميزانِ بالحسناتِ، مغفورةً لي جميعُ السيئاتِ، رَطْبَ اللِّسان بذكرِك، ناطقاً بحمدِك، وشكرِك، خفيفَ الظَّهْرِ من المظالمِ والتَّبِعَاتِ، نقيَّ الكفِّ من الغُصُوبِ والظُّلَاماتِ، خاليَ البَطْنِ من الحرامِ والشُّبُهاتِ، مبَشَّراً ببِشارَةِ الصَّابرين؛ منَ الذين تتوفَّاهم الملائكةُ طيِّبينَ، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[النحل: ٣٢]، من الذين ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠]، مرفوعَ الدَّرجةِ، مكتوباً عندَك في المحسنين، مغفوراً لي خطيئاتي يومَ الدِّين، مخلوفاً في عَقِبي في الغابرين، محشوراً مع الذين أنعمت عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداءِ والصَّالحين، برحمتِك يا أرحمَ الرَّاحمين، واللهمَّ أيضاً: اللهمَّ من بابِك لا تطرِدْني، وإلى غيرِك لا تُحْوِجْني، وبغيرِك لا تَشْغَلْني، وعَنْ رحمتك لا تقطَعْني، ومن رَوْحك لا تُؤيسني، ومكْرَك لا تؤمِّني، وذِكْرَك لا تُنْسِني، والإيمانَ

بك لا تسلُبْني، وعن وجهك الكريم فلا تحجبني، ومع الظَّالمين فلا تجعلني، وبسيئاتي فلا تفضَحْني، وبنارِك فلا تَحْرِقْني، اللهمَّ من دخول جنَّتك فلا تَمْنعني، ومن رزقك الواسعِ لا تحرمْني.

وقيلَ: إنَّ الحافظَ إبراهيم[1] كان يُفْتَحُ له من الأدعيةِ ما لم يُفْتَحْ لغيرِه.

ومنه ما حُكِيَ عن الحسنِ البصريِّ، قال: رأيتُ رجلاً كأنَّه قد نُبِشَ من قبرٍ، فقلتُ: مالك يا هٰذا؟! قال: اكتمْ عليَّ أمري، حبسني الحَجَّاجُ من ثلاثِ سنينَ في أضيقِ حالٍ، وأسوأ عيشٍ، وأنا مع ذلك كلِّه صابرٌ لا أتكلَّمْ، فلمَّا كان بالأمسِ أَخْرَجَ جماعةً كانوا معي فضَرَبَ رقابَهمْ، وتحدَّث أعوانُ السِّجْنِ أنَّ غداً يضْرِبُ عُنُقِي، فأخذني حُزْنٌ شديدٌ، وبكاءٌ مفْرِطٌ، وأجرىٰ الله علىٰ لساني قولَه: إلٰهي اشتدَّ الضُّرُّ، ونَفِدَ الصَّبْرُ، وأنت المستعانُ.

ثم ذهب من الليل أكثرُه، فأخذتْني غَشْيَةٌ وأنا بين اليقظانِ والنَّائمِ، ثم

---

(١) هو الشيخ الإمام العالم، الزاهد، القدوة، الفقيه، بركة الوقت، عماد الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجمَّاعيلي، نزيل سفح قاسيون، وأخو الحافظ عبد الغني.
قال الشيخ موفق الدين: كان خيار أصحابنا، وأعظمهم نفعاً، وأشدهم ورعاً، وأكثرهم صبراً علىٰ التعليم، وكان داعية إلىٰ السنة، وكان من أكثر الناس تواضعاً واحتقاراً لنفسه، وخوفاً من الله، وكان كثير الدعاء والسؤال لله يطيل السجود والركوع، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٦١٤ هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٢/ ٤٧)، و«المقصد الأرشد» لابن مفلح (١/ ٢٢٧)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٥٧)، وغيرها.

أتاني آتٍ فقال: قُمْ وصلِّ ركعتين، وقلْ مثلَما أقولُ: يا منْ لا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، يا من أحاط علمُه بما ذَرَأَ وبَرَأَ، أنت عالمٌ بخفيَّاتِ غيوبِ الأمور، ومحصِي وساوسِ الصُّدورِ، وأنت بالمتكبِّرِ الأعلىٰ، وعلمُك محيطٌ بالمَنْزِلِ الأدنىٰ، تعاليتَ علوّاً كبيراً، يا مغيثُ أغثني، وفُكَّ أسْرِي، واكشِفْ ضُرِّي، فقد نَفِدَ الصَّبرُ.

فقمتُ فتوضَّأْتُ في الحال، وصلَّيتُ ركعتين، وتلوْتُ ما سمعتُه لم يختلَّ عليَّ منه كلمةٌ واحدةٌ، فلم أُتِمَّ القولَ حتىٰ سَقَط القيدُ من رجلي، ونظرتُ أبوابَ السِّجْنِ فرأيتُها قد فُتِحَتْ، فقُمْتُ وخرجتُ ولم يعارضْني أحدٌ، فأنا والله طليقُ الرَّحْمـٰنِ.

■ ○ ■



فصل

[ما ورد من الدُّعاء في القرون الماضية]

وَلْنذكُرْ نُبْذَةً ممَّا وردَ منَ الدُّعاءِ في القُرونِ الماضيةِ:

منه قصَّةُ داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لما ابْتُلِيَ بالمصيبةِ، وخرَّ ساجداً أربعينَ يوماً لا يأكلُ ولا يشربُ، وهو يبكي حتَّىٰ نبتَ العشبُ حولَ رأسهِ وهو ينادي ربَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ويسألُه، وكان يقولُ في سجودِهِ: سبحانَ خالقِ النُّورِ، الحائلِ بينَ القلوبِ، سبحانَ خالقِ النُّورِ، إلـٰهي خلَّيْتَ بيني وبينَ عدوِّي إبليسَ، فلمْ أقُمْ لفتنتِهِ؛ إذْ نزلَتْ بي، سبحانَ خالقِ النُّورِ، إلـٰهي لمْ أفارِقْ الزَّبور، ولم أتَّعِظْ بما وعظْتُ به غيري، إلـٰهي أمرْتَني أنْ أكونَ لليتيم؛ كالأبِ الرَّحيمِ، وللأرملةِ؛ كالزُّوحِ الرَّحيم، فنسيتُ عهدَك، سبحانَ خالقِ النُّورِ، إلـٰهي بأيِّ عينٍ أنظرُ إليك يومَ القيامةِ، وإنَّما ينظرُ الظَّالمون من طَرْفٍ خَفِيٍّ، سبحان خالقِ النُّور، إلـٰهي الويلُ لداودَ من الذَّنْب العظيمِ الذي أصابَ، سبحانَ خالق النُّور، إلـٰهي الويلُ لداودَ إذا كُشِفَ عنه الغطاءُ، فيقال: هـٰذا داودُ الخاطئُ، سبحانَ خالقِ النُّورِ، إلـٰهي أنتَ المغيثُ وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيثُ إلَّا المغيثَ، سبحانَ خالقِ النُّور، إلـٰهي إليك فرَرْتُ بذنوبي، واعترفتُ بخطيئاتي، فلا تجعلْني

من القانطين، ولا تُخْزِني يومَ الدِّين.

قال: فأتاه آت: أجائعٌ أنت فَتُطْعمَ؟ أظمآنُ أنت فَتُسقىٰ؟ أمظلومٌ أنت فتُنْصَرَ؟ ولم يجِبْهُ في ذكرِ خطيئاتِهِ. قال: فصاحَ صيْحَةً هاجَ ما حولَه، ثمَّ نادىٰ: يا ربُّ! الذَّنْبُ الذي أصبتُ، فنوديَ: يا داودُ! ارفعْ رأسَك؛ فقد غفَرْتُ لك [١].

وعن وهْبٍ: أنَّ داودَ أتىٰ قبرَ أُوْرَيا فقامَ عندَه، وجعلَ التُّرابَ علىٰ رأسِهِ، ثم نادىٰ، فقال: الويلُ لداودَ، ثمَّ الويلُ الطَّويلُ لداودَ، سبحانَ خالقِ النُّورِ، الويلُ لداودَ، ثمَّ الويلُ لداودَ، إذا نُصِبَتِ الموازينُ، سبحانَ خالق النُّورِ، الويلُ لداودَ، ثمَّ الويلُ الطَّويلُ لداودَ، حين يُسْحَبُ علىٰ وجهِهِ مع الخاطئين إلىٰ النَّار، سبحانَ خالقِ النُّورِ، الويلُ لداودَ، ثمَّ الويلُ الطَّويلُ لداودَ. قال: فأتاه نداءٌ من السَّماءِ: يا داودُ! قد غفرْتُ لك ذنبَك، ورحمتُ بكاءَك، وأَقَلْتُ عَثْرَتَكَ [٢].

ومن ذلك قصَّةُ يُونُسَ، وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: كذلك نفعلُ بالصالحين إذا وقعُوا في

---

(١) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ١٨).

(٢) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٢٠)، عن وهب بن منبه.

الخطيئة، ثمَّ تابوا إليَّ قبلْتُ منهم.

قال ابنُ عبَّاس: قال رسولُ الله ﷺ: «دعا أخي يونسُ بهٰذه الدَّعوةِ في الظُّلماتِ فنجَّاه الله تعالىٰ، فلا يدعو بها مؤمنٌ مكروبٌ، إلَّا كَشَفَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ذلك عنه، إنها عِدَةٌ من اللهِ لا خُلْفَ [1] لها» [2].

أخبرني الشَّيخُ الفاضلُ المحدِّثُ شهابُ الدِّينِ ابنُ هلالٍ الأَزْديُّ بقراءتي عليه بشهر ربيع الآخر، سنةَ سبعٍ وخمسينَ وثمانِ مئةٍ، قال: أخبرني الشَّيخُ شمسُ الدِّين ابنُ المُحِبِّ سماعاً سماعَه من النَّابُلُسِيِّ، عن الواسِطيِّ، قال: أخبرني الشَّيخُ موفَّقُ الدِّينِ ابنُ قدامةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، قال: أخبرنا أبو العبَّاسِ ابنُ المباركِ، قال: أخبرنا أبو المعالي بنُ بُنْدَار، قال: أنبأ أبو علي النَّعَّال، قال: ثنا مَخْلَدُ بن جَعْفَرٍ الباقرجي، أنبأ الحسن، أنبأ إسماعيل بن عيسىٰ بن إسحاق بن بشر، أنبأ عليُّ بن عاصمٍ، عن داودَ بنِ أبي هندٍ، عن عبد الله بنِ عبيدِ بنِ عميرٍ، عن سعيدِ بن جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

ح: وأخبرني إجازةً الشَّيخُ المتقنُ شهابُ الدِّين ابنُ زَيْنٍ الحنبليُّ، قال: أخبرني إجازةً ابنُ المحبِّ، فذكره إلىٰ ابنِ عبَّاسٍ، قال: كان في بني إسرائيلَ عابدٌ قد أُعْجِبُوا به، فذكروه يوماً عند نبيِّهم، فأثنَوا عليه، فقال: إنَّه لَكَما تقولون، لٰكنَّه تاركٌ لشيءٍ من السُّنَّةِ ـ يعني: بلغ العابد ـ، فقال: علىٰ ماذا أذيبُ نفسي؟، فهبَطَ من مكانِهِ، فأتىٰ النَّبيَّ وعنده النَّاسُ،

(١) الخُلْف: هو الاسم من (الإخلاف)، وهو في المستقبل، كالكذب في الماضي.

(٢) تقدم تخريجه.

والنَّبيُّ لا يعرفُه بوجهِهِ، فسلَّم ثمَّ قال: يا نبيَّ اللهِ! بلغَني أنِّي ذُكِرْتُ عندك، فقلتَ: إنَّه كذلك لولا أنَّه تاركٌ لشيءٍ من السُّنَّة، أذيبُ نفسي بالليل والنَّهارِ، واعتزالي من النَّاسِ، وإنَّما طلبْتُ سنَّة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.
قال: أنت فلانٌ؟ قال: نعمْ، فقال: أما واللهِ ما هو شيءٌ أحدثتَه في الإسلامِ، ولكنَّك لم تتزوجْ، قال له العابدُ: وليسَ إلاَّ هـٰذا؟! قال: نعم، فلمَّا رأىٰ النبيُّ استهانَتَه، قال: إنَّه لو فعل النَّاسُ مثلَ الذي فعلتَ، من كان ينفي العدوَّ عن المسلمين! من كان يأخذُ للمظلومِ من الظَّالمِ! قال: وذكرَ الصَّلاةَ للعابدِ، فقال له العابدُ: صدقتَ يا نبيَّ اللهِ! ما أحرِّمُهُ، ولكنْ أكره أن أتزوَّجَ امرأةً مسلمةً وأنا فقيرٌ، فأَعْضِلُها وليس عندي ما أنفقُ عليها، وأمَّا الأغنياءُ فلا يزوِّجُوني، فقال له النَّبيُّ: وما بك إلاَّ هـٰذا؟ قال: ما بي إلاَّ هـٰذا. قال: أنا أزوِّجُك ابنتي، قال: قد فعلتُ، قال: فزوَّجَه. قال: فولدتْ لهُ غلاماً.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فواللهِ ما وُلِدَ في بني إسرائيلَ مولودٌ ذكرٌ قطُّ كانوا أشدَّ فرحاً بهِ من ذلك الغلامِ، قال: قالوا: ابنُ نبِّينا وابنُ عابدِنا، إنَّا لنرجو أن يبلغَ بنا ما بلغ رجلٌ، قال: فلمَّا بلغَ الغلامُ انقطعَ إلىٰ عبادة الأوثانِ، وانقطعوا إليه، وكثرُوا عنده، قال: فبينا هم عنده يوماً؛ إذْ قالَ: إنِّي أراكم كثيراً، فما بالُ هؤلاءِ القومِ قاهرين لكمْ؟! قالوا: إنَّ لهم رأساً يجمعُهم، وليس لنا رأسٌ، قال: فما يمنعُكم إلاَّ هـٰذا؟ قالوا: نعمْ، قال: فأنا رأسُكم، قالوا: وتفعلُ؟! قال: نعم، قال: فخرجَ وخرجوا معَه، قال: فبلغَ ذلك النَّبيَّ وبلغَ أباه، فاجتمع بنو إسرائيل إلىٰ النَّبيِّ وأبيه، فأرسل إليه يذكِّرُه باللهِ، وأنْ يرجعَ إلىٰ الإسلام، فأبىٰ، فخرجَ إليه النَّبيُّ، وخرجَ أبوه

معه، فالتقىٰ القومُ فاقتتلوا، حتىٰ كثُرتِ الدِّماءُ فيهم، وقُتِلَ النَّبيُّ، وقُتِلَ أبوه، وانهزمَ بنو إسرائيلَ، واتَّبعهم يُفنيهم، ويبعثُ في آثارهم يقتُلهم، قال: فلحِقَ أحبارُهم بالجبالِ، واستقام له النَّاسُ، قال: فجعلتْ نفسُه لا تدعُه ـ يعني: وظنَّ أن ذلك المُلْك لا يستقيمُ معه حتىٰ يُفْنِيَ بني إسرائيلَ ـ، قال: فجعلَ يبعثُ في طلبهمْ في الجبالِ يقتُلهم، فاستقامَ له النَّاسُ، واشتدَّ ملكُه، فلما رأىٰ أحبارُ بني إسرائيل ما يفعلُ بهم، قالوا: خلَّيْنا عن هـٰذا الرجلِ وعن ملكهِ، وليس يدعُنا، لقد بؤنا بغضبٍ من اللهِ، فَرَرْنا عن نبيِّنا وعابِدنا حتىٰ قُتِلا، وليس يدعُنا! فتعالَوا حتىٰ نتوبَ إلىٰ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ونلقىٰ هـٰذا الرَّجلَ، ونقاتلَ ونحن تائبون، قال: فولَّوا رجلاً منهم أمرَهم، وبايعوا له، وهَبَطُوا، وقد وطَّنوا أنفسهم إلىٰ الموتِ، وتابوا إلىٰ الله ـ عَزَ وَجَلَّ ـ، قال: فخرجَ إليهم فاقتتلوا أوَّلَ يومٍ من أوَّل النَّهارِ حتىٰ حال بينهمُ الليلُ، ثم عادوا فاقتتلوا حتىٰ كثُرَتِ الدِّماءُ في الفريقين حتىٰ حالَ بينهم الليلُ.

قال ابن عبَّاسٍ: فغدَوا في اليوم الثَّالثِ، وقد صبَرُوا أنفسهم لله تعالىٰ، وقد اقتتلوا قتالاً شديداً، وقال لهمْ صاحبُهم: إنِّي لأرجو أن يكونَ اللهُ تاب عليكم وقبل توبتَنا؛ فإنِّي أرىٰ الصَّبْر قد نزلَ علينا وصارتِ الرِّيحُ لنا؛ فإن ظفِرْتُمْ به؛ فإن استطعتم أن تأخذوه سالماً ولا تقتلوه، قال: فاقتتلوا إلىٰ قريبٍ من الليلِ، لا هؤلاءِ يفرُّون، ولا هؤلاء يفِرُّون، فلمَّا كان في آخر النَّهار، وعرف اللهُ منهم الصِّدْقَ، أنزل عليهمُ الصَّبْرَ، فهزموهم بإذنِ الله تعالىٰ، وقتلوهم وأخذوه سالماً، فأتوا به، قال: فاجتمعَ بنو إسرائيلَ إلىٰ صاحبهم، فقال: ما جزاءُ رجلٍ من أنفسِنا، قتلَ

نبيَّنا، وقتلَ والدَه، وأدخلَ علينا عَبَدَة الأوثانِ، حتىٰ قتلونا وشرَّدونا في البلاد ؟ فقائلٌ يقول: احرقوه، وقائل يقول: قطِّعوه، وقائلٌ يقول: عذِّبوه، وكلَّما قالوا له شيئاً من هٰذا، قال: هٰذا يأتي علىٰ نفسه، قالوا: فأنت أعلم، قال: إنِّي أرىٰ أنْ تأخذُوه فنصلِبَه حيَّاً، ولا نُطْعِمُه، ولا نسقيه، ولا نقتُله، وندعُه حتىٰ يموتَ، قالوا له: افعلْ، فصُلِبَ حيَّاً، وجعلوا عليه الحَرَسَ، قال: فمكَث يومَه، ومن الغداةِ واليومِ الثَّالثِ حتَّىٰ أمسىٰ، فلمَّا أمسىٰ رأىٰ الموتَ، فدعا آلهته التي كان يعبد من دون الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، قال: فبدأ بأفضلهم في نفسه، فيدعُوه، فإذا لم يُجِبْه جاوَزَه ودعا الآخرَ، فأتىٰ علىٰ آلهته جمعياً يدعوهم، فلا يجيبونه، وذلك في جوف الليل، فقال: اللهمَّ إلٰهي وإلٰهَ جدِّي وأبي ! إنِّي قد ظلمتُ نفسي، ودعوتُ هٰذه الآلهة التي كنتُ أعبدُها من دونك، فلو كان عندها خيرٌ لأجابتْني، فاغفرْ لي، وخلِّصْني ممَّا أنا فيه، فتحلَّلَتْ عنه القيودُ، فإذا هو في أسفل الجِذْع.

وفي حديثٍ آخر: فجعل يدعو صنماً لا يجيبُه أحدٌ، قال: فنظر إلىٰ السَّماء، وقال: يا حنَّانُ، يا منَّانُ، أشهدُ أنَّ كلَّ معبودٍ من لُدْن عَرْشِك إلىٰ قرارِ أرضك باطلٌ، إلَّا وجْهَكَ الكريمَ أنت، فأغثْني، قال: فبعثَ اللهُ ملكاً، فحلَّه من خشبته، فأنزلَهُ.

قال ابن عبَّاس: فأخذه الحرسُ فأتوا به صاحبَهم، واجتمع، فقال: ما تأمرون في هٰذا ؟ فقالوا: ما نرىٰ فيه ! الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حلَّه، وتقول لنا: ما تأمرون فيه ؟! قال: صدقتُم، ولكن أحببْتُ أن أستأمرَكم، قال: فخلَّوا عنه.

قال سعيدُ بن جُبَيْرٍ: سمعتُ ابن عبَّاسٍ يقول: والله ما كان في بني إسرائيلَ بعده رجلٌ خيرٌ منه، ولا أفضلُ [1].

وأخبرني ـ أيضاً ـ بقراءتي عليه بالسَّند إلىٰ الشَّيخ موفَّق الدِّين قال: أخبرني الإمام أبو الحسن علي بن عساكر [بن] المُرحَّب البطائِحِيُّ المقرئ، ثنا أبو طالب اليوسفيُّ، أنبأ ابن المُذْهِب، أنبأ أبو بكر القطيعيُّ، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا هُدْبَةُ، ثنا حمَّادُ بن سَلَمَةَ، عن ثابت، وحُمَيْدٍ، عن بكر بن عبد الله المُزَنِيِّ، قال: كان فيمن كان قبلكم مَلِكٌ، وكان متمرِّداً علىٰ ربِّه، فغزاه المسلمون؛ فأخذوه سليماً، قالو: بأيِّ قِتْلَةٍ نقتُلُه، فاجتمع رأيُهم علىٰ أن يجعلوا له قُمْقُمَاً عظيماً، ويحشوا تحته النَّار، ولا يقتلوه حتىٰ يذيقوه طعمَ العذابِ، ففعلوا ذلك به، قال: فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً، يا فلانُ! بما كنتُ أعبدُك به، وأصلِّي لك، وأمسح وجهَك، فأنقذْني ممَّا أنا فيه، فلمَّا رآهم لا يُغْنون عنه شيئاً، رفع رأسَه إلىٰ السَّماء، وقال: لا إلـه إلاَّ الله، ودعا مخلصاً من قلبه، فصبَّ الله عليه غيثاً من السَّماء؛ فأطفأَ تلك النَّار، وجاءتْ ريحٌ وحملتْ ذلك القُمْقُمَ فجعلت تدورُ بين السَّماءِ والأرضِ، وهو يقولُ: لا إلـه إلاَّ اللهُ، فقذفَهُ اللهُ إلىٰ قومٍ لا يعبدون الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وهو يقولُ: لا إلـه إلاَّ الله، فقالوا: ويْحَك! مالَكَ؟ فقال: أنا مَلِكُ بني فلانٍ، كانَ منْ أمري، وكان من أمري، فقصَّ عليهِم القصَّةَ؛ فآمنوا [2].

---

(١) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٥١ ـ ٥٦).

(٢) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٥٦ ـ ٥٧).

وأيضاً: مِنْ أعظمِ ما في هـٰذا البابِ، قصَّةُ قومِ يونسَ، لمَّا نزلَ عليهمُ العذابُ خرجوا إلىٰ تَلِّ الرَّمادِ، واستجاروا إلىٰ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ورفعوا أصواتَهم بالبكاءِ والدُّعاءِ، فعلمَ اللهُ منهمُ الصِّدْقَ، فقالتِ الملائكةُ: يا ربَّنا! رحمتُك وسعتْ كلَّ شيءٍ، فهـٰؤلاءِ الأكابرُ من وَلَدِ آدمَ تُعذِّبُهم، فما بالُ الأصاغرِ والبهائمِ؟! فقال اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يا جبريلُ! ارفعْ عنهمُ العذابَ، فقد قبلْتُ توبَتهم[1].

يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس: ٩٨].

وأخبرني ـ أيضاً ـ بسندِهِ إلىٰ الشَّيخِ موفَّقِ الدِّينِ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قال: أخبرَنَا عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ جامعٍ الفقيهُ، أنبأ أحمدُ بنُ أحمدَ المتوكِّلِ، أنبأ أبو بكر الطيِّبُ، أنبأ محمدٌ بنُ موسىٰ بنِ الفضلِ، أنبأ محمدٌ بنُ عبد الله الصَّفَّار، أنبأ ابنُ أبي الدُّنيا، أنبأ سعيدٌ بنُ سنانٍ الحِمْصيُّ، قال: أوحِيَ إلىٰ نبيٍّ من الأنبياءِ أنَّ العذابَ حائقٌ بقومِكَ.

قال: فذكرَ ذلك النَّبيُّ لقومِهِ، وأمَرهم أن يُخرجوا أفاضِلَهم فيتوبوا، قال: فخرجوا، فأَمَرَهُمْ أن يُخرجوا ثلاثةً من أفاضِلَهم وفداً إلىٰ الله، قال: فخرجت الثَّلاثةُ أمامَ القومِ.

قال: فقال أحدُ الثَّلاثةِ: اللهمَّ إنَّك أمرْتَنا بالتَّوراةِ التي أُنْزِلَتْ علىٰ عبدِكَ موسىٰ، ألاَّ نردَّ السُّؤَّالَ إذا قاموا بأبوابنا، وإنَّا سؤَّالٌ منْ سؤَّالك، ببابٍ من أبوابك، فلا تَرُدَّ سُؤَّالك.

---

(١) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٦٤ ـ ٦٥).

ثم قال الثَّاني: اللهمَّ إنَّك أمرْتَنا في التَّوراةِ التي أُنْزِلَتْ علىٰ عبدِكَ موسىٰ أن نعفوَ عمَّنْ ظَلَمَنا، وإنَّا ظلمْنا أنفُسَنا؛ فاعفُ عنَّا.

وقال الثَّالثُ: اللهمَّ إنَّك أمرْتَنا في التَّوراةِ التي أُنْزِلَتْ علىٰ عبدِك موسىٰ أن نُعْتِقَ أرقَّاءنا، وإنَّا عبيدُك وأرقَّاؤك، فأوجبْ لنا عِتْقاً.

فأوحىٰ الله إلىٰ النَّبيِّ أنَّه قد قبلَ منهم، وعفا عنهم (1).

وحُكِيَ أنَّه لَحِقَ قَحْطٌ لبني إسرائيلَ علىٰ عهدِ موسىٰ، فاجتمعَ النَّاسُ إليه، فقالوا: يا كَلِيْمَ اللهِ! ادْعُ لنا ربَّك أن يَسْقِيَنَا الغيثَ، فقامَ معهم، وخرجوا إلىٰ الصَّحْراء، وهم سَبْعونَ ألفاً أو يزيدون، فقال موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: اللهمَّ اسقِنَا غيثَك، وانشُرْ علينا رحمَتَك، وارحمْنا بالأطفال الرُّضَّع، والبهائمِ الرُّتَّعِ، والمشايخِ الرُّكَّع، فما زادتِ الشَّمْسُ إلَّا تَقَشُّعَاً وحرارةً.

فقال موسىٰ: إلـٰهي! إنْ كان خَلَقَ جاهي عندك، فبجاه النَّبيِّ الأميِّ محمَّدٍ ﷺ الذي تبعثُه في آخرِ الزَّمانِ، فأوحىٰ اللهُ إليه: ما خَلَقَ جاهُك عندي، وإنَّك عندي وجيهٌ، ولكنْ فيكم عبدٌ يبارزُني منذُ أربعينَ سنةً بالمعاصي، فنادِ في النَّاسِ حتىٰ يخرُجَ من بين أظْهُرِهِمْ، فَبِهِ منَعْتُكُمْ.

فقال موسىٰ: إلـٰهي وسيِّدي! أنا عبدٌ ضعيفٌ، وصوتي ضعيفٌ، فأين يبلُغُ وهمْ سبعونَ ألفاً أو يزيدون؟ فأوحىٰ الله إليه: منك النِّداءُ، ومنِّي البلاغ، فقام منادياً، وقال: يا أيُّها العبدُ العاصي، الذي بارزَ الله أربعين سنةً، اخرجْ من بين أظْهُرِنا، فبك مُنِعْنَا القَطْرَ، فقام العاصي، فنظر

(1) رواه ابن قدامة المقدسي في «التوابين» (ص: ٦٨).

ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ، فلم يرَ أحداً خرجَ، فعلم أنَّه المطْلوبُ، فقال في نَفْسه: إنْ أنا خرجْتُ مِنْ بينِ هؤلاءِ الخلقِ انفضَحْتُ علىٰ رؤوسِ بني إسرائيلَ، وإنْ قَعَدْتُ معهم مُنعُوا لأجلي، فأدخَلَ رأسه في ثيابِهِ، نادِمَاً علىٰ فعالِهِ، وقال: إلـٰهي وسيِّدي ! عصيتُك أربعينَ سنةً، وأمهَلْتني، وقد أتيتُك طائعاً، فاقبلْني، فلم يستتمَّ الكلامَ حتىٰ ارتفعتْ سحابةٌ بيضاءُ، فأمطرتْ؛ كأفواه القِرَبِ، فقال موسىٰ: إلـٰهي وسيِّدي ! معصيتك ؟ ! لماذا سقيْتَنا وما خرجَ من أظهُرِنا ؟! فقال: يا موسىٰ ! سقيتُكم بالذي منعتُكُمْ، فقال موسىٰ: إلـٰهي ! أرني هـٰذا العبدَ الطَّائعَ، فقال: يا موسىٰ ! إنِّي لم أفضَحْهُ وهو يعصيني، أفضحه وهو يطيعني ؟!، يا موسىٰ ! إنِّي أُبْغِضَ النَّمَّامين، فأكونُ نمَّاماً ؟! (١)

وقيل: إنَّ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ استسقىٰ يوماً لقومِهِ، فأمرَ من كان منْ أهل المعاصي أن يعتزلوا، فاعتزلوا إلاَّ رجلاً أصيبَ بعينِهِ اليُمنىٰ، فقال له عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ما لك لا تعتزلْ ؟ فقال: وروحِ اللهِ ما عصيتُه طَرْفَةَ عينٍ، ولقد نظرَتْ عيني اليمنىٰ إلىٰ قدمِ امرأةٍ من غير قصدٍ، فقلعْتُها، ولو نظرَتِ الأخرىٰ لقلعتُها، فبكىٰ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وقال: ادْعُ لنا، فقال: أنت أحقُّ بالدُّعاء منِّي، فرفع يديه إلىٰ السَّماء، وقال: اللهمَّ إنَّك خلقْتني، وقدْ علمْتَ ما تعلمُ من قَبْلِ خلقِنا، فلمْ يمنعْك ذلك ألاَّ تخلُقنَا، فكما خلقتنا وتكفَّلْتَ بأرزاقِنا، فأرسلِ السَّماءَ علينا مِدْرَاراً، فأنزلَ اللهُ عليهِمِ الغيثَ حتىٰ رَوُوا (٢).

---

(١) انظر: «التوابين» لابن قدامة المقدسي (ص: ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، وابن الجوزي في «ذم =

وفي دعاء داودَ ـ عليه السلام ـ: اللهمَّ إنّي أسألُك حُبَّك، وحبَّ من يحبُّك، والعملَ الذي يبلِّغني حُبَّك، اللهمَّ اجعلْ حبَّك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي، ومن الماء الباردِ [1].

وكان من دعائِهِ ـ أيضاً ـ: اللهمَّ اجعلْني من أحبابِك، فإنَّك إذا أحببْتَ عبداً غفرْتَ ذنبَه وإنْ كانَ عظيماً، وقبلتَ عملَه وإن كان يسيراً [2].

وقال أحمدُ بن أبي الحواريِّ، ثنا جعفرُ بن محمَّدٍ، عن أبيه، قال: كان من دعاءِ مريمَ أمِّ عيسىٰ ـ عليهما السلام ـ: اللهمَّ املأْ قلبي بك فَرَحاً، وغشِّ وجهي منكَ الحياءَ [3].

ومنه قولُ يوسفَ ـ عليه السلام ـ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

قال ابن رجبٍ في «شرح حديث لبَّيك»: قيل: إنَّه دعا لنفسه بالموتِ، وقيل: إنَّما دعا لنفسه بالموتِ علىٰ الإسلامِ عند نزولِ الموتِ، وليس فيه دعاءٌ بتعجيل الموت [4].

وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ: إنَّ العبد لَيَعْصيني حتَّىٰ تقولَ الملائكةُ: إنِّي لا أغفرُ له أبداً؛ فإنْ دعاني قلتُ له: لبَّيك عبدي،

= الهوىٰ» (ص: ١٣١).

(١) رواه الترمذي (٣٤٩٠)، كتاب: الدعوات، باب: (٧٣)، وقال: حسن، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٢١)، عن أبي الدراء ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٦٣).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٢١).

(٤) انظر: «شرح حديث لبيك» لابن رجب الحنبلي (ص: ٥١).

وإنَّ العبد ليُعْرِضُ عنِّي حتَّىٰ كأنَّه لنْ يعرفَني، يا موسىٰ! وعزَّتي وجلالي لأُمْهِلَنَّ مَنْ عصاني حتَّىٰ يلتذَّ بنَعْمائي؛ فإن استحيا منِّي استحييتُ منه، وإن أعرضَ عنِّي نظرْتُ إليه، وإنْ تاب إليَّ تُبْتُ عليه [1].

وفي هٰذا كفاية.

■ ○ ■

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٣٢ _ ٣٣).

فصل
في إجابةِ الدُّعاء وعَدَمِها

الدُّعاء يفعلُ الله لصاحبِهِ ما يختارُه، فتارةً اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يغفرُ به ذنوبَ صاحبِهِ، وتارةً يؤخِّرُه له إلىٰ الآخرَةِ، وتارةً يؤخِّره له لمصلحةٍ، وتارةً يعطيه خيراً منه، وتارةً يُدْخِلُه به الجنَّة، وتارةً ينجِّيه به من النَّار، وتارةً يكون الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يحبُّ أن يسمعَ كلامَ الدَّاعي فيؤخِّرُه؛ كحبِّ سماعِ دعائه، وتارةً يعجِّله له في الدُّنيا، وتارةً يعجِّلُه له في وقته، وسيأتي الكلامُ علىٰ هـٰذا كلِّه مفصَّلاً.

قال ابنُ رجبٍ في «شرح النَّواوية»[(١)]: ومن رحمة الله بعبده أنَّ العبدَ يدعوه لحاجةٍ من الدُّنيا، فيصرفُها عنه، ويعوِّضُه خيراً منها؛ إمَّا أنْ يصرفَ عنه بذلك سوءَاً، أو يدَّخِرَها في الآخرةِ، أو يغفرَ له ذنباً، كما في «المسند»، و«التِّرمذيِّ» من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ما منْ أحدٍ يدعو بدعاءٍ، إلاَّ آتاه اللهُ ما سأل، أو كفَّ عنه من السُّوءِ مثلَه، ما لم يدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رحمٍ»[(٢)].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» له (ص: ٣٩٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨١)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٠).

وفي «صحيح الحاكم»، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، أو قطيعةُ رحمٍ، إلَّا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث: إمَّا أن يعجِّل له دعوتَه، وإمَّا أنْ يؤخِّرها له في الآخرةِ، وإمَّا أن يكشِفَ عنه من السُّوء مثْلَها»، قالوا: إذاً نُكْثِر، قال: «اللهُ أَكْثَرُ»[1].

وفي «الصَّحيح»، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «إذا دعا أحدُكم، فليُعَظِّمِ الرَّغبةَ؛ فإنَّ الله لا يتعاظَمُه شيءٌ»[2].

فتارةً لا يجيبُ العبدَ؛ لأنَّه يحِبُّ أن يسمعَ صوتَه، كما قال يحيىٰ بن سعيد: رأيتُ ربَّ العزَّةِ في النَّوم، فقلتُ: إلـٰهي! أدعوك فلا تستجيبُ لي! فقال: أحبُّ أن أسمعَ صوتَك[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠)، وغيرهم.
قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: وقد افتتن جماعة ممن لا علم لهم بأن يقولوا: ندعو فلا يستجاب لنا، وهـٰذا ردٌّ علىٰ الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الله يقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]، ولهـٰذا معنىٰ لا يعرفه إلَّا أهل العلم والمعرفة. وقد فسره النبي ﷺ، روىٰ أبو سعيد الخدري، وجماعة من أصحاب النبي ﷺ: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة إلَّا استجاب له، فهو من دعوته علىٰ إحدىٰ ثلاث؛ إما أن يعجل له في الدنيا. . .» الحديث. انظر: «المعجم الصغير» (٢/ ١٩٨).

(٢) تقدم تخريجه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند مسلم، بلفظ أوله: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، ولـٰكن ليعزم المسألة. . .» الحديث.

(٣) انظر: «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص: ٦٦).

وقال ذا النُّونِ المصريُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: رأيتُ في الطَّوافِ جاريةً حسناءَ، وهي تدعو وتقول: أنتَ قلتَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠]، وأنا أدعو ولا تستجيبُ لي؟! فهتفَ بها هاتفٌ يقول: لكنْ نحبُّ دعاكِ؛ فلأجْله أمهلناكِ؛ حتىٰ لا تصرفي وجهَكِ عنَّا.

وقال ثابت: إذا دعا اللهَ المؤمنُ بدعوةٍ، وكَّلَ اللهُ جبريلَ بحاجَتِهِ، فيقولُ: لا تَعْجَلْ بإجابَتِهِ؛ فإنِّي أحبُّ أن أسمعَ صوتَ عبدي المؤمنِ [(١)].

وفي بعض الكتب السَّابقة: إنَّ اللهَ ليبتلي العبدَ، وهو يحبُّ أن يَسْمَعَ تضرُّعَه [(٢)].

وكان بعضُهم إذا فُتِحَ له في الدُّعاء عند الشَّدائدِ، لم يُحِبَّ تعجيلَ إجابتِهِ؛ خشيةَ أن ينقَطِعَ عمَّا فُتِحَ له.

وتارةً تكون مضرَّةً له، فيصرفُها عنه؛ كما قال عمرُ بنُ الخطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ: ما أبالي أصبحْتُ علىٰ ما أحبُّ أو علىٰ ما أكره؛ لأنِّي لا أدري، الخيرُ فيما أحبُّ، أو فيما أكرَهُ [(٣)].

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: أصبحْتُ ومالي سرورٌ إلاَّ في مواقعِ القضاءِ والقدرِ [(٤)].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٤٥)، عن عمرو بن مرة، وابن مسعود. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩٥)، فيه محمد بن عبد الملك، قال أبو حاتم: ليس بالقوي.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص:١٤٣)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧١).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٣٧٢)، وانظر: «الرضا =

وتارةً يُعْلِمُ اللهُ العبدَ بأنَّه قد أعطاه طِلْبَته، ويخرجُها منْ قلبِهِ فلا يريدُها؛ كما روىٰ التِّرمذيُّ، عن أبي أُمَامَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «عَرَضَ عليَّ ربِّي ليجعلَ لي بَطْحاءَ مَكَّةَ ذهباً، فقلتُ: لا ياربِّ! ولكن أَشْبَعُ يوماً، وأجوعُ يوماً، فإذا جُعْتُ؛ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُكَ، وإذا شَبِعْتُ شكرتُك وحَمِدْتُكَ»[1].

وربَّما يكونُ الدُّعاء يُنْقِصُهُ ممَّا في الآخرة؛ كما رُوِيَ: أنَّه كان في بني إسرائيل شابٌّ لم يُرَ مثلُه، وكان يصنعُ المَكَاتِلَ[2] ويبيعها، ويتقوَّتُ به هو وامرأتُه، فبينما هو ذاتَ يومٍ، وإذْ خرجتْ عجوزٌ من بيت المَلِكِ فرأَتْهُ، فرجعتْ فقالتْ لابنة المَلِكِ: هنا شابٌّ ليس في بني إسرائيلَ مثلُه، فقالتْ: أَدْخليه، فأدخلتْه وأغلقتِ البابَ دونَه، ثم أغلقتْ دونَه باباً آخرَ، ثم لَقِيَتْه ابنةُ المَلِكِ كاشفةً عن وجهها، فقال لها: اشتري يرحمُكِ اللهُ، فقالت: لم نَدْعُكَ لهٰذا، وراودَتْهُ عن نفسه فأبىٰ، فقالتْ: إنْ لمْ تفعلْ، وإلَّا صِحْتُ بك، وقلتُ: دخلَ يراوِدُني عن نفسي، فقال: دعي لي وَضُوءاً، فقالت: وعليَّ تتعلَّلُ؟!، يا جاريةُ! ضعي له وَضُوءاً في الجَوْسَقِ[3]، وكان مكانٌ مرتفعٌ لا يُمكنُه الذَّهابُ منه، فوضعتْ له

= عن الله» لابن أبي الدنيا (ص: ٧٤).

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٧)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وقال: حسن، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٤)، وإسناده ضعيف. انظر: ما نقله المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣١٢).

(٢) **المكاتل**: جمع مِكْتَل: وهو زنبيلٌ يسع خمسة عشر صاعاً.

(٣) **الجوسق**: الحصن، وقيل: هو شبيه بالحصن، معرب، وأصله كُوشك بالفارسية، =

وَضوءاً فيه، فلمَّا صار في أعلاه، قال: اللهمَّ إني قد دُعِيْتُ إلىٰ معصيتك، وقد اخترْتُ أن أرميَ نفسي من هـٰذا الجَوْسَقِ، ولا أعصيك، ثم قال: بسم الله، وألقىٰ نفسه من الجَوْسَق، فأرسلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَلَكاً، فأخذ بضَبْعَيه [1] فأوقَفَهُ قائماً، فقال: اللهمَّ ارزقْني رِزْقاً أستغني به عن عمل هـٰذا، فأرسلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عليه رِجْلاً من جرادٍ من ذَهَبٍ حتَّىٰ ملأَ ثوبَه، ثم قال: اللهمَّ إن كان هـٰذا ينفعُني ممَّا عندك فارفَعْه، قال: فرُفِعَ.

وحدَّثني بعض شيوخِنا: أنَّه وَجَدَ هـٰذه الحكايةَ، وفيها: أنَّه ذَهَبَ بالذَّهب إلىٰ زوجته وقصَّ عليها القِصَّة، ثم ناما تلكَ الليلةَ، فرأتِ المرأةُ كراسِيَّ لم يُرَ مثلُهُمْ، فقالتْ: لِمَنْ هـٰذه الكراسِيُّ؟ فقيل: كراسِيُّ الزُّهَّادِ ـ أو كما قال ـ، فقالت: وأين كرسيُّ زوجي؟ فقيل لها: هذا، فرأت فيه ثُلْمةً أو نقصاً ـ أو كما قال ـ، فقالت: ما هـٰذا؟ فقالوا: عُجِّلَ له، فلمَّا أصبحتْ أخبرتْه، فدَعَوَا اللهَ، فرُفِعَ له ـ أو كما قال ـ.

وربَّما يبتلي اللهُ العبدَ بالبلاءِ لأَجَلٍ، حتَّىٰ يدعُوَه؛ كما قال داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: سبحانَ مُسْتَخْرِجِ الدُّعاءِ بالبلاءِ، ومُستخرِجِ الشُّكْرِ بالرَّخاءِ [2].

ومرَّ أبو جعفرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ بمحمَّدٍ بنِ المُنْكَدِرِ ـ وهو مَغْمُوْمٌ ـ، فسأله عن سببِ غَمِّه، فقيلَ له: الدَّيْنُ، وقد قَرَحَهُ، فقال أبو جعفر: أَفُتِحَ له في الدُّعاءِ؟ قيل: نعم، قال: لقد بُورِكَ لعبدٍ في حاجةٍ أكثرَ منها من

= والجوسق: القصر أيضاً. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: جسق).

(١) الضَّبْعُ: العَضُد.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٣٩)، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي.

دعاءِ ربِّه، كائنةً ما كانتْ [1].

وتارةً يكونُ الدُّعاءُ؛ عدمُ إجابته خيرٌ لصاحبِهِ؛ كما قال بعضُ الصَّالحين: يقول اللهُ تعالىٰ في بعض كتبه المنزَّلَةِ: يا ابنَ آدمَ! تسألُني فأمنعُك؛ لِعِلْمِي بما يُصْلِحُك، ثم تُلِحُّ في السُّؤال، فأجودُ بِكَرَمي عليك، فأعطيك ما تسألُني، وتستعينُ به علىٰ المعاصي، ثمَّ أسترُ عليك، ثمَّ تعاودُ المعصيةَ فأسترُ عليك، فكمْ من جميلٍ أصنعُه لك!، وكم من قبيحٍ تصنعُه معي!، يوشِكُ أن أغضبَ عليك، لا أرضىٰ بعدها أبداً [2].

وفي الحديث: عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، عن جبريلَ، عن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، قال: يقولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: «من أهانَ لي وليّاً، فقد بارزْتُه بالمُحاربةِ، وإنِّي لأغضبُ لأوليائي، كما يغضبُ اللَّيثُ الحَرِبُ، وما تقرَّب إليَّ عبدي المؤمنُ بمثلِ أداءِ ما افترضتُ عليه، ولا يزالُ عبدي المؤمنُ يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّىٰ أحبَّه، فإذا أحببْتُه كنتُ له سَمْعاً وبَصَراً وَيَداً ومُؤيِّداً؛ فإن دعاني أجبتُه، وإن سألني أعطيتُه، وما تردَّدْتُ في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قبْضِ روحِ عبدي المؤمنِ، يكرَهُ الموتَ، وأنا أكره مَسَاءَتَهُ، ولا بدَّ له منْهُ، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن يسألني من الصلاة فأكفُّه عنه؛ ألاَّ يدخُلَه عُجْبٌ فيفسدُه ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلاَّ الغنىٰ، ولو أفقرتُه؛ لأفْسَدَهُ ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلاَّ الفقرُ، ولو أغنيتُه؛ لأفْسَدَهُ ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلاَّ الصِّحَّةُ،

---

(١) تقدم تخريج الحكاية.

(٢) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٨٦).

ولو أسقمْتُه؛ لأفسدَه ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلَّا السَّقَمُ، ولو صححتُه؛ لأفسدَه ذلك، إنِّي أدبِّرُ أمرَ عبادي بعلمي بقلوبهم، إنِّي عليمٌ خبير»[1].

وربَّما يكونُ عدمُ الإجابة؛ للاستكبار، فإذا انكسرَ العبدُ وخَضَعَ، أجيبتْ دعوتُه.

قال وهبٌ: تعبَّد رجلٌ زماناً، ثم بَدَتْ له إلىٰ اللهِ حاجةٌ، فقام سبعينَ سنةً، يأكل في كلِّ سنةٍ إحدىٰ عشْرة تمرةً، ثم سأَلَ اللهَ حاجتَه، فلمْ يُعْطَها، فرجع إلىٰ نفسه، فقال: منكِ أُتِيتُ، لو كان فيك خيرٌ أُعْطِيْتِ حاجَتَكِ، فنزل إليه عند ذلك مَلَكٌ، فقال: يا ابنَ آدمَ! ساعتُك هـٰذه، خيرٌ من عبادتك التي مَضَتْ، وقد قضىٰ اللهُ حاجتَك[2].

كما قيل [من الطويل]:

أهينُ لهمْ نفسي لأُكْرِمَها بِهِمْ ولَنْ تَكْرُمَ النَّفْسُ التي لا تُهينُها[3]

■ ○ ■

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٢٨٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧٠).

(٣) البيت للإمام الشافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، كما في «مسنده» (ص: ٣٧٥)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ١٤٨)، و«المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» للبيهقي (ص: ٣٧٦)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٠٢)، عن الربيع بن سليمان، قال: كتب إليَّ أبو يعقوب البويطي: أن اصبر نفسك للغرباء، وأحسن خُلقَكَ لأهل حلقتك، فإني لم أزل أسمع الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يكثر أن يتمثل بهـٰذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها



فصـــل

[فِيمَنْ تَرَكَ الدُّعَاءَ مُتَعلِّلاً بالقَضَاءِ]

وتركَ طائفةٌ الدُّعاءَ، وقالوا: ما كان مقدَّراً علىٰ العبدِ يصيبُه، فلا دافعَ لقضاءِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، والصَّحيحُ خلافُه كما سبق.

قالوا: قد وجدَنْا مَنْ قُضِيَتْ حاجتُه من غير دعاءٍ منه، ما خرَّجه ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الفرج بعد الشِّدَّة» بإسناده، عن وضَّاح بن خَيْثَمَةَ، قال: أمرني عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بإخراجِ مَنْ في السِّجْنِ، فأخرجتُهم إلاَّ يزيدَ بن أبي مسلمٍ، فنذرَ دمي؛ فإنّي لبإفريقيَّة؛ إذ قيل لي: قدِم يزيدُ بنُ أبي مسلمٍ؛ يعني: أميراً علىٰ أفريقيَّة، فهربْتُ منه، وأرسلَ في طلبي، فأُخِذْتُ وأُتيَ بي إليه، فقال لي: واللهِ لطالما سألْتُ اللهَ أن يمكِّنني منك، فقلتُ: واللهِ وأنا، واللهِ لطالما استعذْتُ باللهِ من شرِّك، فقال: واللهِ ما عاذك، لأقتلنَّك، ثمَّ واللهِ لأقتلنَّك، ثم واللهِ لأقتلنَّك، لو سابقني مَلَكُ الموتِ إلىٰ قبضِ روحك لسبقتُه، عليَّ بالسَّيْفِ والنِّطْعِ، قال: فجيءَ بالنِّطْعَ، فأُقْعِدْتُ فيه وكُتِّفْتُ، وقام قائمٌ علىٰ رأسي بسيفٍ مشهورٍ، وأقيمتِ الصَّلاةُ، فخرج إلىٰ الصَّلاةِ، فلمَّا سجدَ أَخَذَتْهُ سيوفُ الجُنْدِ،

فقُتِلَ، فجاءني رجلٌ، فقطع كِتَافي [1] بسيفه، وقال: انطلقْ [2].

وحكىٰ أنَّه كان بالموصل رجلٌ يسافرُ، وكان تاجراً يدورُ بتجارتِهِ البلدانَ، فسافر مرةً بجميعِ مالِهِ، وما يَملِكُه إلىٰ الكوفةِ، فرافقَه في تلك السَّفْرَةِ رجلٌ خَدَمَهُ، فأحسنَ خِدْمَتَهُ، وأَنِسَ بِهِ حتَّىٰ وَثِقَ به، ثُمَّ استغفَلَهُ في بعضِ المَنَازلِ، وأخذَ دابَّته وما عليها من المالِ والمَتاعِ، ولم يبقَ له شيءٌ البَتَّةَ، واجتهدَ في طلبِهِ، فلم يقعْ له علىٰ خبرٍ، فرجع إلىٰ بلدِهِ وَجِلاً جائعاً، فدخلَ إلىٰ المدينة ليلاً، وهو علىٰ تلك الحالِ، فطَرَقَ بابَه، فلمَّا عَلِمَ به أهلُه سُرُّوا، وقالوا: الحمدُ لله الذي جاءَ بك في هـٰذا الوقت؛ فإنَّ أهلَك قد وَلَدَتِ اليوم وَلَدَاً، وما وجدْنا ما نشتري به ما تحتاجُ إليه النُّفَساءُ، ولقد كانتْ هـٰذه الليلةَ طاويةً [3]، فاشترِ لنا دقيقاً ودُهْنَاً؛ نُسْرِجُ به، فلمَّا سمع ذلك زاد في غمِّه وكربه، وكَرِهَ أن يخبِرَهُم بما جرىٰ له فيحزُنَهُم، فخرجَ إلىٰ حانوتِ رجلٍ كان بالقرب من دارِهِ، فسلَّم عليه وأخذَ منه دُهْنَاً وغيرَه ممَّا يُحتاج إليه، فبينا هو يخاطِبُه؛ إذ التفتَ فرأىٰ خَرْجَه الذي هَرَبَ به خادمُه مطروحاً في ذلك الحانوت، فسأله عنه، فقال: إنَّ رجلاً وردَ عليَّ بعد العشاءِ، واشترىٰ منِّي عَشاءَه، واستضافني فأضفْتُه، فجعل خَرْجَه في حانوتي، ودابَّته في دارِ جارنا، والرَّجل بائتٌ في المسجدِ، فنهضَ إلىٰ المسجد ومعه الخَرْجُ، فوجد الرَّجلَ نائماً، فَرَفَسَه،

---

(١) **الكِتاف**: هو حبل تُشَدُّ به اليدان إلىٰ خلف، الفعل منه: كَتَفَ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ١٠١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ٤١).

(٣) أي: جائعة.

فاستيقظ مَذْعوراً، فقال له: أين مالي يا خائنُ؟! قال: هو ذا على عنقِكِ، والله ما فُقِدَ منه ذرَّةٌ، واستخرجَ الدَّابَّة من موضِعِهِ، ووسَّعَ على أهله، وأخبرَهم حينئذٍ خبرَه.

قال ابن رجبٍ في «نور الاقتباس»: ذكر بعضُ العلماءِ في مُصنَّفٍ له ـ وأظنُّه من المغاربة ـ، أنه سمع من أبي ذرٍّ الهَرَوِيِّ الحافظِ يحكي أنَّه كان ببغدادَ يقرأُ على أبي حفصٍ بنِ شاهينَ في دُكَّانِ عطَّارٍ، وأنَّه جاء رجلٌ إلى العطَّار، فدفع إليه عشرةَ دراهمَ، وأخذ منه حوائجَ، وجعلها في طَبَقٍ، وجعله على رأسٍ، فَزَلِقَ، ووقع طبقُه، وتفرَّقَتْ حوائجُه، فبكى واشتدَّ بكاؤُه، وقال: لقد ضاعَ منِّي في قافلةٍ كذا وكذا هِمْيانٌ [1] فيه أربعُ مئةِ دينارٍ، أو قال: أربعةُ آلافِ دينارٍ، ومعها فُصُوصٌ قيمتُها أكثرُ من ذلك، فما جَزِعْتُ لِضَياعها، ولكنْ وُلِدَ لي الليلةَ ولدٌ، فاحتجنا في البيت إلى ما تحتاجُ إليه النُّفَسَاءُ، ولم يكنْ عندي غيرُ هذه العَشْرةِ الدَّارهمِ، فلمَّا قدَّر اللهُ بما قدَّر، جَزِعْتُ وقلتُ: لا أنا عندي ما أرجعُ به اليومَ إلى أهلي، ولا ما أكتسبُ غداً، ولمْ يبقَ لي حيلةٌ إلاَّ الفِرارُ عنهم، وأترُكُهم على هذه الحالةِ، فيهلِكون بعدي، فلم أملِكْ نفسي أن جَزِعْتُ هذا الجَزَعَ.

قال أبو ذرٍّ: ورجلٌ من شيوخِ الجُنْدِ جالسٌ على باب داره، فسمِعَ هذا كلَّه، فسأل الجنديُّ أبا حفصٍ أن يدخُلَ هو وأصحابُه والرَّجلُ المصابُ معه إلى بيته، ففعل، وطلبَ من الرَّجل المصابِ إعادةَ حكايتِهِ في الهِمْيانِ، فأعاد ذلك عليه، وسأله عمَّن كان في تلك القافِلَةِ، وعن المكانِ الذي ضاع فيه الهِمْيانُ، فأخبره، ثم سأله عن صِفَةِ الهِمْيَانِ،

(١) الهِميان: بكسر الهاء، يقال: للذي يجعل فيه النفقة، ويُشَد على الوسط.

وعلامتِهِ، فأخبره بذلك، فقال: لو رأيتَه كنتَ تعرفُه؟ قال: نعم، قال: فأخرجه إليه، فلمَّا رآه قال: هـٰذا الهِمْيانُ الذي سقط، وفيه من الأحجارِ ما صفتُه كذا وكذا، فَفَتحَ الهِميانَ فوجد الأحجارَ علىٰ ما وَصَفَ، فدفعه إليه وخرجَ من عنده، وقد صارَ من الأغنياءِ، فلمَّا خرج بكىٰ الشَّيخُ الجنديُّ بكاءً شديداً، فسُئِلَ عن سبب بكائِهِ، فقال: إنَّه لمْ يكنْ بقيَ لي في الدُّنيا أملٌ، ولا أمنيَّةٌ أتمنَّاها، إلاَّ أن يأتيَ اللهُ بصاحبِ هـٰذا المالِ فيأخذَه، فلمَّا قضىٰ الله بذلك بفضلِهِ ولمْ يبقَ لي أملٌ، علمتُ أنَّه قد حان أجلي.

قال أبو ذرٍّ: فما انقضىٰ شهر حتىٰ تُوُفِّيَ، وصلَّينا عليه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ [١].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ في وصيَّة ابنِ عبَّاسٍ: «جفَّ القلمُ بما هو كائنٌ» [٢].

وفي رواية أخرىٰ: «رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الكُتُبُ» [٣].

قال الله ـ عَزَّ وَجلَّ ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد: ٢٢].

ولمَّا لقي جبريلُ إبراهيمَ، وهو يُلقىٰ في النَّارِ، قال: ألكَ حاجةٌ؟ قال: إليكَ فلا، فقال: سَلْ ربَّك المتعالي، فقال: حسبي من سؤالي، علمُه بحالي [٤].

---

(١) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ١١٠).

(٢) تقدم تخريجه، وهـٰذا من لفظ الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٥٠)، فقال: روي عن أُبي بن كعب، فذكره.
قال شيخ الإسلام أبو العباس ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٥٣٩): حديث =

وفي بعض الأشياءِ: رأيت زيادة: «يُغنيني عن سؤالي».

وعن ابن عبَّاسٍ: إنَّ أولَ شيء خلقه اللهُ القلمُ، فقال له: اكتبْ، قال: ما أكتبُ؟ قال: القَدَرَ، فجرىٰ بما هو كائنٌ إلىٰ أن تقومَ السَّاعةِ[1].

وخرَّج الإمامُ أحمدُ، وأبو داودَ، والتِّرمذيُّ، من حديث عبادةَ بنِ الصَّامتِ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ، ثمَّ قال: اكتبْ، فجرىٰ في تلك السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامةِ»[2].

وخرَّج الإمام أحمدُ، والتِّرمذيُّ، من حديث ابن مسعود، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ كلَّ نفسٍ، وكَتَبَ حياتَها، ورِزْقَها، ومُصَابَها»[3].

= باطل، وهو خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء، من دعائهم لله، ومسألتهم إياه، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة؛ كقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١]، ودعاء الله، وسؤاله، والتوكل عليه، عبادة لله مشروعة، إلىٰ آخر كلامه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

(١) رواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٣٢٩) مرفوعاً، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٤٠) موقوفاً، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٠): رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٩)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة (نٓ)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨/ ٣٥٠)، وغيرهم، ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٨٩) تصحيح الترمذي للحديث.

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٣)، كتاب: القدر، باب: ما جاء لا عدوىٰ ولا هامة، ولا صفر، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٤٠)، وغيرهما.

فإذا كان فُرِغَ من الأشياء، فالدُّعاء لا فائدة فيه؛ لأنَّ ما يصيبُك، يصيبُك وإن لم تدْعُ، وما لا يصيبُك، لا يصيبُك وإن دعوْتَ.

وفي حديث النَّبيِّ ﷺ لمَّا خرج إليهم بالكتابَيْنِ، فقال: «في أحدِهِمْ أسماءُ أهلِ النَّارِ، وأسماءُ آبائهم، وقبائِلِهم»، ثمَّ قال: «فلا يُزادُ فيهمْ ولا يُنْقَصُ»، فقال أصحابُه: ففيمَ العملُ يا رسولَ الله! إن كان أمرٌ قد فُرِغَ منه؟! فقال: «سدِّدُوا وقاربُوا؛ فإنَّ صاحبَ الجنَّة يُخْتَمُ له بعملِ أهلِ الجنَّةِ، وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنَّ صاحب النَّارِ يُخْتَمُ له بعملِ أهلِ النَّارِ، وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ»، ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ بيديه فنبذَهُما، ثمَّ قال: «فَرَغَ ربُّك من العبادِ، فريقٌ في الجنَّةِ، وفريقٌ في السَّعيرِ»[1].

وفي هـٰذا الباب أحاديثُ كثيرةٌ جدّاً.

■ ○ ■

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤١)، كتاب: القدر، باب: ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٤٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٧)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

فصـــل
[الرِّضا عن اللهِ بقضائه]

ولا يدعو ببلاءٍ؛ فإنَّ النَّفسَ لا تَصْبِرُ علىٰ شيءٍ، كما رُوِيَ عن بعض الزُّهَّادِ، أنَّه كان يسأل الغَزْوَ، فقيل له: في اليومِ إنْ غزوتَ أُسِرْتَ، وإن أُسِرْتَ تَنصَّرتَ [1].

وقال بعضُهم [من المنسرح]:

وليسَ لي في سواك حظٌّ ... فكيف ما شئتَ فامتحنِّي

فابتُلِيَ بعُسْرِ البولِ، فلم يَصْبِرْ، وجعل يطوفُ علىٰ المَكَاتِب، ويقول للصِّبيانِ: ادعُو لعمِّكمِ الكذَّاب [2].

وكذا قولُ من قال: لو أدخَلَنِي النَّارَ كنتُ راضِياً [3]، هو ـ أيضاً ـ

(١) رواه القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٣٩٩)، عن سفيان الثوري أنه قال: سألت الله ـ عز وجل ـ أن يوفق للغزو أربعين سنة، فسمعت هاتفاً في جوف الليل يقول: كفَّ عن هـٰذا الكلام، فإنك إن غزوت أسرت، وإن أسرت تنصَّرت.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، و«تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص: ٤١٤)، و«فيض القدير» للمناوي (٤/ ١٠٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٣)، عن أبي سليمان قال: أرجو أن أكون قد=

عزمٌ علىٰ الرِّضا، ولا يدري هل يَثْبُت أو يَنْفَسِخ.

فلا ينبغي للعبدِ أن يتعرَّضَ للبَلاءِ، كان عمرُ بنُ عبد العزيزِ يقول: ما تَرَكَتْنِي هٰذه الدعواتُ ولي سرورٌ في غيرِ موقعِ القَضاءِ والقَدَرِ: اللهمَّ رَضِّني بقضائِكَ، وبارِكْ لي في قَدَرِكَ، حتىٰ لا أُحبَّ تعجيلَ ما أَخَّرتَ، ولا تأخير ما عَجَّلْتَ [١].

وقال بعضُهم: الرَّاضي لا يتمنَّىٰ غيرَ منزلتِهِ التي هو عليها؛ لأنَّه قد رَضِيَ بها [٢].

وقد وصَّىٰ النَّبيُّ ﷺ رجلاً، فقال: «لا تَتَّهِمْ فيما قَضاهُ لك» [٣].

وفي الحديث: «مَنْ رَضِيَ فله الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» [٤].

وقال بعضُهم: لَنْ يَرِدَ يومَ القيامةِ أعظمُ أجراً من الرَّاضي بقضاءِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ [٥].

= رزقت من الرضا طريقاً، لو أدخلني النار لكنت بذلك راضياً.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٥٨): أن الفضيل بن عياض سئل: من الراضي عن الله؟ قال: الذي لا يحب أن يكون علىٰ غير منزلته التي جعل فيها.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٧٧)، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٣١)، كتاب: الفتن، باب: الصبر علىٰ البلاء، وغيرهما، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٥٩).

وقال بعضُهم: من وُهِبَ له الرِّضا، فقد بَلَغَ أفضلَ الدَّرجات [1].

وقال بعضُهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل: ٩٧]، قال: الرِّضا والقَناعة [2].

وقال عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ: الرِّضا بابُ اللهِ الأعظمُ، وجَنَّةُ الدُّنيا، ومُسْتَرَاحُ العابدين [3].

وقالت أمُّ الدَّرداءِ: إنَّ الرَّاضينَ بِقَضَاءِ اللهِ، الذينَ ما قَضَىٰ اللهُ لهم رَضُوا به، لهم في الجنَّةِ منازلُ يَغْبِطُهم بها الشُّهداء [4].

وفي هَـٰذا المعنىٰ يقولُ الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ ابنُ تيميَّةَ: في الدُّنيا جَنَّةٌ، من لم يَدْخلْها، لم يدخلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ [5].

كما قيل [من السريع]:

يـا أيُّهـا الـرَّاضـي بـأَحْكَـامِنَـا	لا بُـدَّ أن تَحْمـدَ عُقْبَـىٰ الـرِّضـا
فـوِّضْ إلينـا وارجُ مُسْتَسْلِمَـاً	فـالـرَّحْمَـةُ العُظْمَـىٰ لمَـنْ فَـوَّضَـا
وإن تَعَـرَّضْـتَ لأسبـابِنَـا	فـلا تَكُـنْ عَـنْ بـابِنَـا مُعْـرِضَـا

---

(١) رواه ابن ابن الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٦٦)، عن أبي عبد الله البراثي، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٤٩)، عن بشر بن الحارث.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٧٢)، عن أبي معاوية الأسود.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٥١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (ص: ٤٨).

(٥) انظر: «الوابل الصيِّب» لابن القيم (ص: ٦٩).

فَـــإِنَّ فِينـــا خَلَفَـــاً بـــاقيـــاً مِـنْ كُـلِّ مـا فـاتَ ومـا قَـدْ مَضَـىٰ

وإنَّما الرِّضا بعد القضاء؛ لأن الرِّضا قبل القضاء عزم علىٰ الرِّضا، والرِّضا بعد القضاء؛ لأنَّه إذا وقع القضاء قد تُنْسَخُ العزائم.

■ ○ ■

فصــل
[في آدَابِ الدُّعاءِ]

وربَّما تكون إجابةُ الدُّعاءِ متوقفةً علىٰ بعضِ الدُّعاءِ، أو علىٰ كلامٍ، وذكرٍ، مثلِ: ما شاءَ الله.

قال سعيدٌ القدَّاحُ: بلغني أنَّ موسىٰ كانتْ لهُ إلىٰ اللهِ حاجةٌ، فَطَلَبها، فَأَبْطَأَتْ عليه، فقال: ما شاءَ اللهُ، فإذا حاجتُه بينَ يديْه، فتعجَّبَ، فأوحىٰ اللهُ إليهِ: أَمَا علمْتَ أنَّ قولَك: ما شاءَ اللهُ، أَنْجَحُ ما طُلِبَتْ به الحوائجُ [١].

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم: قال بعضُهُم: ما سألَ السائلونَ مسألةً هي أخفُّ من أن يقولَ العبدُ: ما شاءَ الله، قال: يعني بذلك التفويضَ إلىٰ الله [٢].

وكان مالكُ بنُ أنسٍ كثيراً ما يقول: ما شاءَ اللهُ، ما شاءَ اللهُ، فعاتبَهُ

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص:٦٨)، عن يحيىٰ بن سليم الطائفي.

(٢) انظر: «شرح حديث لبيك» لابن رجب (ص:٣٨)، وعنده: «هي أنجح» بدل «هي أخف».

رجلٌ علىٰ ذلك، فرأىٰ في منامِهِ قائلاً يقولُ له: أنتَ المعاتِبُ لمالكٍ علىٰ قوله: ما شاءَ اللهُ، لو شاءَ مالكٌ أن يَثْقُبَ الخَرْدَلَ بقولِ: ما شاءَ اللهُ، فعل [1].

وقال حَمَّاد بن زيدٍ: جعلَ رجلٌ لرجل جُعْلاً علىٰ أن يَعْبُر نهراً، فَعبَر، حتىٰ إذا قَرُبَ من الشَّطِّ، قال: عَبَرْتُ والله، فقال له الرَّجلُ: قل ما شاءَ اللهُ، فقال: شاءَ اللهُ، أو لَمْ يشأ، قال: فأخَذَتْهُ الأرضُ [2].

ولا ينبغي لعبدٍ أَنْ يسألَ، ولا يقولُ: إنَّه يفعلُ شيئاً، أو ينوي شيئاً، إلَّا يقولُ: ما شاءَ اللهُ.

وخرَّجَ البخاريُّ، عن عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ هُرْمُزٍ، قالَ: سمعتُ أبا هريرةَ، عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال: «قال سليمانُ بنُ داودَ ـ عليه السلام ـ: لأَطُوْفَنَّ الليلةَ علىٰ مِئةِ امرأةٍ ـ أو تسعاً وتسعين ـ، كلُّهنَّ يأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ اللهِ، فقال له صاحبُه: قُلْ: إن شاءَ اللهُ، فلمْ يقلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فلمْ تحملْ منهنَّ إلَّا امرأةٌ واحدةٌ، جاءتْ بِشِقِّ رجلٍ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيدهِ لو قالَ: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيلِ اللهِ تعالىٰ فرساناً أجمعون» [3].

وروىٰ طَلْقُ بن حبيبٍ، قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي الدَّرداءِ، فقال: احترقَ بيتُك، فقال: ما احترقَ، لم يكنِ الله ليفعلَ ذلك؛ بكلماتٍ

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٨١).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٢٦).

(٣) رواه البخاري (٢٦٦٤)، كتاب: الجهاد والسير، باب: من طلب الولد للجهاد، ومسلم (١٦٥٤)، كتاب: الأيمان، باب: الاستثناء.

سمعتُهنَّ مِنْ رسولِ الله ﷺ، مَنْ قالها أوَّلَ نهارِهِ لم تُصِبْهُ مصيبةٌ حتَّىٰ يُمْسِيَ، ومن قالها آخرَ النَّهارِ لم تصبْهُ مصيبةٌ حتىٰ يُصْبحَ: «اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إلـٰهَ إلَّا أنْتَ، عليكَ توكَّلْتُ، وأنتَ ربُّ العرشِ العَظِيم، ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يكنْ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيم، أعلمُ أنَّ اللهَ علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قدْ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ نفْسِي، ومن شرِّ كلِّ دابَّةٍ أنتَ آخذٌ بناصِيَتِها، إنَّ ربِّي علىٰ صِراطٍ مُستقيم» (١).

وعن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل علىٰ أعرابيٍّ يَعودُه، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا دخلَ علىٰ مريضٍ يعودُه، قال: «لا بَأْسَ، طَهُوْرٌ إنْ شاء الله»، قال: قلتَ: طَهُورٌ، كلَّا، بَلْ هي حُمَّىٰ تَفُورُ ـ أو: تَثُور ـ، علىٰ شيخٍ كبيرٍ؛ تُزِيْرُه القبورَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «فنَعَمْ إِذَنْ» (٢).

■ ○ ■

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٤ ـ ٥٥)، والطبراني في «الدعاء» (٣٤٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٤). وقد ضعفه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٠)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.
وقوله: تُزيره ـ بضم أوله ـ من أزاره: إذا حمله علىٰ الزيارة بغير اختياره. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١١٩).

فصـــل

[في إجابةِ دُعاءِ الصَّالحين]

ولنذكرْ نُبْذَةً ممَّنْ أُجِيبَ دعاؤُه في الحال:

حُكِيَ أنَّ امرأة شَرَدتْ لها ناقةٌ، فأضلَّتها، فقيلَ لها: لو وجَّهتِ لها من يطلبُها، فقالتْ: قد أخذتُ عليها بمجامعِ الطُّرُقِ، فقيلَ لها: وما مجامعُ الطُّرقِ؟ قالتْ: الدُّعاءُ، فقيلَ: إنَّ النَّاقةَ أصبحتْ مربوطةً ببعض أطْنابِ بيتها.

وحكىٰ أبو القاسم القُشَيْريُّ في كتابِ «التَّحبير»، عن عمروِ بنِ عثمانَ المكيِّ الزَّاهدِ، أنَّه قالَ: كانَ في أصحابي رجلٌ فقيرٌ، طالَ بهِ المرضُ مدَّةً، ولم يتكلَّمْ، فدخلتُ عليه أعودُه، فقالَ لي: يا سيدي! معك من يقول شيئاً؟ فقلتُ: نعمْ، ثم أشرتُ إلىٰ واحِد منْ أصحابي حسنِ الصَّوتِ، والإنشادِ، فقلتُ له: قلْ شيئاً، فأنشد [من الكامل]:

مالي مرضْتُ فلمْ يَعُدْني عائدٌ ... منكـمْ ويمـرَضُ عَبْـدُكُـمْ فـأعـودُ
وأشدُّ مِنْ مَرَضي عليَّ صُدُودُكُمْ ... وصدودُ مَنْ أهوَىٰ عليَّ شديْدُ

فَطَرِبَ الفقيرُ، ولمْ يزلْ يستعيدُ المنشدَ الأبياتَ، وأخذَه الوَجْدُ،

فصاحَ، ورفعَ طَرْفَه إلىٰ السَّماءِ، وقالَ: إلـٰهي! علمتَ صبري علىٰ ما قضيتَ، وصِدْقي في صَبْري، والآنَ فقد فَنِيَ الصَّبرُ، وطالتِ المدَّةُ، وطلبتِ النَّفسُ الخروجَ معَ شيخي وأصْحابي إلىٰ مَوْطنِ عبادتِكَ، فأزِلْ عنِّي المرضَ، وأعدْ لي عافيتي، [ثم] قام الشَّيخُ، فقام الفتىٰ، وخرجَ معنا إلىٰ السِّياحة؛ كأنَّه ما كانَ مريضاً [1].

وأخبرني الشَّيخُ شهابُ الدِّينِ بنُ هلالٍ الأَزْديُّ، بسندهِ الأوَّلِ إلىٰ الشَّيخِ موفَّقِ الدِّينِ، ذكر عن وَهْب بنِ مُنَبِّه، قال: كانَ في زَمَنِ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ شابٌّ عاتٍ، مُسْرِفٌ علىٰ نفسِه، فأخرجُوه من بينهم لسُوءِ فعله، فحضرتْه الوفاةُ بخِرْبةٍ علىٰ باب البلدِ، فأوحىٰ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلىٰ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: أنَّ ولياً من أوليائي حضرَه الموتُ، فاحْضُرْه وغسِّلْه وصلِّ عليه، وقلْ لمن كَثُرَ عصيانُه يحضرْ جِنازتَه؛ لأغفرَ لهم، واحملْه إليَّ؛ فإنِّي لأُكْرِمُ مثواه، فنادىٰ موسىٰ في بني إسرائيلَ، وكَثُرَ النَّاسُ، فلمَّا حضروه عرفُوه، فقالوا: يا نبيَّ اللهِ! هـٰذا هو الفاسقُ الذي أخرجناه، فتعجَّبَ موسىٰ من ذلكَ، فأوحىٰ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إليه: صَدَقُوا وهمْ شهداء، إلَّا أنَّه لمَّا حضرتْه الوفاةُ في هـٰذه الخَرَابةِ نظر يَمْنَةً، وَيَسْرَةً، فلم يرَ حميماً، ولا قريباً، ورأىٰ نفسَه غريبَةً، وحيدةً، ذليلةً، فرفعَ بصرَه إليَّ، فقالَ: إلـٰهي! عبدٌ من عبادِكَ، غريبٌ في بلادِكَ، لو علمتُ أنَّ عذابي يزيدُ في مُلكك، وعفوُكَ عنِّي يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِك، ما سألْتُك

(1) لم أر هـٰذه الحكاية في كتاب «التحبير في التذكير» للإمام أبي القاسم القشيري، طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة، سنة (١٩٦٨ م)، بتحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، وذلك بعد النظر والبحث فيه، والله أعلم.

المغفرةَ، وليسَ لي ملجأٌ ولا رجاءٌ إلاَّ أنت، وقد سمعْتُ فيما أنزلتَ، قلتَ: ﴿أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الحجر: ٤٩]، فلا تُخيِّبْ رجائي. يا موسىٰ! أفكانَ يَحْسُن بي أنْ أرُدَّه، وهو غريبٌ علىٰ هٰذه الصِّفَةِ، وقدْ توسَّلَ إليَّ بي، وتضرَّعَ بين يدي، وعزَّتي لو سألني في المذنبين مِنْ أهلِ الأرضِ جميعاً لوهبتُهم له؛ لِذُلِّ غربته، يا موسىٰ! أنا كهفُ الغريبِ، وحبيبُه، وطبيبُه، وراحمُه[1].

وقيلَ لذا النُّونِ المِصْرِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ما كان بَدْءُ أمرِكَ؟ قال: كنتُ شابّاً في اللهوِ واللعبِ، فخرجتُ حاجّاً إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ، فبينا أنا راكبٌ في المركبِ، وقدْ توسَّطنا البحرَ فُقِدَ مِنْ بيننا كيسٌ، فَفُتِّشَ كلُّ مَنْ في المركَبِ، وكان فينا شابٌّ لا نباتَ بعارضيه، فلمَّا وصلوا إلىٰ الشَّابِّ فتَّشوه، فوثَب من المركَبِ وثبةً حتَّىٰ جلسَ علىٰ الأمواجِ، فقال: يا مولاي! إن هؤلاء فتَّشوني، وأنا أُقْسِمُ عليك يا حبيبَ قلبي أن تأمرَ كلَّ دابَّةٍ في البحرِ أن تُخْرِجَ رأسَها، وفي فمِ كلِّ واحدةٍ منهنَّ جوهرةٌ ـ وقد صحَّ في الخبر: «إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ لو أقسمَ علىٰ الله لأبرَّه»، ولو أقسمَ عليه في اليوم مئةَ مرَّةٍ» ـ، قالَ: ذا النُّونِ: فما استتمَّ الشابُّ الكلامَ حتىٰ رأينا دوابَّ البحر وقدْ أخرجت رؤوسَها، وفي فمِ كلِّ واحدةٍ منهنَّ جوهرةٌ تتلألأُ وتلمعُ، ثم وثبَ علىٰ الماء يَتَبَخْتَر، وهو يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥][2].

---

(١) انظر: «التوابين» لابن قدامة (ص: ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) رواه ابن قدامة في «التوابين» (ص: ٦٢)، وانظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٣٢٥).

وقال عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ: أصبحنا ذاتَ يومٍ، فقالتْ أمِّي لأبي: واللهِ ما في بيتِك شيءٌ يأكله ذو كَبِد، فقام فتوضَّأ، ولبسَ ثيابَه، ثمَّ صلَّىٰ في بيته. قال: فالتفتتْ إليَّ أمِّي، فقالت: إنَّ أباكَ ليس يزيدُ علىٰ ما ترىٰ، فاخرجْ أنت، فخرجْتُ، فخطرَ ببالي صديقٌ لنا تمَّارٌ، فجئتُ إلىٰ سوقِهِ، فلمَّا رآني صاحَ بي وذهبَ بي إلىٰ منزله، وأطعمني، ثمَّ أخرجَ لي صُرَّةً فيها ثلاثون ديناراً من غير أن أذكرَ له شيئاً من حالِنا، إلَّا ابتداءً منه، وقال: أقرِأْ أباكَ السَّلام، وقل له: إنَّا جعلنا له شِرْكاً في كلِّ شيءٍ من تجرنا، وهـٰذا نصيبُه منه (١).

قال أَصْبَغُ بن زيدٍ: جلستُ أنا ومَنْ عندي ثلاثاً لم نطعمْ شيئاً، فخرجتْ إليَّ ابنتي الصَّغيرةُ، فقالت: يا أبتِ! الجوعُ، فأتيت المِيْضَأة، فتوضَّأتُ وصلَّيتُ ركعتين، وأُلْهِمْتُ دعاءً دعوتُ به، وفي آخرِهِ: اللهمَّ افتحْ عليَّ منك رِزْقاً لا تجعلْ لأحدٍ عليَّ فيه مِنَّة، ولا لكَ عليَّ في الآخرةِ فيه تَبِعَةٌ، برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين، ثمَّ انصرفْتُ إلىٰ البيتِ، فإذا ابنتي الكبيرةُ قد قامت إليَّ، وقالتْ: يا أبتِ! جاء عمِّي السَّاعةَ بهـٰذه الصُّرَّةِ [من] الدراهم، وبحمَّالٍ وعليه دقيقٌ، وحمَّالٍ عليه من كلِّ شيءٍ في السُّوقِ، وقال: أقرئوا أخي السَّلامَ، وقولوا له: إذا احتجتَ إلىٰ شيءٍ، فادعُ بهـٰذا الدُّعاءِ تأتك حاجتُك، قال أصبغُ: ولا واللهِ ما كان لي أخٌ قطُّ، ولا أعرفُ من كان هـٰذا القائل، ولـٰكنَّ اللهَ علىٰ كل شيءٍ قديرٌ (٢).

---

(١) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٧٤).

(٢) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٧٥).

وعن الحَكَمِ بن موسىٰ قال: أصبحْتُ، فقالتْ لي المرأةُ: ليس عندنا دقيقٌ، ولا خبز، فخرجْتُ، ولا أقدِرُ علىٰ شيءٍ، فقلتُ في الشَّارعِ: اللهمَّ إنَّكَ تعلمُ أنِّي أعلمُ أنَّكَ تعلمُ أنَّه لا دقيقَ لي ولا خبزَ، وقال: ولا دراهمَ، فائتنا بذلك، فلقيني رجلٌ، فقال: خبزاً تريدُ ودقيقاً ؟ فقلتُ له: أحدَهما، ثم مشيتُ نهاري أجمعَ لا أقدرُ علىٰ شيءٍ، فرجعتُ، فقدَّمَ إليَّ أهلي خبزاً ولحمَاً واسعاً، فقلتُ: منْ أينَ هـٰذا لكم ؟ فقالوا: مِنَ الذي وجَّهتَ به، فسكتُّ [1].

وعنِ الأوزاعيِّ قال: رأيتُ رجلاً في الطَّواف، وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبة، وهو يقولُ: يا ربِّ ! إنِّي فقيرٌ كما ترىٰ، وصبيتي قد عَرُوا كما ترىٰ، وناقَتي قد عَجِفت كما ترىٰ، ممَّا ترىٰ، فيما ترىٰ، يا مَنْ يرىٰ ولا يُرىٰ، فإذا هو بصوتٍ من خلفه: الحقْ أهلَك بالطَّائفِ، وقد خلَّفَ ألفَ نعجةٍ، وثلاثَ مئةِ ناقةٍ، وأربعَ مئةِ دينارٍ، وأربعَ مئةِ عبدٍ، وثلاثةَ أسيافٍ يمانيةٍ، فامضِ فخذها، فليس له وارثٌ غيرُك، قال: قلت له: يا عاصمُ ! يا عاصمُ ! يا عاصمُ ! إنَّ الذي دعوتَه لقد كان قريباً منك، قال: يا هـٰذا ! أما سمعتَ قولَه تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ ﴾[البقرة: ١٨٦] [2].

ورُوىٰ أبو الحسنِ بنُ جَهْضَم بإسنادِه عن حاتمِ الأصمِّ، قال: لقِينَا التُّركَ، فكان بيننا جولة، فرماني تركيٌّ، فقلبني عنْ فرسي، ونزلَ فقعدَ

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

علىٰ صَدْري، وأخذَ بلحيتي، وأخرجَ من خُفِّه سكِّيناً ليذبَحني، فما كانَ قلبي عندَه ولا عندَ سكِّينه، وإنَّما كان عند سيِّدي، فقلتُ: سيِّدي! إنْ قضيتَ عليَّ أن يذبَحني هـٰذا فعلىٰ الرَّأسِ والعينِ، وإنَّما أنا لك ومِلكُك، فبينا أنا علىٰ هـٰذهِ الحالِ؛ إذْ رماه بعضُ المسلمين بسهمٍ، فما أخطأَ حلقَه، فسقط عنِّي، فقمتُ إليه وأخذتُ السِّكِّين من يدِهِ، فذبحتُه بها، فما هو إلَّا أن تكون قلوبُكم عند السَّيِّد، حتىٰ تَرَوْا من عجائبِ لطفه، ما لمْ تَرَوْا من الآباء والأمَّهات [1].

وبإسناده عن عمروٍ السَّرايا ـ وكان يُغِيْر في بلادِ الرُّومِ وحدَه ـ، فبينا هو نائمٌ ذاتَ يومٍ؛ إذ وردَ عليه عِلْجٌ منهم، فحرَّكه برجلِهِ، فانتبه، فقالَ: يا عربيّ! اخترْ إنْ شئتَ مُطَاعَنةً، وإن شئت مُسَايَفَة، وإن شئتَ مصارعَةً، فنزلَ فصرعَني وقعدَ علىٰ صدري، وقال: أيَّ قِتْلَةٍ أَقتُلك؟ فرفعتُ رأسي، وقلتُ: أشهدُ أنَّ كلَّ معبودٍ ما دونَ عرشِكَ إلىٰ قرارِ الأرضين باطلٌ غيرَ وجهِكَ الكريمِ، قد ترىٰ ما أنا فيه، فَفَرِّجْ عنِّي، قال: فأُغْمِيَ عليَّ، فأفقتُ، فإذا الرُّوميُّ قتيل إلىٰ جنبي [2].

وحُكِيَ: أن جبَّاراً عَمِل قصراً وشيَّده وعلَّاه، وجعلَه قِيدَ القلوبِ والنَّواظرِ، فجاءتْ عجوزٌ من السَّائحاتِ إلىٰ ظهرِ القصرِ، فعملت كوخَاً في مكانٍ مباحٍ تعبدُ الله فيه، فركبَ يوماً، فطاف بفِنَاء القصرِ، فرأىٰ الكوخَ، فقال: ما هـٰذا؟ فقيلَ له: امرأةٌ هنا تأوي إليه، وتسيحُ، فأمرَ بهدمِهِ، ولمْ تكنِ المرأةُ حاضرةً، فهُدِمَ، فجاءتْه، فوجدَتْه مهدوماً،

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٤٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (ص: ٩٩)، وفي «الفرج بعد الشدة» (ص: ٩١).

فقالتْ: من هدَمَ هـٰذا ؟ قالوا لها: الملكُ، فرفعتْ طَرْفها إلىٰ السَّماءِ، فقـالـتْ: يـا ربِّ ! أنـا لـم أكـنْ، فـأنـتَ أيـن كنـتَ ؟! قـال وهـبُ: فأمرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ جبريلَ أن يهدمَ القصرَ علىٰ من فيه، فقلبَه علىٰ من فيهِ، فأصبح عبرةً للنَّاظرين [1].

وعن مُطَرِّف بنِ عبدِ اللهِ الجُرَشِيِّ، قال: خرجنا إلىٰ الرَّبيعِ في زمانِهِ، فقلنا: ندخلُ يومَ الجمعةِ لشهودِها، وطريقُنا علىٰ المقبَرةِ، قال: فدخلنا، فرأيتُ جنازةً في المقبرةِ، فقلتُ: لو اغتنمتُ شهودَها ـ أو قال: شهودَ هـٰذهِ الجنازةِ ـ، قال: فشهدتُها، قال: ثمَّ اعتزلتُ ناحيةً قريباً من قبرٍ، فركعتُ ركعتين خفَّفْتُهما، لم أرْضَ إتقانَهما، ونَعَسْتُ، فرأيتُ صاحبَ القبرِ يكلِّمني، وقال: ركعتَ ركعتين لم ترضَ إتقانَهما ! قلتُ: قدْ كان ذلك، قال: تعملونَ ولا تعلمونَ، ولا نستطيعُ أن نعملَ ؛ لأَنْ أكونَ ركعتُ مثل ركعتيك خيرٌ من الدنيا بحذافيرِها، فقلتُ: مَنْ هاهنا أفضلُ ؟ فأشار إلىٰ قبرٍ، فقلتُ في نفسي: اللهمَّ ربَّنا ! أخرجْه إليَّ فأكلِّمَه، قال: فخرجَ من قبرِهِ فتًى شابٌّ، فقلتُ: أنتَ أفضلُ مَنْ هنا ؟ فقال: قد قالوا ذلكَ، قلتُ: فبأيِّ شيءٍ نلتَ ذلك ؟ فوالله ما أرىٰ ذلك السِّنَّ، فأقولُ: نلتَ ذلك بطولِ الحجِّ والعمرةِ والجهادِ في سبيل الله والعملِ ؟! قال: ابتليتُ بالمصائب فرُزِقْتُ الصَّبر عليها، فبذلك فَضَلْتُهُمْ [2].

---

(١) ذكرها الذهبي في «الكبائر» (ص: ١٠٧)، عن وهب بن منبه. وسامح الله المؤلف علىٰ إيراد هـٰذه الحكاية وأمثالها.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٣٠).

وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُسْتجابةٌ يدعو بها، وأريدُ أنْ أَختبئَ دعوتي؛ شفاعةً لأُمَّتي في الآخرة» [1].

وعن أنسٍ ـ رضيَ الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «كلُّ نبيٍّ سألَ سؤالاً ـ أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ قدْ دعا بها ـ فاستجيبتْ، فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يومَ القيامة» [2].

وحُكي: أنَّ النِّيلَ زادَ سنةً زيادة عظيمةً كادت مصرُ تغرقُ، وأقامَ حتىٰ كادَ وقتُ الزَّرعِ يفوتُ، فصاح النَّاسُ، فأتىٰ عثمانُ بنُ مرزوقٍ إلىٰ شاطىءِ النِّيلِ، وتوضَّأَ منه، فنقصَ في الحالِ ذراعين، وزرعَ النَّاسُ في اليوم التَّالي.

وفي بعض السِّنين لم يطلعِ النِّيلُ، وفاتَ وقتُ الزِّراعةِ، وغَلَتِ الأسعارُ، وظُنَّ الهلاكُ، وضجُّوا إليه، فجاءَ إلىٰ شاطىءِ النِّيلِ، وتوضَّأَ منه بإبريقٍ كان مع خادِمِهِ، فزاد النِّيلُ في ذلك اليومِ، وتعاقبتْ زيادتُه إلىٰ أن انتهت إلىٰ حَدِّه، وباركَ الله في زروعِ النَّاسِ تلكَ السَّنةَ [3].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٥)، كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١٩٨)، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

(٢) رواه البخاري (٥٩٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (٢٠٠)، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

(٣) أورد هـٰذه الحكاية ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٢٥)، في ترجمة الشيخ أبي عمرو عثمان بن مرزوق، (المتوفىٰ سنة: ٥٦٤ هـ): أنه حُكي عنه ذلك.
وقد نقل ابن رجب، عن شيخ الإسلام أبي العباس ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أنه كان يقول: ثَمَّ =

وعنْ أبي عُكَاشَةَ، قالَ: كنتُ مع إبراهيمَ بنِ أدهمَ في البحرِ، فهبَّتْ ريحٌ شديدةٌ، وهاجَ البحرُ، واضطربتِ الأمواجُ، وأشرفوا علىٰ الغَرَقِ، وجعلَ النَّاسُ يطرحُون أمتعتَهم في البحرِ، ويتضرَّعونَ إلىٰ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وإبراهيمُ ساكتٌ، فقيلَ له: يا رجلُ! ما لك لا تدعو؟ قال: فاستقبلَ القبلةَ، ومدَّ يديه، وقال: يا أولٌ قبلَ كلِّ شيء، ويا آخرٌ بعدَ كلِّ شيء، ويا من ليس لأوله منتهىٰ، ويا من ليس لآخره فَنَاء، ويا من بطشُه شديدٌ، وعفوُه قديمٌ، وملكُه مستقيمٌ، ونِعَمُه لا تُحصَىٰ، يا مَنْ أظهرَ الجميلَ، وسترَ القبيحَ، يا من لا يُعَجِّل بالعقوبةِ عند الإساءةِ، وما ينأىٰ بعباده [عن] التَّوبةَ، أغثنا يا ربُّ، ثمَّ قالَ: عزمتُ عليك إلَّا فعلتَ، قال: فسكنَ الرِّيحُ، وخرجنا.

وقد اقتصرنا علىٰ هٰذا.

■ ○ ■

= جماعات منتسبون إلىٰ الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، ويقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه، وهٰذا الشيخ كان ينتسب إلىٰ مذهب الإمام أحمد، وهو شيخ من شيوخ أهل العلم والدين.



فصـــل
[في اسمِ اللهِ الأعظم]

ومَنْ قيلَ إنَّه كانَ يحفظُ الاسمَ الأعظمَ: حمزةُ بن الكيَّال [1]، ومنْ قبل هـٰذه الأمة التيمون، وعبد الله بن الثَّامر.

وقال ابنُ عقيل في «الفنون»: قال وكيعُ بنَ الجرَّاح: رأيتُ في المنامِ رجلاً بجناحين، فقلتُ: مَنْ أنتَ؟ فقالَ: مالكُ بنُ دينارٍ، فقلتُ: ما اسمُ اللهِ الأعظمُ؟ فقالَ: اللهُ، قلتُ: وما الدَّليلُ علىٰ ذلكَ؟ قال: قولُه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لموسىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[القصص: ٣٠]، ولو كانَ له اسمٌ أعظمُ منه، قال ـ تباركَ وتعالىٰ ـ: ﴿أَنَا﴾، وسمَّىٰ بذلك الاسم.

وقال الحافظُ إبراهيمُ: ما رأيتُ مثلَ هـٰذا الدُّعاءِ، ولا أسرعَ إجابةٍ منـــه: يـــا اللهُ، يـــا اللهُ، أنـــتَ اللهُ، بلـــىٰ واللهِ، أنـــت اللهُ، لا إلـٰـــه إلَّا أنتَ، اللهُ، اللهُ، واللهِ، واللهِ، إنَّه لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ.

وقيلَ: اسمُ الله تعالىٰ الأعظمُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٢٣].

وقيلَ: اللهمَّ إنِّي أسألُك بأنِّي أشهدُ أنَّك أنتَ اللهُ، لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلدْ، ولم يولَدْ، ولم يكنْ له كفواً أحدُ.

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٨٠).

وقيلَ: اللهمَّ إنِّي أسألُك بأنَّك أنتَ اللهُ الأحدُ. . . إلىٰ آخره.

وقيلَ: اللهمَّ إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمدُ، لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ وحدَك لا شريكَ لك، الحنَّانُ، المنَّانُ، بديعُ السَّمـٰواتِ والأرضِ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

وقيلَ: يا حيُّ، يا قيُّومُ.

وقيل: في هاتينِ الآيتينِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، وفاتحةِ آلِ عمرانَ: ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران: ١ ـ ٢].

وقيل: في ثلاثِ سورٍ: البقرةِ، وآلِ عمرانَ، وطَهَ.

قال القاسمُ بنُ عبد الرَّحمـٰنِ الشَّاميُّ التابعيُّ ـ صاحبُ أبي أُمامةَ صدوقٌ ـ: فالتمستُها: أنَّه الحيُّ القيومُ [(١)].

وقال ابن الجوزيِّ: إنَّه لا إلـٰهَ إلَّا هو الحيُّ القيومُ [(٢)].

وأسماءُ اللهِ الحسنىٰ معروفةٌ، وورَدَ في الحديثِ: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة» [(٣)]، و«مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» [(٤)].

■ ○ ■

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦١).

(٢) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٠٢).

(٣) رواه البخاري (٦٩٥٧)، كتاب: التوحيد، باب: إن لله مئة اسم إلا واحداً، ومسلم (٢٦٧٧)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالىٰ وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٧)، (٤/ ٢٠٦٢)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالىٰ وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

فصـــل

[في مَواطِنِ الإجَابةِ]

وَلْيَتَحرَّ الأماكنَ التي تُرجىٰ فيها إجابةُ الدُّعاءِ، وقدْ وردَ عَنْ جماعةٍ، ورُوِيَ عن شمسِ الدِّينِ ابنِ أبي عمرَ أنَّه كانَ يُكْثِرُ الابتهالَ، لا سيَّما في الأماكنِ التي تُرجىٰ فيها إجابةُ الدُّعاءِ.

قال في «الطَّبقاتِ»: إنَّ الدُّعاءَ عندَ قبرِ عثمانَ بنِ موسىٰ الطَّائيِّ مستجابٌ [1].

وكان الحافظُ إبراهيمُ المقدسيُّ يواظبُ الدَّعاءَ يومَ الأربعاءِ بينَ الظُّهرِ والعصرِ بمقابرِ الشُّهداءِ من بابِ الصَّغِيرِ.

وكان الشَّيخُ أبو عمرَ يدعو في الاستسقاءِ في مَغَارَةِ الدَّم، ويُحْضِرُ النِّساءَ معه [2].

---

(١) ذكر ذلك ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ١٢٤)، في ترجمته، وكان توفي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ سنة (٦٧٤ هـ)، وقد قال ابن رجب: يقال: إن الدعاء يستجاب عند قبره. قال محققه: ادعاء استجابة الدعوة علىٰ قبر بعينه قول علىٰ الله بغير علم.

(٢) قال شيخ الإسلام أبو العباس ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٥٨): الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلىٰ نوعين: =

= **أحدهما**: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها، كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمر بالقبور، أو كمن يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتىٰ، كما جاءت به السنة، فهٰذا ونحوه لا بأس به.

الثاني: أن يتحرىٰ عندها بحيث يستشعر أنَّ الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهٰذا النوع منهي عنه، إما نهي تحريم، أو تنزيه، وهو إلىٰ التحريم أقرب؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ عن اتخاذها مساجد، واتخاذها عيداً، وعن الصلاة عندها، والذي يبين ذلك أمور:

أحدها: أنه قد تبين أن العلة التي نهىٰ النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلىٰ نوع من الشرك بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور ـ إذا رجا الإجابة عندها ـ أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية؛ فإن أكثر المصلين ـ في حال العافية ـ لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلَّا قليلاً، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جداً، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد، وهٰذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشرك بكل طريق.

الثاني: أن قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن، أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء، ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المئة الثانية.

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهمتهم نوائب غير ذلك، فهلاَّ جاؤوا فاستقسموا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ ؟! بل خرج عمه العباس فاستسقىٰ به، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ، بل قد روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها كشفت عن قبر

وكانَ الحافظُ إبراهيمُ إذا دعا جمعَ أهلَه وجيرانَه ودعا وهمْ حضورٌ.

وقد تقدَّمَ الكلامُ على أماكنِ الإجابةِ وأحوالها.

■ ○ ■

= النبي ﷺ لينزل المطر؛ فإنه رحمة تنزل على قبره، ولم تستسق عنده، ولا استغاثت هناك.

وقد كان من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره، ولا به، ولا استنصروا عنده، ولا به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم.

أما ما نقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين، أو أوصوا بذلك، قلنا: الذي ذكرنا كراهته، لا ينقل في استحبابه ـ فيما علمناه ـ شيء ثابت عن القرون الثلاثة التي أثنى النبي ﷺ عليها، وأما من بعد هؤلاء، فأكثر ما يفرض: أن الأمة اختلفت، فصار كثير من العلماء أو الصديقين إلى فعل ذلك، وصار بعضهم إلى النهي عن ذلك؛ فإنه لا يمكن أن يقال: قد أجمعت الأمة على استحسان ذلك.

والمنقول في ذلك إما أن يكون كذباً على صاحبه، أو تكون هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ومنها ما قد يكون صاحبه قاله، أو فعله باجتهاد يخطئ ويصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه، ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله.

ثم أطال ـ رحمه الله ـ في بيان ذلك من النقل والعقل، فمن أراد الشفاء من هذا طالعه هناك فاشتفى، ولله الحمد.

فصـــل
[في مَوَانِعَ الإِجَابَةِ]

وأعظمُ موانعِ الإجابة للنَّاس اليومَ، أكلُهم الحرامَ؛ كما في حديثِ أبي هريرةَ ـ رضيَ الله عنه ـ في «الرَّجُلِ يُطيْلُ السَّفَرَ، أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يدَه إلىٰ السَّماء، يا ربِّ ! يا ربِّ ! ومطعمُه حرام، ومشربُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّىٰ يستجابُ لذلك ؟!»[1].

وقال اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة: ٥٧]، والطيِّبُ لا يكونُ إلَّا حلالاً.

قال ابن رجب[2]: ومِنْ أعظمِ ما تحصُل به طيبةُ الأعمالِ، طيبُ مطعِمِه، وأن يكونَ من حلالٍ.

وفي حديثِ أبي هريرةَ إشارةٌ إلىٰ أنَّ العملَ لا يزكو إلَّا أن يكونَ بأكلِ الحلالِ، وأنَّ أكلَ الحرامِ يُفْسِدُ العملَ، ويمنع قَبْولَه.

وخرَّج الطَّبرانيُّ بإسنادٍ فيه نظرٌ، عن ابن عبَّاسٍ، قالَ: تُلِيَتْ هـٰذهِ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» له (ص: ١٠٠).

الآيــةُ عنــدَ رســولِ اللهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[البقرة:١٦٨]، فقامَ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ! ادعُ اللهَ أن يجعلَني من مستجابي الدَّعوةِ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «يا سعدُ! أطِبْ مطعَمك؛ تكنْ من مستجابي الدَّعوةِ، والذي نفسي بيدِه إنَّ العَبْدَ ليقذفُ اللقمةَ الحرامَ في جوفه ما يُقبَلُ منه عملٌ أربعينَ يوماً، وأيُّما عبدٍ نَبَتَ لحْمُه من سُحْتٍ فالنَّار أولىٰ به» (١).

وفي «مسندِ الإمامِ أحمدَ» بإسنادٍ فيه نظرٌ ـ أيضاً ـ، عنِ ابنِ عمرَ، قال: من اشْتَرىٰ ثوباً بعشرةِ دراهمَ، في ثمنِهِ درهمٌ حرامٌ، لم يَقْبَلِ اللهُ له صلاةً ما كان عليهِ، ثم أدخلَ أصبعيهِ في أذنيهِ، وقال: صمتاً إنْ لم يكن سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ (٢).

وعن ابن عبَّاسٍ، قال: لا يقبلُ الله صلاةَ امرىءٍ في جوفه حرامٌ (٣).

قلت: فكيف الدُّعاءُ؟!

وخرَّج الطَّبرانيُّ بإسناد فيه ضعف، من حديثِ أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٩٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩١): رواه الطبراني في «الصغير» وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٩٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٤٩)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (١٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦١١٤)، وضعفه، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢١)، وغيرهم. قال الحافظ ابن حجر في «الدراية» (١/ ٢٤٧): ضعيف جداً.

(٣) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٠١)، وفيه أبو يحيىٰ القتَّات: ضعيف الحديث.

عنه ـ، عنِ النَّبيِّ ﷺ، قال: «إذا خرجَ الرَّجلُ حاجّاً بنفقةٍ طيِّبَةٍ، ووضَعَ رِجْله في الغَرْز فنادىٰ: لبَّيك اللهمَّ لبَّيكَ، ناداه منادٍ من السَّماء: لبَّيكَ وسعديك، زادُكَ حلالٌ، وراحلتُك حلالٌ، وحجُّك مبرورٌ غيرُ مأزورٍ، وإذا خرجَ الرَّجل بنفقةٍ خبيثةٍ، فوضعَ رجلَه في الغَرْزِ، فنادىٰ لبَّيك، ناداه منادٍ من السَّماءِ: لا لبَّيك، ولا سعدَيك، زادُك حرامٌ، ونفقتُك حرامٌ، وحجُّك غيرُ مبرورٍ» (١).

قال أبو عبدِ اللهِ النَّباجيُّ الزَّاهدُ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: خمسُ خصالٍ بها تمامُ العملِ: الإيمانُ بمعرفةِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ومعرفةُ الحقِّ، وإخلاصُ العملِ للهِ، والعملُ علىٰ السُّنَّة، وأكلُ الحلالِ؛ فإنْ فُقِدَتْ واحدةٌ لم يرتفعِ العملُ؛ وذلكَ أنَّك إذا عرفتَ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ولمْ تعرفِ الحقَّ، لم تنتفعْ، وإذا عرفتَ الحقَّ، ولمْ تعرفِ اللهَ، لم تنتفعْ، وإذا عرفتَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وعرفتَ الحقَّ، ولم تُخْلِصِ العمل، لم تنتفعْ، وإنْ عرفتَ اللهَ، وعرفتَ الحقَّ، وأخلصتَ العملَ، ولم تكنْ علىٰ السُّنَّة، لم تنتفعْ، وإن أتممْتَ الأربعَ، ولم يكنِ الأكلُ من الحلالِ، لمْ تنتفعْ (٢).

وقال وُهَيب بن الوَرْدِ: لو قمتَ مقامَ هـٰذه السَّاريةِ، لم تنتفعْ حتَّىٰ تنظرَ ما يدخُلُ بطنَك، حلالٌ أو حرامٌ (٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٢): فيه سليمان بن داود اليمامي، وهو ضعيف.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٧ ـ ١٨)، وهـٰذا سياق ابن عساكر.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٨).

وعن الأصفرِ، قال: قيلَ لسعدِ بنِ أبي وقَّاص: تُستجابُ دعوتُك مِنْ بينِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: ما رفعتُ إلىٰ فيَّ لقمةً، إلَّا وأنا أعلم من أين مجيئُها، ومن أين خرجتْ [1].

وعن وهبِ بنِ مُنبِّه، قال: من سَرَّه أنْ يستجيبَ اللهُ دعوتَه، فَلْيُطِبْ مطعمَه [2].

وعن سهلِ بنِ عبدِ اللهِ، قالَ: مَنْ أكلَ الحلالَ أربعينَ صباحاً، أجيبتْ دعوتُه [3].

وعن يوسفَ بنِ أَسْبَاطٍ، قالَ: بَلَغنَا أنَّ دعاءَ العبدِ يُحْبَسُ عن السَّمٰواتِ بسوءِ المطعمِ [4].

وقوله ﷺ: «أنَّىٰ يُستجابُ لذلك»؛ أيْ: كيفَ يُستجابُ له معَ أكلِ الحرامِ، وهو أفضلُ تعجُّبٍ، واستبعادٌ للإجابةِ صريحٌ في عدمِ الإجابةِ؛ خلافاً لما قال ابنُ رجبٍ: إنه لفظ استفهامٍ، وليسَ صريحاً في منعِ الإجابة.

وعن ابنِ عمرَ، قال: بالورعِ عمَّا حرَّم اللهُ، يَقبلُ الله الدُّعاءَ والتَّسبيحَ [5].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٠٧).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه، إلَّا أنَّه عزاه إلىٰ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

وعن أبي ذَرٍّ، قالَ: يكفي مع البِرِّ من الدُّعاءِ، مثلُ ما يكفي الطَّعامَ من الملحِ [1].

وقال محمَّد بن واسعٍ: يكفي من الدُّعاء مَع الورعِ اليسيرُ [2].

وقيل [لسفيانَ]: لو دعوتَ اللهَ! قال: إنَّ تركَ الذُّنوبِ هو الدُّعاءُ [3].

وموانعُ الإجابةِ ـ أيضاً ـ الذنوبُ:

قال الليثُ: رأىٰ موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ رجلاً رافعاً يديه، وهو يسألُ اللهَ مجتهداً، فقال موسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أيْ ربِّ! عبدُك دعاك حتىٰ رحمتُه، وأنتَ أرحم الرَّاحمين، فما صنعتَ في حاجَتِهِ؟ فقالَ: يا موسىٰ! لو رَفع يديه حتَّىٰ تنقطعَ، ما نظرتُ في حاجته حتىٰ ينظرَ في حقِّي [4].

وخرَّج الطَّبرانيُّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ، عن ابن عبَّاسٍ مرفوعاً معناه [5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٧٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (٢٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٦٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٩٣).

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٠٧).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩٢٢)، وفي «المعجم الأوسط» (٥٣٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠٤)، بلفظ: «لست بناظر في حق عبدي؛ حتىٰ ينظر عبدي في حقي»، وإسناده ضعيف.

وقال مالكُ بن دينارٍ: أصاب بني إسرائيلَ بلاءٌ، فخرجوا مخرَجاً، فأوحىٰ الله إلىٰ نبيِّه أن أخبرْهم أنّكم تخرجونَ إلىٰ الصَّعيد بأبدانٍ نجسةٍ، وترفعون إليَّ أكفَّاً سفكْتُم بها الدِّماءَ، وملأتُم بها بيوتَكم من الحرامِ، الآن اشتدَّ غضبي عليكُم، ولن تزدادوا منِّي إلا بُعْداً [1].

وقال بعضُ السَّلفِ: لا تَسْتَبْطِئِ الإجابةَ، وقد سَدَدْتَ طريقَها بالمعاصي [2].

وقال الشاعر [من الخفيف] [3]:

نحن ندعو الإلٰهَ في كُرْباتِنَا ثم ننساهُ عند كَشْفِ الكُرُوْبِ
كيفَ نرجو إجابةً لدعاءٍ قد سَدَدْنَا طريقَها بالذُّنُوبِ

ومن موانعِ الإجابة ـ أيضاً ـ: ترك الواجبات؛ كما في الحديث: أنَّ تركَ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المنكرِ، يمنعُ من استجابةِ الدُّعاءِ [4].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥٤)، عن يحيىٰ بن معاذ الرازي.

(٣) هو الوزير أبو غانم معروف بن محمد بن معروف القصري، كما رواه أبو طاهر السِّلَفي في «معجم السفر» (ص: ٢٩٥)، وعنده: «كل كرب» بدل «كرباتنا»، وبه يستقيم وزن البيت.

(٤) رواه الترمذي (٢١٦٩)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: حسن، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٨)، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

وقالَ شقيقٌ البلخيُّ: مرَّ إبراهيمُ بنُ أدهمَ في أسواقِ البصرةِ، فاجتمعَ النَّاسُ إليه، فقالوا: يا أبا إسحاقَ! إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ في كتابِهِ الكريمِ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]، ونحنُ ندعوه منذُ دهرٍ، فلا يستجيبُ لنا؟!

قال إبراهيمُ: يا أهلَ البصرةِ! ماتتْ قلوبُكم في عَشْرةِ أشياءٍ:

أوَّلُها: عرفْتُمُ اللهَ ولم تؤدُّوا حقَّه.

الثَّاني: قرأتُم كتابَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ولم تعملوا بِهِ.

الثَّالث: ادَّعيتم حبَّ الرَّسولِ ﷺ، وتركتُم سنَّتَه.

الرَّابع: ادَّعيتُمْ عداوةَ الشَّيطانِ ووافقتموهُ.

الخامس: قلْتم: نحبُّ الجنَّةَ، ولم تعملوا لها.

السَّادس: قلْتم: نخافُ النَّارَ، ورهنتُم أنفسكُم بها.

السَّابع: قلتُم: إنَّ الموتَ حقٌّ، ولم تستعدُّوا له.

الثَّامن: اشتغلتُم بعيوبِ إخوانِكم، وَنَبذتم عيوبَكُم.

التَّاسع: أكلتُم نعمةَ اللهِ، ولم تشكروها.

العاشر: دفنتُمْ أمواتَكم، ولم تعتبروا [١].

■ ○ ■

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥ ـ ١٦).



فصـــل

[في بعضِ الأَسْبابِ التي تُرجى بها إجابةُ الدُّعاء]

والأعمالُ الصَّالحةُ وسيلةٌ إلىٰ إجابةِ الدُّعاءِ، كما في قضيَّة أصحابِ الغار [1].

وقال وهبُ بن مُنَبِّه: مَثَلُ الَّذي يدعو بغيرِ عملٍ؛ كَمثَلِ الَّذي يرمي بغير وتر [2].

وعنه قالَ: العملُ الصَّالحُ يَبْلُغُ الدُّعاءَ، ثم تلا: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠] [3].

ومن الوسيلةِ إلىٰ إجابةِ الدُّعاء ـ أيضاً ـ: التذلُّلُ، والتَّواضعُ، وتكرارُ الدُّعاءِ.

---

(١) فيما رواه البخاري (٣٢٧٨)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (٢٧٤٣)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٠٩)، ومن طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٣).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٧).

والمسافرُ تُرجىٰ إجابةُ دعائه، كما عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «ثلاثُ دَعَوَاتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ؛ دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوالد لولدِهِ» [1].

ومتىٰ طالَ السَّفرُ، كانَ أسرعَ إلىٰ الإجابةِ؛ لأنَّه مَظِنَّةُ حصولِ الانكسارِ بطولِ الغربةِ عن الأوطانِ، وتحمُّلِ المَشَاقِّ، خصوصَاً إذا كان السَّفرُ سفرَ عبادةٍ؛ كالحجِّ، والجهادِ، ونحوِهما.

ومن الأسبابِ التي تُرجىٰ بها إجابةُ الدُّعاءِ: حصولُ التذلُّلِ في اللباسِ، والهيئةِ بالشَّعَثِ والغُبارِ، كما عن النَّبيِّ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذو طِمْرَيْنِ، مدفوعٌ بالأبوابِ، لو أقسمَ علىٰ الله لأبرَّه» [2].

ولمَّا خرجَ النَّبيُّ ﷺ للاستسقاءِ، خرجَ متبذِّلاً، متواضِعاً، متضرِّعاً [3].

وكان مطرِّف بنُ عبدِ الله قد حُبس له ابنُ أخٍ، فلبسَ خُلْقَاناً من ثيابه، وأخذ عُكَّازاً بيده، فقيلَ: ما هٰذا؟ فقال: أستكين لربِّي؛ لعلَّه أن يشفِّعَني في ابنِ أخي [4].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٦)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء بظهر الغيب، والترمذي (١٩٠٥)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في دعوة الوالدين، وابن ماجه (٣٨٦٢)، كتاب: الدعاء، باب: دعوة الوالد ودعوة المظلوم، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٢٥).

ومنها ـ أيضاً ـ: رفعُ اليدين ومدُّهما إلىٰ السَّماءِ؛ كما تقدَّم، وفي حديثِ سلمانَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الله تعالىٰ حَيِيٌّ كريمٌ، يَسْتَحِي إذا رَفَعَ الرَّجلُ إليه يديه أن يَرِدَّهُمَا صِفْرَاً خَائِبَتَين»[1].

■ ○ ■

(١) تقدم تخريجه.



فصـــل
[في استحباب بَدْءِ الدُّعاء بالحَمْدَلَةِ والصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ]

وليبدأْ في الدُّعاءِ بحمدِ الله، والصَّلاةِ علىٰ النَّبيِّ ﷺ؛ كما قال فُضَالةُ بن عُبَيدٍ، قال: سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، ولم يصلِّ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: «عجَّلَ هـٰذا»، ثم دعاه، فقالَ: «إذا صلَّىٰ أَحَدُكُمْ فليبدأْ بتحميدِ الله، والثَّناءِ عليه، ثم ليُصَلِّ علىٰ النَّبيِّ، ثم ليدْعُ بما شاء» [1].

وعن عمرَ [قال]: قال النَّبيُّ ﷺ: «الدُّعاءُ موقوفٌ بين السَّماءِ والأرضِ، لا يصعدُ حتَّىٰ يُصلَّىٰ عليَّ، ولا تجعلوني كغُمَرِ الرَّاكب، صلُّوا عليَّ أوَّلَ الدُّعاءِ وأوسَطَه وآخرَه» [2].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨١)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، والترمذي (٣٤٧٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٦٥)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧١٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٠)، وغيرهم.

(٢) روىٰ الترمذي (٤٨٦)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً قال: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء، حتىٰ تصلي علىٰ نبيك ﷺ». =

وعن ابنِ مسعودٍ، قال: كنتُ أصلِّي والنَّبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعمرُ معه، فلمَّا جلستُ بدأتُ بالثَّناء على الله، ثمَّ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ، ثمَّ دعوتُ لنفسي، فقالَ ﷺ: «سَلْ تُعْطَه، سَلْ تُعْطَه»[1].

وعن أُبَيِّ بنِ كعبٍ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دَعا لأحدٍ بدأَ بنفسه[2].

= قال ابن العربي المالكي: ومثل هٰذا لا يقال من قبل الرأي، فيكون له حكم الرفع، كما في «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٦٤).
أمَّا الزيادة التي في الحديث وهي قوله: «فلا تجعلوني كغمر الراكب. . .» فإنما تروىٰ من رواية جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ كما في «مصنف عبد الرزاق» (٣١١٧)، و«مسند عبد بن حميد» (١١٣٢)، و«مسند الشهاب القضاعي» (٩٤٤)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١٥٧٨)، و«مسند الفردوس» للديلمي (٧٤٥٢)، وغيرهم بلفظ: «لا تجعلوني كقدح الراكب، إذا علَّق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء؛ فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب، وإلا أهرق ما فيه، اجعلوني في أول الدعاء، وفي وسط الدعاء، وفي آخر الدعاء».
قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥١٥): وهٰذا حديث غريب، وموسىٰ بن عبيدة ضعيف الحديث، وانظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٢٣٦)، و«لسان الميزان» لابن حجر (١/ ٩٥)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ١٥٥).
وقوله: «كغمر الراكب» الغُمَرُ ـ بضم الغين وفتح الميم ـ: القدح الصغير، أراد أن الراكب يحمل رَحْلَه وأزوادَه، ويترك قَعْبَه إلىٰ آخر تَرْحاله ثم يعلِّقه علىٰ رحله، كالعِلاوة، فليس عنده بمُهمٍّ، فنهاهم أن يجعلوا الصلاة عليه كالغُمرَ الذي لا يُقدَّم في المُهَامِّ، ويجعل تبعاً. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٨٥).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٥)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه، وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٣١٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٢١).

وعن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «كلُّ أمر ذي بالٍ، لا يُبْدَأ فيه بذكرِ اللهِ، فهو أَقْطَعُ»[(١)]، وفي روايةٍ: «أَجْذَمُ»[(٢)]، ومعناه: مقطوعُ الخيرِ والبركةِ.

وفي الغالبِ عند العربِ إذا ذكروا اللهَ في شيءٍ، ذكروا معَه النَّبيَّ ﷺ؛ كما في التَّشهُّدِ، والأذانِ، والإقامةِ، والخُطبةِ، وجميعِ هٰذا.

وقال حسَّان [من الكامل]:

قَرَنَ الإلٰهُ اسْمَ الرَّسولِ إلىٰ اسْمِهِ ... إذْ قال في الخَمْسِ المؤذِّنُ أَشْهَدُ

وشقَّ له من إسمه ليُجِلَّه ... فذو العرشِ محمودٌ وهٰذا محمَّدُ[(٣)]

■ ○ ■

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٣٢٨)، وابن ماجه (١٨٩٤)، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، وابن حبان في «صحيحه» (١)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع».

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٠)، كتاب: الأدب، باب: الهدي في الكلام، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٣/ ١٥١): اختلف في وصله وإرساله، فرجح النسائي والدارقطني الإرسال.
والحديث حسنه النووي في «شرح مسلم» (١/ ٤٣)، و«رياض الصالحين» (ص: ٣١٥)، وغيرهما.

(٣) انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٢٢٥)، والبيت الثاني منه نسب إلىٰ أبي طالب، وتفعيلته من البحر الطويل.

فصـــل

[في الجَهْرِ والإِسْرارِ بالدُّعاءِ]

ولا يجهرُ بالدُّعاءِ؛ لقولِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠].

قال البخاريُّ، عن عائشةَ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠]، قالت: أُنْزِلَ ذلك في الدُّعاء[(١)].

قال ابنَ مُفْلِحٍ في «الآدابِ الشرعيَّةِ»: ويُكْرَه رفعُ الصَّوتِ بالدُّعاءِ مُطلقاً.

قالَ المِرْوَزِي: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ: ينبغي أن يُسِرَّ دعاءَه؛ لقولِه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠]، قال: هٰذا في الدُّعاءِ.

قلتُ: فكأنَّه رأىٰ ما رأتْ عائشةُ.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦٨)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، ومسلم (٤٤٧)، كتاب: الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة.

قال: وسمعتُ أبا عبدِ الله، يقولُ: وكانَ يُكْرَهُ أن يرفعُوا أصواتَهم بالدُّعاءِ، لا سيَّما عند الحربِ، وحَمْلِ الجنازةِ، والمشيِ بها.

وقيل: يُسَنُّ أن يُسْمِعَ المأمومين الدُّعاءَ، قدَّمه ابنُ تميمٍ، وقيلَ: مع قصدِ تعليمِهِ، ولا يجبُ الإنصاتُ في أصحِّ الوجهين، ذكرَه ابنُ تميمٍ، وابنُ حمدانَ، وقيل: خفضُ الصَّوتِ بالدُّعاءِ أولىٰ [1].

وقال في «المُسْتَوْعِب»: يُكْرَهُ رفعُ الصَّوتِ بالدُّعاءِ، وينبغي أنْ يُخْفِيَ ذلك [2].

وقال اللهُ ـ عزَّ وَجلَّ ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥].

وعنْ سعدٍ مرفوعاً: «خَيْرُ الذِّكْرِ الخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي» رواه الإمام أحمد [3].

وقيلَ: إنَّ سببَ نزولِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[البقرة: ١٨٦]: أنَّهم كانوا في غَزَاة، فرفعُوا أصواتَهم بالتَّكبيرِ، فنهاهم النَّبيُّ ﷺ، وقال: «إنَّكم لا تدْعونَ أَصَمَّ، ولا أَبْكَمَ؛ إنَّه سميعٌ قريبٌ، وهو مَعَكُم» [4].

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٩٤).

(٢) انظر: «المُستوعِب» للسَّامري (٢/ ١٧٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٣٧)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢)، وغيرهم، عن سعد بن مالك أو ابن أبي وقاص ـ رضي الله عنهم ـ.

(٤) تقدم تخريجه.

وقيلَ سببُ نزولها: أنه جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ! أقريبٌ ربُّنا فنناجيه، أمْ بعيدٌ فنناديه؟ فنزلتْ هٰذه الآية [1].

وفي «الصَّحيحين»، عنْ أبي هريرةَ مرفُوعاً: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَنِي» [2]، ولأحمدَ وابنِ ماجَه: «وأنا مَعَ عَبْدِي إذا ذَكَرَني، وتحرَّكَتْ بي شَفَتَاه» [3].

والحكمةُ في إسرارِ الدُّعاء ـ واللهُ أعلمُ ـ: أنَّه سِرٌّ بينَ العبدِ وبينَ رِّبه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وربَّما يدعو الإنسانُ بما يُعَابُ عليه، أو يُسْتَحْقَرُ عندَ غيرِهِ.

■ ○ ■

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، كتاب: الأدب، باب: فضل الذكر، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٥)، وعلَّقه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٢٧٣٦)، كلهم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.



فصـــل
[في إخلاصِ الدُّعاءِ للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ]

ولا يخطُرْ ببالِهِ إلاَّ اللهُ تعالَىٰ، وليُخلِّصْ قلبه من الدُّنيا.

قال بعضُهمْ: كلُّ ما يُلْهِي عنِ اللهِ، فهو عليك شؤمٌ [1].

وقيـلَ: إنَّ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مكـثَ سبعيـنَ صبـاحـاً يُنـاجِـي ربَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فلمْ يأكلْ شيئاً، فخطرَ ببالِهِ الأكلُ، فانقطعتْ عنه المناجاةُ، فقعدَ يبكي، فإذا شيخٌ قد أقبلَ، فقالَ لهُ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ادعُ اللهَ تعالىٰ لي؛ فإنّي كنتُ في حالةٍ، فَخَطَرَ ببالي الأكْلُ، فانقطعتْ عنّي تلك المناجاةُ، فقال الشَّيخُ: اللهمَّ إنْ كانَ خطرَ ببالي الأكلُ منذُ عرفتُك فلا تغفِرْ لي [2].

وقال عبدُ الله الكِنانِيُّ: جاءَني فقيرٌ فسألتُه عن حالِهِ، فقالَ لي: إنِّي مكثْتُ عشرةَ أيّامٍ لم آكلْ فيها شَيئاً، فشكوتُ إلىٰ بعضهم الجوعَ، ثمَّ إنِّي مررتُ ببعضِ الأزِقَّةِ، فوجدْتُ درهمَاً مطروحَاً، فرفعتُه، فإذا عليه

---

(١) انظر: «شرح حديث لبيك» لابن رجب (ص: ٧٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٨٣).

مكتوبٌ: أما كانَ اللهُ عالمَاً بجوعِكَ حتَّىٰ قلتَ: إنِّي جائعٌ [1].

اللهمَّ لا تجعلْ قلوبَنا مشتغلةً إلاَّ بكَ، ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا، يا أرحمَ الرَّاحمين.

■ ○ ■

(١) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٥٠)، و«المدخل» لابن الحاج (٣/ ٢٠١).

فصل

[المَعاصِي تمنعُ إجابةَ الدُّعاءِ]

وإذا دعوتَ وكانتْ أعمالُكَ قبيحةً، فعلىٰ أيِّ وجهٍ ترجو الإجابةَ ؟ فأخلصِ القلبَ، وطهِّرِ النَّفسِ، وادعُ، فإذا فعلتَ ذلكَ استُجيبَ دعاؤُك.

قال الحافظُ إبراهيمُ لبعضِ أصحابِه وقد دَعا: دعاءٌ بلا عَمَلٍ لا ينفَعُ.

وقال معروفُ الكَرْخيُّ ـ رضيَ الله عنه ـ: أَخْرَجُوا الدُّنيا من قلوبِهِمْ، ولو كانَ في قلوبِهِمْ منها مثقالُ ذرَّةٍ، ما تقبَّلَ اللهُ لهمْ سجدةً واحدةً [(١)].

وسُئل سليمانُ الدَّارانيُّ: بأيِّ شيءٍ تُنالُ معرفَتُهُ ؟ قال: بطاعَتِهِ، قيل له: بأيِّ شيءٍ تُنال طاعتُه ؟ قال: به [(٢)].

وأنشد بعضهم [من الكامل]:

يا حسرةَ العاصينَ عِنْدَ معادِهِمْ ... هـٰذا وإنْ قَدِموا علىٰ الجَنَّاتِ

لو لمْ يكُنْ إلاَّ الحياءُ مِنَ الذي ... سترَ القَبيحَ لأعْظَمُوا الحَسَرَاتِ



---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٣٢٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٤٦).



فصــل
[في العَزْمِ على الدُّعاءِ]

وَلْيَعْزِمِ الدُّعاءَ، ولا يتملَّقْ؛ لِما روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا دَعا أحدُكُمْ فليعْزِمِ المسألةَ، ولا يقولَنَّ: اللهمَّ إنْ شئتَ فأعطني؛ فإنَّه لا مُسْتَكْرِهَ له»[1].

وعنْ أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قالَ: «لا يقولَنَّ أحدُكُمْ: اللهمَّ اغفرْ لي، اللهمَّ ارحمني إن شئتَ؛ ليعزِمِ المسألةَ؛ فإنَّه لا مُكْرِهَ له»[2].

وعنه ـ أيضاً ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ادعوا اللهَ وأنتمْ مُوْقِنونَ بالإجابةِ، واعلموا أنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ»[3].

وقال أبو يزيدَ البِسْطاميُّ[4] ـ رضي الله عنه ـ: حججْتُ سنةً من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) هو طيفور بن عيسىٰ بن شروسان أبو يزيد البسطامي، سلطان العارفين، وأحد الزهاد، كان جده شروسان مجوسياً فأسلم، له كلام نافع، ونكت مليحة، وجاء عنه أشياء =

السِّنينِ إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ، فجعلتُ أدعو وأتملَّقُ، وإذا بهاتفٍ يقول: يا أبا يزيدٍ ! لو دعوتَ بهٰذا الدُّعاءِ ألفَ سنةٍ، وحججْتَ ألف حَجةٍ، ما قبلْنا منك، ولا ذرَّةً واحَدةً، فقلتُ: لماذَا ؟ قال: لأنَّك ترىٰ عَمَلَك، ولا ترَىٰ من استعمَلَك، فقلتُ: يا ربُّ ! إذا لمْ تقبلْ منّي عبادَتي ولا عَبْرتي؛ لأقطعنَّ الوصَالَ بيني وبينَك، فقيلَ له: يا أبا يزيدَ ! إن كانَ بيدِكَ فاقطعْه، نحنُ أوصَلْناكَ، ولو شِئْنا لقطعنَاكَ، فقلتُ: وعزَّتِك، لا أبْرَحُ من حَرَمِك حتَّىٰ أعلمَ رضاكَ عنِّي، فقيلَ له: لو يعلمُ العالَمُ ما أعْلَمُه من باطِنِكَ؛ لرجمُوك، فقلتُ: وعزَّتِك وجلالِكَ: لو يعلمُ العالَمُ ما أعلمُه من كَرَمِك ما عبدُوكَ، وإذَا بهاتفٍ يقولُ: يا أبا يزيدَ ! لا تقولُ، ولا نقولُ، أنت عندنا مقبولٌ.

والله أعلمُ بصحَّةِ هـٰذا، وكلِّ ما في الكتاب.



= مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والغيبة، فتطوىٰ ولا يحتج بها؛ إذ ظاهرها إلحاد؛ مثل: ما النار ؟ لاستندنَّ إليها غداً، وأقول: اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها، ونحو ذلك.

قال السُّلمي في «تاريخ الصوفية»: توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات، ثم قال: ويحكىٰ عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولاً عليه، وكان يرجع إلىٰ أحوال سنيَّة، (توفي سنة ٢٦١ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٨٩).

فصل

[التذلُّلُ والمسْكنةُ في الدُّعاءِ]

وأعظمُ ما تكونُ إجابةُ الدُّعاءِ لمنْ طردَه النَّاسُ، ولقيَ اللهَ بالذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ؛ كما في قصَّةِ الذي طردَه بنو إسرائيلَ المتقدِّمَةِ.

وقال الجُنيدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: كان بجواري شُرْطيٌّ، فلمَّا ماتَ، حُمِلَ إلىٰ مسجِدي لأصلِّيَ عليهِ، فامتنعتُ من الصَّلاةِ عليهِ؛ لِمَا أعرِفُ من ظُلْمِهِ، فقلتُ: اصرِفوه عنِّي، فصرَفُوه، وصلَّوا عليهِ، ودفنُوه، فرأيتُه تلكَ الليلةَ في منامي، وهو في قُبَّةٍ خضراءَ، فقلتُ له: أنتَ فلانٌ الشُّرطيُّ! قالَ: نعمُ، فقلتُ له: بِمَ نلتَ هـٰذه المنزلَةَ؟ قالَ: بإعراضِكَ عنِّي، أقبلَ عليَّ الجليلُ، وقال: أنا أقبلُ المطرودين [1].

وقال مالكُ بنُ دينارٍ: كانَ لي جارٌ مُسْرفٌ علىٰ نفسِهِ، كثيرُ الخَطايا، قَدْ تأذَّىٰ الجيرانُ منه، فأخبرْتُه بذلكَ، وقلتُ له: اخرجْ مِنَ البلدِ، فقالَ: أبيعُ منزلي؟! فقلتُ: بعْ منزلَكَ، فقالَ: لا أبيعُ مِلْكي، فقلتُ له: أشكوكَ إلىٰ السُّلطانِ، فقالَ: أنا مِنْ أعوانِهِ، فقلتُ: أنا أدعُو عليكَ، فقالَ: إنَّ اللهَ

---

(١) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٤٤).

أرحمُ بي منكَ، فهمَمْتُ أنْ أدعوَ عليهِ، فهتفَ بي هاتفٌ: لا تدْعُ عليه؛ فإنَّه وليٌّ مِنْ أوليائي، فجئْتُ إلىٰ بابِ دارِهِ، فنظرَ إليَّ وظَنَّ أنّي أُخْرِجُه، فقامَ إليَّ كالمعتذر، فقلتُ: ما جئتُ إلىٰ هٰذا، ولكنْ سمعتُ كذا وكذا، فوقعَ عليه البكاءُ، وقال: إنِّي تُبْتُ ممَّا كان مِنِّي [1].

اللهمَّ إنَّا مطرودُونَ من الخَلْقِ، فاقبلْنا، ومن بابِكَ نطلُبُ لا من غيرِه، فاغفرْ لنا وارحمْنا؛ فإنْ كانَ جَنَابُ الخَلْقِ ضاقَ عنَّا، فجنابُك وَسِعَنا، يا أرحمَ الرَّاحمينَ.

■ ○ ■

(١) انظر: «التوابين» لابن قدامة (ص: ٢٤٩).

فصل

[تركُ بعضِ الزُّهادِ الدُّعاءَ خوفاً وحياءً]

ولنذكرْ نُبْذَةً من أخبارِ مَنْ لمْ يدْعُ من الحياءِ والخوفِ:

ذُكِرَ عنْ مالكِ بنِ أنسٍ، قال: صَحِبْتُ جعفرَ الصَّادقَ، فلمَّا أرادَ أنْ يُلَبِّيَ تغيَّرَ وجهُهُ، وارتعدتْ فرائِصُهُ، فقلْتُ: مالَكَ يا بنَ رسولِ اللهِ ﷺ؟! فقالَ: أردتُ أنْ ألبِّيَ، فقلتُ: وما توقُّفُكَ؟ فقالَ: أخافُ أن أسمعَ غيرَ الجواب [1].

ووقَفَ مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ وبكرٌ، فقالَ مطرِّفٌ: اللهمَّ لا تَرُدَّهُمْ مِنْ أجْلي، وقال بكرٌ: ما أشرَفَه من مقامٍ لولا أنِّي فيه [2].

وعنِ الفُضيل بنِ عِياضٍ: أنَّه وقفَ بعرفةَ، والنَّاسُ يدعُون، وهويبكي بكاءَ الثَّكْلَىٰ المحترقةِ، فلمَّا كادتِ الشَّمسُ تَسْقُطُ، قَبَضَ علىٰ لِحْيَتِهِ، ثمَّ رفعَ رأسَه إلىٰ السَّماء وقال: واسَوْأَتا مِنْكَ وإن عفوتَ [3].

---

(١) انظر: «المدهش» لابن الجوزي (ص: ١٤٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٤٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٩٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٢٠).

وعَنْ محبوبٍ تلميذِ أبي الأدْيان، قالَ: ما رأَيْتُ رجُلاً خائِفاً إلاَّ رَجُلاً واحِداً، كنْتُ واقِفاً فرأيتُ شابّاً مُطْرِقاً منذُ وقفَ النَّاسُ إلىٰ أنْ سقطَ القُرْصُ، فقلتُ: يا هـٰذا! ابسُطْ يدَيكَ للدُّعَاءِ، فقالَ لي: ثَمَّ وَحْشَةٌ، فقلتُ له: هـٰذا يومُ العفوِ عنِ الذُّنوبِ، قال: فبسَطَ يديه، ففي بسطِ يديه وقعَ ميْتاً [1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ الجَلاء، قالَ: كنتُ بذي الحُلَيْفَةِ، وشابٌّ يريدُ أنْ يخرُجَ، فكانَ يقولُ: يا ربّ! أريدُ أن أقولَ لبَّيك، فأخشىٰ أنْ تجيبَني بلا لبَّيك، ولا سعدَيْك، يردِّدُ ذلك مِراراً، ثمَّ قال: لبَّيك اللهمَّ، مَدَّ بها صوتَه، وخرجَتْ روحُه [2].

وقيلَ: إنَّ عبيدةَ الخَوَّاصَ ـ رضي الله عنه ـ لم يضحَكْ أربعينَ سنَةً، ولا رفعَ رأسَه إلىٰ السَّماءِ؛ حياءً منَ اللهِ تعالىٰ [3].

وقالَ بعضُ السَّلف: إنِّي لأستحي منَ اللهِ أنْ أسألَه الدُّنيا، وهوَ يملِكُها، فكيفَ أسألُها من لا يملِكُها؛ ـ يعني: المخلوقَ ـ [4].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٤١٠)، وعنده: أن أبا الأديان قال: فذكر القصة.

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٤٣٦)، عن أبي عبد الله أحمد بن الجلاء، وانظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٤٠٨)، ووقع عنده: عبد الله بن الجلاء، والصواب الأول.

(٣) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٧٥). وقد جاء مثل هـٰذا عن عطاء السليمي، فيما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢١).

(٤) تقدم ذكره.

وقالَ ابنُ رجبٍ في «نور الاقتباس» [1]: وكانَ السَّلَفُ كثيراً يحافِظون علىٰ الإيمانِ؛ فمنهم مَنْ كانَ لا يحلِفُ باللهِ البَتَّة.

وفي قصَّةِ موسىٰ لمَّا سألَ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ النَّظرَ إليه، ورقىٰ إلىٰ الجبلِ، ومرَّتْ عليه الملائكةُ، ثمَّ نزل جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَنْ في السَّبعِ سمـٰواتِ.

قالَ في «التَّوابين»: قال إسرافيلُ: يا موسىٰ! واللهِ إنَّا لنحنُ رؤساءُ الملائكةِ، ولمْ نرفَعْ أنظارَنا نحوَ العرشِ منذُ خُلِقْنا؛ خوفاً وفَرَقاً، فَما حَمَلَك أيُّها العبدُ الضعيف علىٰ هـٰذا؟! [2]

وقدْ رُوِيَ هـٰذا ـ أيْ: تَرْكُ الدُّعاء من الحياءِ ـ عن جماعةٍ منَ الزُّهَّاد.

■ ○ ■

---

(١) انظر: «نور الاقتباس» لابن رجب (ص: ٣٨).

(٢) انظر: «التوابين» لابن قدامة (ص: ١٥).

فصــل

[في أدعيةٍ وردَ بها الشَّرعُ، مؤقَّتَةً بالزَّمانِ والمكانِ]

ولنذكر نُبذةً من الدُّعاء المُقَيَّدِ بوقتٍ، أو مكانٍ، أو حالٍ:

عند المساء: «أمسينا وأمسىٰ الملكُ لله، والحمدُ لله، لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحْدَه لا شريك له، له المُلْكُ، وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير، ربِّ أسألُك خيرَ ما في هـٰذه الليلة، وخيرَ ما بعدَها، وأعوذُ بك من شرِّ ما في هـٰذه الليلةِ، وشرِّ ما بعدَها، ربِّ أعوذُ بك من الكَسَلِ، وسوءِ الكِبَرْ[1]، وأعوذُ بك من عذابٍ في النَّار، وعذابٍ في القبر»[2].

ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، والمعوَّذَتين، ثلاثَ مرَّات[3].

---

(١) في الأصل: «الكرب».

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٣)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي (٣٥٧٥)، كتاب: الدعوات، باب: (١١٧)، وقال: حسن صحيح، عن عبد الله بن خبيب ـ رضي الله عنه ـ.

«اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلـه إلاَّ أنت خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنْبي، فاغفرْ لي، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنت» [(١)].

«بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ، ولا في السَّماءِ، وهو السَّميعُ العليمُ» «ثلاث مرات» [(٢)].

«اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلـه إلاَّ أنت، عليك توكلْتُ، وأنت ربُّ العرشِ العظيمِ، ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكن، لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيمِ، أعلمُ أنَّ الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قدْ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنْ شرِّ نفسي، ومن شَرِّ كلِّ دابَّةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي علىٰ صراطٍ مستقيمٍ» [(٣)].

وعند النَّوم: «باسمكَ اللهمَّ أموتُ وأحيا» [(٤)]، ويقرأ المعوَّذتين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، ويمسحُ ما استطاع من جَسَدِهِ، وآيةَ الكرسيّ،

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٧)، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٨)، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي (٣٣٨٨)، كتاب: الدعوات، باب: في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٦٩)، كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسىٰ، وغيرهم، عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) تقدم تخريجه من حديث طلق بن حبيب ـ رضي الله عنه ـ

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٣)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا نام، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، ورواه مسلم (٢٧١١)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

والفاتحةَ، وفاتحةَ البقرة إلىٰ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، و﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، وخاتمةَ البقرة، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ في الأعراف إلىٰ: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وخاتمة ﴿سُبْحَٰنَ﴾، ودعاء ذا النَّون، وفاتحة الصافات إلىٰ: ﴿لَّازِبٍ﴾، ومن الرَّحمـٰن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، وخاتمة الحشر.

وليقل: «باسمك ربِّي وضعتُ جَنْبِي، وباسمك أرْفَعُهُ، إنْ أمسكتَ نفسي فارحمْها، وإن أرسَلْتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادَك الصَّالحين»(١).

ويسبِّحُ ثلاثاً وثلاثين، ويَحْمَدُ مثلَ ذلك، ويكبِّرُ أربعاً وثلاثين.

«اللهمَّ أسلمْتُ نفسي إليك، ووجَّهْتُ وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهْرِي إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأَ ولا مَنْجا منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ»(٢).

وعند القلق: «اللهمَّ ربَّ السَّمـٰواتِ السَّبعِ، وما أظلَّت، وربَّ الأرَضِينَ السَّبعِ وما أقلَّت، وربَّ الشَّياطين وما أضْلَلْنَ، كنْ لي جاراً من شرِّ خلقِك كلِّهم أجمعين، أن يَفْرُطَ عليَّ أحدٌ منهم أو يبغيَ، عزَّ جارُك،

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦١)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند النوم، ومسلم (٢٧١٤)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤)، كتاب: الوضوء، باب: فضل من بات علىٰ الوضوء، ومسلم (٢٧١٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

وجلَّ ثناؤُك، ولا إلـٰه غيرُك، ولا إلـٰه إلَّا أنت»[1].

«أعوذ بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، مِنْ غضبِه، وعقابِهِ، وشرِّ عبادِهِ، ومِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطين، وأن يَحْضُرُون»[2].

وإذا رأىٰ ما يكره: يَنْفُثُ عن يساره، ويستعيذُ ثلاثاً[3].

وما يحب: يحمد الله[4].

وعند الانتباه: «الحمدُ لله الذي ردَّ عليَّ رُوحي، وعافاني في جَسَدي، وأَذِنَ لي بذكره»[5]

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٩١)، عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: هـٰذا حديث ليس إسناده بالقوي، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث، ويروىٰ هـٰذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلاً من غير هـٰذا الوجه.

(٢) رواه أبو داود (٣٨٩٣)، كتاب: الطب، باب: كيف الرقىٰ، والترمذي (٣٥٢٨)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٤)، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٦٠١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٨١)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٣/ ١١٨).

(٣) رواه البخاري (٥٤١٥)، كتاب: الطب، باب: النفث في الرقية، ومسلم (٢٢٦١) في أول كتاب: الرؤيا، عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه البخاري (٦٥٨٤)، كتاب: التعبير، باب: الرؤيا من الله، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) رواه الترمذي (٣٤٠١)، كتاب: الدعوات، باب: (٢٠)، وقال: حسن، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٧٠٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٨٦٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
قال النووي: سنده صحيح، وحسَّنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١١٣)، من أجل=

«الحمدُ لله الذي بَعَثَنِي سالماً سَوِيّاً، أشهدُ أن الله يحْيِي الموتىٰ»[1]

«الحمدُ للهِ الذي أحْيَانا بعدَمَا أماتَنَا وإليهِ النُّشور»[2]. «أصبحنا وأصبحَ الملكُ لله»[3].

«رضينا بالله ربّاً، وبالإسلامِ دِيْناً، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً»[4].

«اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلـٰه إلاَّ أنتَ، عليكَ توكَّلْتُ وأنتَ ربُّ العرشِ العظيمِ، ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لمْ يشأْ لم يكُنْ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ، أعلمُ أنَّ اللهَ علىٰ كل شيء قديرٌ، وأنَّ الله قدْ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كلِّ دابَّةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي علىٰ صراطٍ مستقيمٍ»[5].

= محمد بن عجلان، وهو صدوق، لـٰكن في حفظه شيء، وخصوصاً في روايته عن المقبري، فالذي ينفرد به من قبيل الحسن.

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٠٥٩)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف كما يشير إليه كلام الحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ١١٨).

(٢) تقدم تخريجه عند البخاري من حديث حذيفة، وعند مسلم من حديث البراء، في قوله ﷺ: «باسمك اللهمَّ أموت وأحيا».

(٣) تقدم تخريجه عند مسلم من حديث ابن مسعود في قوله ﷺ: «أمسينا وأمسىٰ الملك لله . . .».

(٤) رواه الترمذي (٣٣٨٩)، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، وقال: حسن، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ، وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٧١).

(٥) تقدم تخريجه.

وعند الخروج من المنزل: «بسمِ الله، توكَّلتُ علىٰ الله، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ»[1].

«اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ»[2].

وعند الدُّخول: «بسم الله، اللهمَّ إني أسألُك خير المَوْلِجِ، وخير المَخْرَجِ، بسم الله وَلَجْنَا، علىٰ الله توكَّلنا»، ويسلِّم[3].

وعند دخول المسجد: «بسم الله، اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ، اللهمَّ افتحْ لي أبواب رحمتِك»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، كتاب: الأدب، باب: ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول، والترمذي (٣٤٢٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٩٩١٧)، وغيرهم، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤)، كتاب: الأدب، باب: ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول، و«النسائي» (٥٤٨٦)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الضلال، والترمذي (٣٤٢٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٣٥)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٨٤)، كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، وغيرهم، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٦)، كتاب: الأدب، باب: ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٥٢)، عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف، كما في «نتائج الأفكار» للحافظ ابن حجر (١/ ١٧٢).

(٤) رواه مسلم (٧١٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما يقول إذا دخل المسجد، عن أبي حميد، أو عن أبي سيد، بلفظ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». =

«أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانِه القديمِ، من الشَّيطانِ الرجيمِ» [1].

وعند الخروج: «اللهمَّ إنِّي أسألُك من فضلِك» [2].

وعند الأذان: يُجيبه بمثلِ ما يقولُ إلاَّ في قوله: «حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح»؛ فإنه يزيدُ عليه «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله».

وبعد فراغه: «اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ، والصَّلاةِ القائمةِ، آتِ محمَّداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْه المقامَ المحمودَ الذي وعدْتَه، إنَّك لا تُخْلِفُ المِيْعَادَ» [3].

ويجيبه في الإقامة: ويقول عند قوله: «قد قامتِ الصَّلاةُ»: «أقامها اللهُ وأدامَها، ما دامتِ السَّمٰواتُ والأرضُ» [4].

= ورواه أبو داود (٤٦٥)، كتاب: الصلاة، باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، وابن ماجه (٧٧٢)، كتاب: المساجد والجماعات، باب: الدعاء عند دخول المسجد، وغيرهما، بلفظ أوله: «فليسلم على النبي ﷺ، ثم ليقل. . .» الحديث.

(١) رواه أبو داود (٤٦٦)، كتاب: الصلاة، باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.
قال الحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٧٧): حديث حسن غريب، ورجاله موثقون، وهم من رجال الصحيح، إلا إسماعيل وعقبة.

(٢) تقدم تخريجه قريباً عند مسلم.

(٣) رواه البخاري (٥٨٩)، كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند النداء، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ، إلا قوله: «إنك لا تخلف الميعاد» فقد رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤١٠)، وفي إسناده ضعف.

(٤) رواه أبو داود (٥٢٨)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول إذا سمع الإقامة، وابن السني=

وعند استفتاح الصَّلاة بالتَّكبير: «سبحانك اللهمَّ وبحمدك، وتباركَ اسمك، وتعالىٰ جَدُّك، ولا إلـٰه غيرُك»[1].

وبعد الصَّلاة: يستغفرُ ثلاثاً، ويقول: «اللهمَّ أنتَ السَّلامُ، ومنك السَّلامُ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرام»[2]

«لا إلـٰه إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ لا مانعَ لمَا أعطيتَ، ولا معطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ»[3]

«لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ، ولا نعبدُ إلَّا إيَّاه، له النِّعْمةُ، وله

= في «عمل اليوم والليلة» (١٠٤)، والطبراني في «الدعاء» (٤٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٤١١)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، دون قوله: «ما دامت السمـٰوات والأرض»، وإسناده ضعيف، كما ذكر الحافظ في «نتائج الأفكار» (١/ ٣٦١).

(١) رواه أبو داود (٧٧٥)، كتاب: الصلاة، باب: من رأىٰ الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، والنسائي (٨٩٩)، كتاب: الافتتاح، باب: نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة، والترمذي (٢٤٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، وابن ماجه (٨٠٤)، كتاب: الصلاة، باب: افتتاح الصلاة، وغيرهم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، والحديث حسن، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٤٠١)، وما بعدها، وأطال هناك ـ رحمه الله ـ في بيان طرق الحديث، والكلام عنها.

(٢) رواه مسلم (٥٩١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البخاري (٨٠٨)، كتاب: صفة الصلاة، باب: الذكر بعد الصلاة، ومسلم (٥٩٣)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

الفَضْلُ، وله الثَّناءُ الحسنُ، لا إله إلاَّ اللهُ، ولا نعبد إلاَّ إيَّاهُ، مُخْلِصين له الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافرون»[1].

ويَحْمَدُ ويسبِّحُ ثلاثاً وثلاثين، ويكبِّر أربعاً وثلاثين[2].

وعند الاستخارة: يركعُ ركعتين، ويقول: «اللهمَّ إني أستخيرُكَ بعلمك، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأسألُكَ من فَضْلِك العظيمِ؛ فإنَّكَ تقدرُ ولا أقدِرُ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، وأنت علاَّمُ الغيوبِ، اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّ هـٰذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فقدِّرْه لي ويسِّرْه لي، ثم باركْ لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أنَّ هـٰذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري، فاصرِفْه عنِّي، واصرفْني عنه، وقدِّرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ، ثم رضِّني به»[3].

وعند الكَرْبِ والحُزْنِ والهمِّ: «لا إلـٰه إلاَّ اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إلـٰه إلاَّ اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلـٰه إلاَّ اللهُ ربُّ السَّمـٰواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ الكريمِ»[4]

---

(١) رواه مسلم (٥٩٤)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه مسلم (٥٩٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، عن كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «معقبات لا يخيب قائلهنَّ أو فاعلهنَّ، دبر كل صلاة مكتوبة، ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة».

(٣) رواه البخاري (١١٠٩)، كتاب: أبواب التطوع، باب: ما جاء في التطوع مثنىٰ مثنىٰ، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه البخاري (٥٩٨٦)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الكرب، ومسلم (٢٧٣٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: دعاء الكرب، عن =

«يا حيُّ يا قيُّومُ، برحمتِكَ أستغيثُ» [1].

ويقول: دعاء ذا النون.

وعند لقاء العدوِّ وذي السُّلطان: «اللهمَّ إنِّي أجعلُكَ في نحورهمْ، وأعوذُ بك من شرورِهم» [2].

«اللهمَّ أنتَ عَضُدِي، وأنت ناصِرِي، وبكَ أقاتِلُ» [3].

وعند وَسْوَسَةِ الشَّيطان: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ، من الشَّيطانِ الرَّجيمِ؛ من هَمْزِهِ، ونَفْخِهِ، ونَفْثِهِ» [4].

وعند الإعجاب بالشَّيء: «اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّد، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، الحمدُ لله».

= ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٢)، وقال: غريب، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٧)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٣١)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (١٥٣٧)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول إذا خاف قوماً، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٦٣١)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١١/ ٨٢)، عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ بإسناد صحيح، كما ذكر النووي في «رياض الصالحين» (ص: ٢٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٣٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يدعىٰ عند اللقاء، والترمذي (٣٥٨٤)، كتاب: الدعوات، باب: في الدعاء إذا غزا، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٦٣٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٤)، وغيرهم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) تقدم تخريجه في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك. . .».

وعند المصيبة: «إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون، اللهمَّ أُجُرْني في مصيبتي، وأَخْلِفْ لي خيراً منها»[1].

وعند كثرة الدَّيْن: «اللهمَّ أغْنِنِي بحلالِكَ عن حرامِكَ، وبفضلِكَ عمَّن سواك»[2].

وعند باكُور الثَّمر: «اللهمَّ باركْ لنا في ثَمَرِنَا، ومدينَتِنَا، وصاعِنا، ومُدِّنا»[3].

وعند إماطة الأذىٰ عنه: يقول لمَنْ أماطه: «أَخَذَتْ يداك خَيْرَاً»[4].

وعند تَعْسِ[5] الدَّابة: «بسم الله»[6].

وعند دخول السُّوق: «لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك

---

(١) رواه مسلم (٩١٨)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٦٣)، كتاب: الدعوات، باب: (١١١)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٥٣)، والبزار في «مسنده» (٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٣)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ١١٨)، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (١٣٧٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٣)، عن عبد الله بن بكر الباهلي، عن عمر ـ رضي الله عنه ـ، من قوله، وفي إسناده انقطاع بين عبد الله بن بكر وعمر ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) يقال: تعس يتعس: إذا عثر وانكبَّ لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك، انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٩٠).

(٦) تقدم تخريجه في قوله ﷺ: «لا يقل أحدكم: تعس الشيطان...» الحديث.

وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخيرُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ»[1].

وعند رؤية أهل البَلاء: «الحمدُ لله الذي عافاني مِمَّا ابتلاكَ بِهِ، وفضَّلَنِي علىٰ كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تفضيلاً»[2].

وعند الغضب: يتعوَّذُ، ويتوضَّأُ، ويُغَيِّرُ حالَه.

وعند [القيام من] المجلس: «سبحانَك اللهمَّ وبحمدِك، أشهدُ ألَّا إلـٰه إلَّا أنتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك»[3].

وإذا أراد أن يقوم: «اللهمَّ اقسمْ لنا من خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بيننا وبينَ معاصيك، ومن طاعَتِكَ ما تبلِّغُنا به جنَّتَك، ومن اليقينِ ما تُهَوِّنُ بهِ علينا مصائبَ الدُّنيا، اللهمَّ متِّعْنا بأسماعِنَا وأبصارِنا وقُوَّتِنا ما أَحْيَيْتَنا، واجعلْه

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٨)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا دخل السوق، وقال: غريب، وابن ماجه (٢٢٣٥)، كتاب: التجارات، باب: الأسواق ودخولها، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٤)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وفي إسناده لين، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٠٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٢)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا رأىٰ مبتلىٰ، وقال: غريب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده حسن، وفي الباب: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٣٣)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من المجلس، وقال: حسن غريب صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦٩)، وغيرهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وفي الباب: عن عائشة، وأبي سعيد الخدري، وأبي برزة، وجبير بن مطعم، وغيرهم. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٥٤٤).

الوارثَ منَّا، ولا تجعلْ مصيبتَنا في دينِنَا، ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ علمِنا، ولا تسلِّطْ علينا من لا يرحمُنا»(١).

وعند الحريق: يكبِّر.

وعند صياح الدِّيكَةِ: «اللهمَّ إني أسألُك من فضلِك»(٢).

وعند نهيق الحمير، ونُباح الكلاب: يتعوَّذ(٣).

وعند النِّكاح: «الحمدُ لله نستعينهُ، ونستغفِرُه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ لَهُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ الله، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرْسَلَهُ بالحقِّ بشيراً ونذيراً بين يدي السَّاعة، من أطاعَ اللهَ ورسولَهُ؛ فقدْ رَشَدَ، ومن يعْصِهِمَا؛ فإنَّه لا يضُرُّ إلاَّ نفْسَهُ، ولا يضرُّ الله شيئاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٠)، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٢٣٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٩١١)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «نتائج الأفكار» لابن حجر (٣/ ٨٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٢٧)، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومسلم (٢٧٢٩)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديكة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطاناً».

(٣) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١] (١).

وإذا تزوّج فليقلْ: «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ خيْرَها، وخيرَ ما جَبلْتَها عليْهِ، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ ما جبلْتَهَا عليهِ» (٢).

وكذا إذا اشترىٰ شيئاً.

وإذا أتىٰ أهلَه: «بسمِ الله، اللهمَّ جَنِّبْنَا الشَّيطانَ، وجنِّبِ الشَّيطانَ ما رَزَقْتَنَا» (٣).

وعند مَنْ تَلِدُ: يقرأ آية الكرسي، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلىٰ آخر الآية،

---

(١) رواه أبو داود (٢١١٨، ٢١١٩)، كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح، والنسائي (٣٢٧٧)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، والترمذي (١١٠٥)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، وقال: حسن، وابن ماجه (١٨٩٢)، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، وغيرهم، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (٢١٦٠)، كتاب: النكاح، باب: في جامع النكاح، وابن ماجه (٢٢٥٢)، كتاب: التجارات، باب: شراء الرقيق، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٠٩٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري (١٤١)، كتاب: الوضوء، باب: التسمية علىٰ كال حال، وعند الوقوع، ومسلم (١٤٣٤)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

والمعوَّذتين، ويؤذِّنُ في أذنِهِ اليُمنىٰ، ويقيمُ في أُذُنِهِ اليُسرىٰ إذا وُلِدَ [1].

وعند العُطاسِ: «الحمدُ لله»، ويقول له مَنْ سَمِعَهُ: «يرحمُكُمُ الله»، ويقول هو: «يهديكمُ اللهُ ويصْلِحُ بالَكُم، ويدخلكمُ الجنَّة عرَّفَها لكُم» [2].

ويتعوَّذُ عند التثاؤب.

وإذا عَشِيَ قال: «الحمد لله».

[و] إذا أكل طعامَ قومٍ: «الحمدُ لله، اللهمَّ باركْ لهمْ فيما رزقْتَهُمْ، واغفرْ لهمْ وارحمهُمْ» [3].

«أفْطَرَ عندكمُ الصَّائمون، وأكلَ طعامَكُمُ الأبرارُ، وصلَّتْ عليكمُ الملائكةُ، وذَكَرَكُمُ اللهُ فيمنْ عِنْدَهُ» [4].

وعند إرادةِ الأكْلِ: «بسمِ اللهِ» [5].

---

(١) انظر: «تحفة المودود» لابن القيم (ص: ٣٠).

(٢) روىٰ البخاري (٥٨٧٠)، كتاب: الأدب، باب: إذا عطس كيف يشمت، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه ـ أو صاحبه ـ: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم».

(٣) رواه مسلم (٢٠٤٢)، كتاب: الأشربة، باب: استحباب وضع النوىٰ خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام، وطلب الدعاء من الضيف الصالح، وإجابته لذلك، عن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٥٤)، كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٦٩٠١)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/١١٨)، وغيرهم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، إلا زيادة: «وذكركم الله فيمن عنده» فإنها ليست من الألفاظ التي وردت في حديث أنس، أو غيره من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

(٥) رواه البخاري (٥٠٦١)، كتاب: الأطعمة، باب: التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، =

وعند الفراغ: «الحمدُ لله الذي أطْعَمَنَا وسقانا، ورَزَقَنَا من غير حَوْلٍ منَّا ولا قُوَّةٍ، وجعلنا مُسْلِمِيْن»[1].

«الحمدُ للهِ كثيراً طيِّباً مُبَارَكاً فيه، غيرَ مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ، ولا مُسْتَغْنًىٰ عنه ربُّنَا»[2].

وعند نزوله منزلاً: «أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ، من شرِّ

= ومسلم (٢٠٢٢)، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ، أن النبي ﷺ قال له: «يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠)، كتاب: الأطعمة، باب: ما يقول الرجل إذا طعم، والترمذي (٣٤٥٧)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام، وابن ماجه (٣٢٨٣)، كتاب: الأطعمة، باب: ما يقال إذا فرغ من الطعام، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠١٢٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، دون قوله: «ورزقنا من غير حول منا ولا قوة».

(٢) رواه البخاري (٥١٤٢)، كتاب: الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.
قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٨٢): قوله: «غير مكفي ولا مودَّع ربنا»؛ أي: غير مردود ولا مقلوب، والضمير راجع إلىٰ الطعام، وقيل: مكفي من الكفاية، فيكون من المعتل؛ يعني: إن الله هو المُطعم والكافي، وهو غير مُطعَم ولا مكفي، فيكون الضمير راجعاً إلىٰ الله.
وقوله: «ولا مودع»؛ أي: غير متروك الطلب إليه والرغبة فيما عنده.
وأما قوله: «ربنا» فيكون علىٰ الأول منصوباً علىٰ النداء المضاف بحذف حرف النداء، وعلىٰ الثاني مرفوعاً علىٰ الابتداء؛ أي: ربنا غير مكفي ولا مودع، ويجوز أن يكون الكلام راجعاً إلىٰ الحمد، كأنه قال: حمداً كثيراً مباركاً فيه غير مكفي، ولا مودع، ولا مستغنىٰ عنه؛ أي: عن الحمد، انتهىٰ.

ما خَلَقَ»[1]. «ياأرضُ! ربِّي وربُّكِ اللهُ، أعوذُ بالله من شَرِّكِ، وشرِّ ما فيكِ، وشرِّ ما خُلِقَ فيك، وشرِّ ما يَدِبُّ عليكِ، أعوذ بالله من أَسَدٍ وأَسْوَدَ، ومن الحَيَّةِ والعقربِ، ومن ساكنِ البلدِ، ومن والدٍ وما ولد»[2].

وعند دخول بلدٍ: «اللهمَّ ربَّ السَّمٰواتِ السَّبعِ وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ السَّبعِ وما أقْلَلْنَ، وربَّ الشياطينِ وما أضْلَلْنَ، وربَّ الرِّياح وما ذَرَيْنَ، أسألُك خيرَ هٰذه القريةِ، وخيرَ أهلِها، [وخيرَ ما فيها]، وأعوذُ بك من شرِّها، وشَرِّ أهلِها، وشرِّ ما فيها»[3].

وعند تَفَلُّتِ الدَّابَّةِ: «يا عبادَ الله احْبِسُوا»[4].

وعند ركوب الدَّابَّةِ الصَّعْبةِ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي

---

(1) رواه مسلم (٢٧٠٨)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(2) رواه أبو داود (٢٦٠٣)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٨٦٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٨٧)، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ.

(3) رواه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٣٧٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٣٤)، عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ.

(4) رواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٢٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥١٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٣١١)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): فيه معروف بن حسان وهو ضعيف.

وقال ابن علاَّن في «شرح الأذكار»: قال الحافظ ابن حجر: حديث غريب.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران: ٨٣] [١].

وعند ركوب السَّفينة: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[الأنعام: ٩١]، الآية [٢].

وعند ركوب الدَّابَّة: «الحمد لله، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[الزخرف: ١٣ ـ ١٤].

الحمد لله، «ثلاثاً».

والله أكبر، «ثلاثاً».

سبحانكَ إنِّي ظَلَمْتُ نفسي، فاغفرْ لي، إنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنت [٣].

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥١٠)، عن يونس بن عبيد التابعي ـ رحمه الله ـ. قال ابن علاَّن في «شرح الأذكار»: قال الحافظ ابن حجر: هو خبر مقطوع، وراويه عنه المنهال بن عيسىٰ، قال أبو حاتم: مجهول.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٦١)، وفي «المعجم الأوسط» (٦١٣٦)، وفي «الدعاء» (٨٠٤)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.
ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ١٩٨)، عن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ. وهو حديث ضعيف. انظر: «فيض القدير» للمناوي (٢/ ١٨٢).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٠٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي (٣٤٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب الناقة، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٧٩٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٩٨)، وغيرهم عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

وعند السَّفَرِ: «اللهمَّ إنِّي أسألك في سَفَرِنَا هـٰذا البِرَّ والتَّقْوىٰ، ومِنَ العَمَلِ ما ترضىٰ، اللهمَّ هَوِّنْ علينا سَفَرنا هـٰذا، واطْوِ عنَّا بُعْدَه، اللهمَّ أنت الصَّاحبُ في السَّفَرِ، والخليفةُ في الأهْلِ، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكآبةِ المَنْظَرِ، وسوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ والأهلِ».

وإذا رجع قالَهُنَّ، وزاد فيهنَّ: «آيبون، تائبون، عابدون، لربِّنا حامدون» [(١)].

وإذا ودَّع إنساناً: «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ الذي لا تضيعُ ودائِعُه» [(٢)].

وإذا ودَّعه إنسان: قال له: «أستودعُ اللهَ دينَكَ، وأمانَتَكَ، وخواتِيْمَ عَمَلِكَ» [(٣)].

«ويسَّرَ لك الخيرَ حيثُ كنتَ» [(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٢)، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلىٰ سفر الحج وغيره، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (٨٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٥)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه أبو داود (٢٦٠٠)، كتاب: الجهاد، باب: في الدعاء عند الوداع، والترمذي (٣٤٤٣)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ودع إنساناً، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٢٦)، كتاب: الجهاد، باب: تشييع الغزاة ووداعهم، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٨٠٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٧)، وغيرهم من طرق، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) روىٰ الترمذي (٣٤٤٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٤٥)، وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٧٧)، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ! إني أريد سفراً فزودني، قال: «زودك الله التقوىٰ»، =

وعند الإفطار من الصِّيام: «الحمدُ للهِ، اللهمَّ لك صُمْتُ ، وعلىٰ رزقِكَ أفطرْتُ، سبحانك اللهمَّ وبحمدك، اللهمَّ تقبَّلْ منِّي، إنَّك أنتَ السَّميعُ العليمُ» [1].

وعند رؤية الهلالِ: «اللهُ أكبرُ، اللهمَّ أَهِلَّه علينا بالأمْنِ والإيمان، والسَّلامَةِ والإسلامِ، والتَّوفيقِ لما تُحِبُّ وتَرْضىٰ، ربُّنا وربُّك اللهُ» [2].

وعند نزول الغَيْثِ: «مُطِرْنَا بفضلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ» [3].

= قال: زدني، قال: «وغفر ذنبك»، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال: «ويسَّر لك الخير حيثما كنت».

(١) روىٰ أبو داود (٢٣٥٨)، كتاب: الصوم، باب: القول عند الإفطار، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٩٥)، وأبو داود أيضاً في «المراسيل» (٩٩)، عن معاذ بن زهرة: أنه بلغه: أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمت، وعلىٰ رزقك أفطرت»، وإسناده ضعيف.

وفي الباب: من حديث ابن عباس، وأنس ـ رضي الله عنهما ـ وإسنادهما ضعيفان، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٠٢).

وروىٰ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٢٠)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ زيادة علىٰ ما تقدم «فتقبل مني، إنك أنت السميع العليم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥٦): فيه عبد الملك بن هارون، وهو ضعيف.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١٦٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٣٠)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بهٰذا اللفظ.

ورواه الترمذي (٣٤٥١)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول عند رؤية الهلال، وقال: حسن غريب، عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ دون قوله: «والتوفيق لما تحب وترضىٰ».

(٣) رواه البخاري (٩٩١)، كتاب: الاستسقاء، باب: قوله الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٨٢]، ومسلم (٧١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مُطرنا=

وعند زيادة المطر: «اللهمَّ حَوَالَيْنا ولا علينا، اللهمَّ علىٰ الآكَامِ والظِّرَاب، وبطونِ الأوْدِيَةِ، ومنابتِ الشَّجر»[1].

وعند القَحْطِ: «اللهمَّ اسقنا غيثاً، مُغيثاً، مَرِيئاً، هنيَّاً، مَرِيْعَاً، نافعاً غيرَ ضارٍّ، عاجلاً غيرَ آجِلٍ، اللهمَّ اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهمَّ سُقيا رَحْمةٍ، ولا سقيا عذابٍ، ولا بلاءٍ، ولا هَدْمٍ، ولا غَرَقٍ، اللهمَّ إنَّ بالعباد والبلادِ من اللأْواء والجَهْد والضَّنْكِ ما لا نَشْكوه إلَّا إليك، اللهمَّ أنْبِتْ لنا الزَّرْعَ، وأَدِرَّ لنا الضَّرْعَ، واسقِنَا من بركات السَّماءِ، وأنزلْ علينا من بركاتِك، اللهمَّ ارفعْ عنَّا الجَهْد والجُوعَ والعُرْيَ، واكشفْ عنَّا من البلاء ما لا يكشِفُهُ غيرُك، اللهمَّ إنَّا نستغفرُكَ، إنَّك كنْتَ غفَّاراً، فأرسلِ السَّماءَ علينا مِدْرَاراً»[2].

= بالنَّوء، عن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه البخاري (٩٦٧)، كتاب: الاستسقاء، باب: الاستسقاء في المسجد الجامع، ومسلم (٨٩٧)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) ذكره الإمام الشافعي في «الأم» (١/ ٢٥١) تعليقاً، فقال: وروىٰ سالم بن عبد الله، عن أبيه، فذكره.
قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٩٩): ولم نقف له علىٰ إسناد، ولا وصله البيهقي في «مصنفاته»، بل رواه في «المعرفة» من طريق الشافعي قال: ويروىٰ عن سالم، به، ثم قال: وقد روينا بعض هٰذه الألفاظ، وبعض معانيها في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وفي حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ، وفي حديث عبد الله بن جراد ـ رضي الله عنه ـ، وفي حديث كعب بن مرة ـ رضي الله عنه ـ، وفي حديث غيرهم، ثم ساقها بأسانيده.

وعند سماع الرَّعد: «سبحان الذي يسبِّحُ الرَّعْدُ بحمدِهِ والملائكةُ مِنْ خِيْفَتِهِ»(١).

وعند الصَّواعق: «اللهمَّ لا تَقْتُلنا بغضبك، ولا تُهْلِكْنَا بعذابك، وعافِنَا قبلَ ذلك»(٢).

وعند هبوب الرِّيح: «اللهمَّ إنّي أسألُك خَيْرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرْسِلَتْ بِهِ، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ»(٣).

وعند دخول المَقَابر: «السَّلامُ عليكمْ دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكمْ للاحقون، يرحمُ الله المُسْتَقْدِمِيْنَ منكمْ والمُسْتَأْخِرِيْن»(٤).

«اللهمَّ لا تَفْتِنَّا بعدَ[هُمْ]، ولا تحرِمْنَا أجْرَهُمْ»(٥).

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، ومن طريقه: ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢١٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣)، عن عبد الله بن الزبير، موقوفاً عليه من قوله.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا سمع الرعد، وقال: غريب، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٧٦٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٦٢)، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه مسلم (٨٩٩)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) رواه مسلم (٩٧٤)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٥) رواه ابن ماجه (١٥٤٦)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، =

واغفِرْ لنا ولهمْ برحمتك، «نسألُ اللهَ لنا ولكمُ العافيةَ»[1].

وعند دخول الخلاء: «بسمِ اللهِ، أعوذُ باللهِ من الخُبُثِ والخَبَائِثِ، ومن الرِّجْسِ النَّجِسِ، الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[2].

ويسمِّي عندَ الوضوءِ. وإذا فَرَغَ مِنْه ومن الغُسْلِ قال: «أشهدُ ألاَّ إلـٰه إلاَّ الله، وحْدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمَّداً عبدُه ورسولُه، اللهمَّ اجعلْني من التَّوَّابينَ، واجعلْني من المُتَطَهِّرِيْن»[3].

= والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٨٩١٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧١)، وغيرهم، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(١) رواه مسلم (٩٧٥)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها، عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رویٰ البخاري (١٤٢)، كتاب: الوضوء، باب: ما يقول عند الخلاء، ومسلم (٣٧٥)، كتاب: الحيض، باب: ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث».

ورویٰ ابن ماجه (٢٩٩)، كتاب: الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٤٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٧٩)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم»، وإسناده ضعيف، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «تخريج الأذكار» (١/ ١٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٥٥)، كتاب: الطهارة، باب: فيما يقال بعد الوضوء، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقال: وهـٰذا حديث في إسناده اضطراب، ولا يصح عن النبي ﷺ في هـٰذا الباب كبير شيء، وردَّ ذلك الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١/ ١٠١ ـ ١٠٢).

وقد رویٰ مسلم (٢٣٤)، كتاب: الطهارة، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء، عن=

وفي **قُنُوتِ الوِتْرِ**: «اللهمَّ إنا نستعينُكَ، ونَسْتهْدِيْكَ، ونستغفرُكَ، ونتوبُ إليكَ، ونؤمنُ بِكَ، ونتوكَّلُ عليكَ، ونُثْنِي عليكَ الخيرَ كُلَّهُ، ونشكُرُكَ ولا نكْفُرُكَ، اللهمَّ إياكَ نَعْبُدُ، ولكَ نصلِّي ونسجُدُ، وإليك نَسْعىٰ ونَحْفِدُ، نرجو رَحْمَتَكَ، ونخشىٰ عذابَكَ، إنَّ عذابكَ الجِدَّ بالكفارِ مُلْحَقٌ»[1].

«اللهمَّ اهدنا فيمن هَدَيْتَ، وعافِنَا فيمَنْ عافَيْتَ، وتولَّنا فيمَنْ تولَّيْتَ، وبارِكْ لنا فيما أعْطَيْتَ، وقِنَا شَرَّ ما قَضَيْتَ، إنَّكَ تقضِي ولا يُقْضَىٰ عليكَ؛ إنَّه لا يَذِلُّ من وَاليت، ولا يَعِزُّ مَنْ عادَيْتَ، تبارَكْتَ ربَّنَا وتعالَيْتَ»[2].

«اللهمَّ إنَّا نعوذُ برِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبعَفْوِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ، وبِكَ مِنْكَ لا نُحْصي ثناءً عليكَ، أنْتَ كما أَثْنَيْتَ علىٰ نفسِكَ»[3].

= عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أيضاً، التشهدَ منه فقط.

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٢١١)، عن عمر ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه من قوله، بإسناد صحيح.

(٢) رواه أبو داود (١٤٢٥)، كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الوتر، والنسائي (١٧٤٥)، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الدعاء في الوتر، والترمذي (٤٦٤)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القنوت في الوتر، وقال: حسن، وابن ماجه (١١٧٨)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القنوت في الوتر، وغيرهم، عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه أبو داود (١٤٢٧)، كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الوتر، والنسائي (١٧٤٧)، كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الدعاء في الوتر، والترمذي (٣٥٦٦)، كتاب: الصلاة، باب: في دعاء الوتر، وابن ماجه (١١٧٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القنوت في الوتر، عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر =

والدُّعاء علىٰ المِّيت: «اللهمَّ اغفر لحيِّنا وميِّتِنَا، وشاهِدِنَا وغائِبِنَا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذَكَرِنَا وأُنْثانا، إنَّك تعلمُ مُتَقَلَّبَنَا ومَثْوَانا، وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا، فاحْيِه علىٰ الإسلامِ والسُّنَّةِ، ومَنْ توفَّيْتَهُ مِنَّا، فتوفَّهُ عليهما» (1).

«اللهمَّ اغفرْ له، وارحَمْهُ، وعافِهِ، واعفُ عنه، وأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وأوْسِعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، ونقِّهِ مِنَ الذُّنوبِ والخَطَايا، كما يُنَقَّىٰ الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس، وأَبْدلْهُ داراً خيراً مِنْ دارِه، [وأهلاً خيراً من أَهْلِه]، وزَوجاً خيراً من زَوْجِه، وأدخِلْه الجنَّة، وأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ النَّار، وعذابِ القَبْرِ» (2).

«وافْسَحْ له في قبره، ونوِّرْ له فيه» (3).

= وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك».

(1) رواه أبو داود (٣٢٠١)، كتاب: الجنائز، باب: الدعاء للميت، والترمذي (١٠٢٤)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقول في الصلاة علىٰ الميت، وابن ماجه (١٤٩٨)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الدعاء في الصلاة علىٰ الجنازة، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٧٠)، وغيرهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منَّا فأحيه علىٰ الإيمان، ومن توفيته منَّا فتوفه علىٰ الإسلام، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده».

(2) رواه مسلم (٩٦٣)، كتاب: الجنائز، باب: الدعاء للميت في الصلاة، عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(3) رواه مسلم (٩٢٠)، كتاب: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِر، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة، وقد شق=

ويقال للصَّبيِّ: «اللهمَّ اجْعَلْه ذُخْرَاً لوالِدَيْهِ، وفَرَطَاً وأَجْرَاً وشفيعاً مُجَابَاً، اللهمَّ ثقِّلْ موازينَهُمَا، وأعْظِمْ به أُجُوْرَهُمَا، وألْحِقْهُ بصالِحِ السَّلَفِ المؤمنين، واجعَلْه في كَفَالَةِ إبراهيمَ، وقِهِ برحمَتِكَ عذابَ الجحيم» (١).

ويقول من يُدْخِل الميِّتَ: «بسمِ اللهِ، وعلىٰ مِلَّةِ رَسُوْلِهِ» (٢).

ويقال في التَّعزية (٣): «أعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، وأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وغَفَرَ

= بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» إلىٰ أن قالت: ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه».

(١) ذكر ذلك ابن قدامة المقدسي في «المغني» (٢/ ١٨٢)، وغيره من الفقهاء.
وقد روىٰ البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٩)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول: «اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً».
وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٣٨)، عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: «اللهم اجعله لنا فرطاً وذخراً وأجراً».

(٢) رواه أبو داود (٣٢١٣)، كتاب: الجنائز، باب: في الدعاء للميت إذا وضع في قبره، والترمذي (١٠٤٦)، كتاب: الجنائز، باب: ما يقول إذا أدخل الميت القبر، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١٥٥٠)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في إدخال الميت القبر، وغيرهم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) قال الإمام الشافعي في «الأم» (١/ ٢٧٨): ليس في التعزية شيء مؤقت يقال، لا يعدىٰ إلىٰ غيره.
وقال ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٢١٢): ولا نعلم في التعزية شيئاً محدداً.
قال النووي في «الأذكار» (ص: ٢٢٠): وأحسن ما يعزَّىٰ به، ما روينا في «صحيحي البخاري ومسلم»، عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ، قال: أرسلت إحدىٰ بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أن لله تعالىٰ ما أخذ وله ما أعطىٰ، وكل شيء عنده بأجل مسمىٰ، فمرها فلتصبر ولتحتسب...» وذكر تمام الحديث. =

لِمَيِّتِـــــــكَ» .

وللكافر إذا كان ميِّتُه مسلماً: «أَحْسَنَ اللهُ عزاءَكَ، وغَفَرَ لِمَيِّتِكَ» .

وإذا كان ميِّتُه كافراً: «أَخْلَفَ اللهُ عليكَ، ولا نَقَصَ عَدَدَكَ» .

وللمسلم إذا كان ميِّتُه كافراً: «أعظمَ اللهُ أجرَكَ، وأَحْسَنَ عزاءَكَ» .

وعند دفع الزَّكاة: «اللهمَّ اجعلْها مَغْنَماً، ولا تجعلها مَغْرَماً» [1] .

وعند أخذ زكاة: «آجَرَكَ اللهُ فيما أعطَيْتَ، وباركَ لك فيما أَبْقَيْتَ، وجَعَلَهُ لك طَهُوْرَاً» [2] .

وعند رؤية البيت: «اللهمَّ أنت السَّلامُ، ومنْكَ السَّلامُ، حيِّنا ربَّنا بالسَّلام، اللهمَّ زدْ هـٰذا البيتَ تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومَهَابَةً وبرَّاً، وزِدْ مَنْ عَظَّمَه وشَرَّفَهُ، مِمَّنْ حَجَّهُ واعْتَمَرَهُ، تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابةً وبِرَّاً» [3] .

= قال الشوكاني في «السيل الجرار» (١/ ٣٧٢): وينبغي أن تكون التعزية بما ثبت عنه ﷺ في هـٰذا الحديث، وهـٰذا لا يقتصر علىٰ السبب، بل كل شخص يصلح أن يقال له وفيه ذلك.

(١) رواه ابن ماجه (١٧٩٧)، كتاب: الزكاة، باب: ما يقال عند إخراج الزكاة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٧)، و«مصباح الزجاجة» للبوصيري (٢/ ٨٨).

(٢) وهـٰذا مما استحبَّه الإمام الشافعي في «الأم» (٢/ ٦٠).

(٣) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ١٢٥)، وفي «الأم» (٢/ ١٦٩)، ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٧٣)، عن ابن جريج معضلاً.
وذكر له البيهقي شاهداً مرسلاً، عن محكول.
وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٦٢٧)، والمحاملي في «أماليه» (٣٠٨)، =

و«الحمد لله ربِّ العالمين كثيراً كما هو أَهْلُهُ، وكما ينبغي لكريمِ وَجْهِهِ، وعِزِّ جلالِهِ، والحمدُ لله الذي بلَّغني بيتَهُ الحرامَ، ورآني لذلكَ أَهْلاً، والحمدُ لله علىٰ كلِّ حالٍ، اللهمَّ إنَّكَ دَعَوْتَ إلىٰ حجِّ بيتِكَ الحرامِ، وقد جئْتُكَ لذلكَ، اللهمَّ تقبَّلْ مِنِّي، واعفُ عنِّي، وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلـٰه إلاَّ أنت»[1].

وإذا استلمَ الحَجَرَ: «بسم اللهِ، واللهُ أكبرُ، إيماناً بِكَ، وتصديقاً بكتابِكَ، ووفاءً بعهدِكَ، واتِّباعاً لسنَّةِ نبيِّكَ محمَّدٍ ﷺ»[2].

وبين الرُّكْنَيْنِ: «ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً، وفي الآخرةِ حسنَةً، وقِنَا عذابَ النَّارِ»[3].

ويقول في الطَّواف: «اللهمَّ اجعَلْه حَجّاً مَبْروراً، وَسعْيَاً مَشْكَورَاً،

= والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٧٣)، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا دخل البيت، قال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام»، وانظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٤٢)، و«الدراية» له أيضاً (٢/ ١٣).

(١) وهـٰذا مما ذكره ابن قدامة في «المغني» (٣/ ١٨٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٨٦)، وفي «الدعاء» (٨٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٧٩)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً عليه.
وفي الباب: عن علي، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً عليهما. وانظر: «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٧).

(٣) رواه أبو داود (١٨٩٢)، كتاب: المناسك، باب: الدعاء في الطواف، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٣٩٣٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤١١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٢٦)، عن عبد الله بن السائب ـ رضي الله عنه ـ.

وذنباً مغفوراً، ربِّ اغفرْ وارحَمْ، وتجاوزْ عمَّا تعلمُ، وأنت الأعزُّ الأكرَمُ» (١).

وإذا رَقَىٰ علىٰ الصَّفا ورأىٰ البيت: يكبِّرُ ثلاثاً، ويقول: «الحمدُ للهِ علىٰ ما هدَانا، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، يُحْيِيْ ويُمِيْتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِهِ الخيرُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، صَدَقَ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَهُ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ، لا نعبُدُ إلَّا إيَّاهُ، مُخْلصِيْنَ له الدِّيْنَ، ولو كَرِهَ الكافرون» (٢).

وعند الصَّخَرَاتِ وجبلِ الرَّحْمةِ: «لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، له الملكُ وله الحمدُ، يُحْيِيْ ويُمِيتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ» (٣).

---

(١) وهـٰذا مما استحبه الإمام الشافعي في «الأم» (٢/ ٢١٠)، وانظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٥١).

(٢) روىٰ مسلم (١٢١٨)، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ الطويل: «. . . فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتىٰ رأىٰ البيت، فاستقبل القبلة، فوحَّد الله وكبره، وقال: لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، لا إلـٰه إلَّا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

(٣) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، كتاب: الدعوات، باب: في الدعاء يوم عرفة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ وقال: حديث غريب، وحماد بن أبي حميد ليس بالقوي عند أهل الحديث.

وفي الباب: عن علي، وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وإسنادهما ضعيفان، وكذا عن طلحة بن عبد الله بن كَريز ـ بفتح الكاف ـ مرسلاً. =

«اللهمَّ اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بَصَرِي نوراً، وفي سَمْعِي نُوْرَاً، ويسِّرْ لي أمري»[1].

وعند المَشْعَرِ الحرام: «اللهمَّ كما وَقَفْتَنَا فيه، وأَرَيْتَنَا إيَّاهُ، فوفِّقْنَا لذِكْرِكَ كما هديتنا، واغفرْ لنا وارحَمْنَا، كما وَعَدْتَنَا بقولِكَ، وقولُك الحقُّ»، ثم يقرأ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ إلىٰ ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة: ١٩٨ ـ ١٩٩][2].

وإذا شَرِبَ من زمزم: «بسم الله، اللهمَّ اجعلْهُ لنا عِلْمَاً نافعاً، ورِزْقَاً واسعاً، ورِيَّاً وشَبَعَاً، وشفاءً من كلِّ داءٍ، واغسِلْ به قلبي، وامَلأْهُ من خَشْيَتِكَ ورحمَتِكَ»[3].

وفي المُلْتَزَم: «اللهمَّ هٰذا بيتُك، وأنا عبدُك وابنُ عبْدِكَ، وابن أَمَتِكَ، حَمَلْتَنِي علىٰ ما سَخَّرْتَ لي من خَلْقِك، وسَيَّرْتَنِي في بلادِكَ، حتىٰ بلَّغْتَنِي بنِعْمَتِكَ إلىٰ بيتِكَ، وأَعَنْتَنِي علىٰ أداءِ نُسُكِي، ؛ فإنْ كنتَ رضيت عنِّي، فازْدَدْ عنِّي رضا، وإلاَّ فَمُنَّ الآنَ قبْلَ أنْ تَنْأَىٰ عَنْ بيتِكَ داري، فهٰذا

= وانظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ٢٥٣).

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ١١٧)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ، قال البيهقي: تفرد به موسىٰ بن عبيدة، وهو ضعيف، ولم يدرك أخوه علياً ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) قال النووي في «المجموع شرح المهذب» (٨/ ١٢٦): استحب أصحابنا أن يقول: . . . . إلخ.
قال ابن علاّن في «شرح الأذكار»: قال الحافظ: لم أره مأثوراً، وكلام الشيخ ـ يعني: النووي ـ يشير إلىٰ أنه منتزع من الآية التي ذكرها.

(٣) وهٰذا مما ذكره ابن قدامة في «المغني» (٣/ ٢٢٩).

أوانُ انْصِرافِي، إنْ أذِنْتَ لي غيرَ مُسْتَبْدَلٍ بك ولا ببيتِكَ، ولا راغبٍ عنك، ولا عَنْ بيتك، اللهمَّ فأصْحِبْنِي العافيةَ في بَدَنِي، والصِّحَّةَ في جَسَدِي، والعِصْمَةَ في دِيْنِي، وأحْسِنْ مُنْقَلَبِي، وارْزُقْنِي طاعَتَكَ ما أبْقَيْتَني، واجمعْ لي بينَ خيرِ الدُّنيا والآخِرَةِ، إنَّك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ»[1].

وعند الخروج إلىٰ الصَّلاة: يقرأ: بسم الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشعراء:٧٨] الآيات إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٩]، ويقولُ: «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بحقِّ السَّائلينَ عليك، وبحقِّ مَمْشَايَ هٰذا؛ فإنِّي لمْ أخرُجْ أَشَرَاً، ولا بَطَراً، ولا رِيَاءً، ولا سُمْعَةً، خرَجْتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ، وابتغاءَ مرضَاتِكَ، أسألُك أن تُنْقِذَنِي منَ النَّارِ، وأنْ تغفِرَ لي ذَنْبِي، إنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ»[2].

وإذا حَضَرَ عندَ مريضٍ: قرأ الفاتحةَ، وقال: «أسألُ اللهَ العظيمَ، ربَّ العرشِ العظيمِ، أنْ يُعافِيَكَ ويَشْفِيَكَ» «سبع مرَّات»[3].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ١٦٤)، عن الإمام الشافعي في «الأم» (٢/ ٢٢١)، وقال: وهٰذا من قول الشافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، وهو حسن.
قال ابن علاَّن في «شرح الأذكار»: قال الحافظ: وقد وردت آثار عديدة فيما يدعىٰ به عند الملتزم، ليس فيها شيء من المرفوعات ولا الموقوفات.

(٢) رواه ابن ماجه (٧٧٨)، كتاب: الصلاة، باب: المشي إلىٰ الصلاة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢١)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف، وانظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٨٤)، و«الأذكار» للنووي (ص: ٥٨ ـ ٥٩)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ١٢٧).

(٣) رواه أبو داود (٣١٠٦)، كتاب: الجنائز، باب: الدعاء للمريض عند العيادة، والترمذي (٢٠٨٣)، كتاب: الطب، باب: (٣٢)، وقال: حسن غريب، والنسائي في=

وبعدها: يَرْقيه بالفاتحة، ومما يَرقِي به: «اللهمَّ ربَّ النَّاسِ، أذْهِبِ البـاسَ، واشْـفِ أنـتَ الشَّـافـي، لا شفـاءَ إلاَّ شفـاؤُكَ، شفـاءً لا يغـادرُ سَقَمَاً»[1].

«بسم الله، تُرْبَةُ أرضِنَا، بريْقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَىٰ سقيمُنا، بإذْنِ ربِّنا»[2].

وقد ذكَرْنَا دعاءَ النَّبيِّ ﷺ يوم عَرَفَةَ، في الفصل الأوَّل.

■ ○ ■

= «السنن الكبرىٰ» (١٠٨٨٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٧٥)، وغيرهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ دون قوله: «يعافيك».

(١) رواه البخاري (٥٤١١)، كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، ومسلم (٢١٩١)، كتاب: السلام، باب: استحباب رقية المريض، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وفي الأصل: «يرقىٰ به الفاتحة» بدل «يرقيه بالفاتحة»، والصواب ما أثبت.
وقوله: «أذهب الباس» قال ابن علاَّن في «دليل الفالحين» (٣/ ٣٢٩): هو في أصله مهموز، وسُهِّل بقلب الهمزة ألفاً؛ لمناسبة ما قبله؛ أي: الشدة في الحرب والعذاب.

(٢) رواه البخاري (٥٤١٣)، كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، ومسلم (٢١٩٤)، كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فصــل

في أَدْعيةٍ وَرَدَ بها الشَّرعُ، ليست مُؤَقَّتةً بوقْتٍ

عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، قال: كان دعاءُ النَّبيِّ ﷺ: «اللهمَّ آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنَا عذابَ النَّارِ» (١).

ورُوِيَ عنه ﷺ، أنَّه كان يدعو بهٰذا ـ أيضاً ـ: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من الهَمِّ، والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ» (٢).

وفي رواية: «وأعوذُ بك من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بِكَ من فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ» (٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٦)، كتاب: الدعوات، باب: قول النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة»، ومسلم (٢٦٩٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء بـ«اللهم آتنا في الدنيا حسنة».

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٢)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من غلبة الرجال، ومسلم (٢٧٠٦)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) وهي رواية مسلم المتقدم تخريجها آنفاً.

وعن أبي بكرٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ، أنَّه قالَ للنَّبيِّ ﷺ: عَلِّمْنِي دعاءً أدعو به في صَلاتي، فقال: «قلْ: اللهمَّ إني ظَلَمْتُ نفسي ظُلْمَاً كثيراً، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنت، فاغفرْ لي مغفرةً مِنْ عِنْدِكَ، وارحَمْنِي إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ» (١).

وعنه ﷺ، قال: «لا يتمنَّىٰ أحدُكُمُ الموتَ من ضُرٍّ أصابَه؛ فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً، فليقلْ: اللهمَّ أحْيِنِي ما كانَتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيرَاً لي» (٢).

ومن الأدعية التي وردت عنه:

«اللهمَّ أَصْلِحْ لنا دِيْنَنَا الذي هو عِصْمَةُ أمْرِنَا، وأَصْلِح لنا دُنْيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِحْ لنا آخرَتَنا التي فيها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا من كُلِّ شرٍّ» (٣).

«اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ، والهمِّ، والغَمِّ،[والمغرم]، والمَأْثَمِ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ النَّارِ، وفِتْنَةِ النَّارِ، وفتنةِ القبرِ، وعذابِ القبرِ، وشرِّ فتنةِ الغِنَىٰ، وشرِّ فتنة الفقرِ، وشرِّ فتنة المسيحِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٣٤٧)، كتاب: المرضىٰ، باب: نهي تمني المريض الموت، ومسلم (٢٦٨٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: تمني كراهة الموت لضر نزل به، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٠)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ الإفراد: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري . . .».

الدَّجَّالِ، اللهمَّ اغْسِلْ خطاياي بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قلبي من الخَطَايا، كما يُنَقَّىٰ الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، وباعِدْ بيني وبينَ خطاياي، كما باعدْتَ بين المشرِقِ والمغرِبِ» (١).

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ القَسْوَةِ، والغَفْلَةِ، والعَيْلَةِ، والذِّلَّةِ، والمَسْكَنَةِ، وأعوذُ بك من الفَقْرِ، والكُفْرِ، والفُسُوقِ، والشِّقَاقِ، والسُّمْعَةِ، والرِّيَاءِ، وأعوذُ بك من الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنُونِ، [والبَرَص، والجُذَام]، وسيِّيء الأسْقام» (٢).

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من البُخْلِ، وأعوذ بك من الجُبْنَ، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ» (٣)، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ آتِ نفسي تَقْواها، وزكِّها أنتَ خيرُ من زَكَّاها، أنت وليُّها ومَوْلاها، اللهمَّ إني أعوذُ بك من عِلْمٍ لا ينفعُ، وقَلْبٍ لا يخْشَعُ، ومِنْ نَفْسٍ لا تشْبَعُ، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها» (٤)، يا أرحمَ الرَّاحمين.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٤)، كتاب: الدعوات، باب: الاستعاذة من أرذل العمر، ومن فتنة الدنيا، وفتنة النار، ومسلم (٥٨٩)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر الفتن وغيرها، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٠٢٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٣١٦)، وفي «الدعاء» (١٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٤)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البخاري (٦٠٠٤)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من عذاب القبر، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه مسلم (٢٧٢٢)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ.

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بعزَّتِكَ، لا إلـهَ إلاَّ أنت أن تُضِلَّني، أنتَ الحيُّ لا تموْتُ، والجِنُّ والإنسُ يموتون» [١].

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من جَهْدِ البَلاء، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وسُوْءِ القَضاءِ، وشماتَةِ الأعداءِ» [٢]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ ما علِمْتُ، وشرِّ ما لم أعْلَمُ.

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ ما عَمِلْتُ، وشر ما لم أعْمَل» [٣].

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ زَوَالِ نعمَتِكَ، وتَحوُّلِ عافِيَتِكَ، ومُوْجِبَاتِ نِقْمَتِكَ، وجميعِ سَخَطِكَ» [٤]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من شرِّ سَمْعِي، ومن شرِّ بَصَرِي، ومن شرِّ لِساني، ومن شرِّ قلبي» [٥]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومسلم (٢٧١٧)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٧)، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من جهد البلاء، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٦)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٩)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، إلا أنه قال: «وفجاءة نقمتك» بدل «موجبات نقمتك».

(٥) رواه أبو داود (١٥٥١)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، والنسائي (٥٤٤٤)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من شر السمع والبصر، والترمذي (٣٤٩٢)، =

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من الفَقْرِ، والفَاقَةِ، والذِّلَّةِ، وأعوذُ بك من أنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ» (١)، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ أعوذ بك من المَغْرَمِ، وأعوذ بك من التَّرَدِي، وأعوذ بك من الغَرَق، والحَرْقِ، والهَدْمِ، وأعوذ بك أن يتخَبَّطَنِي الشَّيطانُ عند الموتِ، وأعوذُ بِكَ من أنْ أموتَ في سبيلِكَ مُدْبِرَاً، وأعوذُ بِكَ أن أموت لَدِيْغَاً» (٢)، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من مُنْكَرَاتِ الأخلاقِ، والأعمالِ، والأهْواءِ» (٣)، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إني أسألُكَ من الخَيْرِ ما سأَلكَ منهُ نبيُّك محمَّدٌ ﷺ، وأعوذُ

= كتاب: الدعوات، باب: (٧٥)، وقال: حسن غريب، عن شَكَل بن حميد ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه أبو داود (١٥٤٤)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، والنسائي (٥٤٦٠)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الذلة، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٠)، وغيرهم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (١٥٥٢)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، والنسائي (٥٥٣١)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من التردي والهدم، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٨)، وغيرهم، عن أبي اليسر السلمي ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩١)، كتاب: الدعوات، باب: دعاء أم سلمة، وقال: حسن غريب، وابن حبان في «صحيحه» (٩٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٩)، عن زياد بن علاقة، عن عمه قطبة بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

بِكَ من الشَّرِّ ما استعاذَ منه نبيُّك محمَّدٍ ﷺ، وأنت المُسْتَعَانُ، وعليك التُّكْلاَنُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بك» [1].

«اللهمَّ ألهمني رُشْدي، وقِنِي شَرَّ نَفْسي» [2]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من جَارِ السُّوْءِ في دار المُقَامَةِ؛ فإن جارَ الدُّنيا يتحوَّل» [3].

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ العَدُو، وشماتَةِ الأعداءِ» [4]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من عِلْمٍ لا ينفعُ، ومن قَلْبٍ لا يخشعُ، ومن دعاءٍ لا يُسْمَعُ، ومن نفسٍ لا تَشْبَعُ، ومن الجُوْعِ؛ فإنّه بِئْسَ الضَّجيعُ، ومن الخيانةِ، فبئست البطَانَةُ، ومن الكَسَلِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ، والهَرَمِ، ومن

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢١)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٩)، وقال: حسن غريب، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٨٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٧٠)، وقال: غريب، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٨٣٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٩)، وغيرهم، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه النسائي (٥٥٠٢)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من جار السوء، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٥١)، وغيرهم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهٰذا لفظ البخاري.

(٤) رواه النسائي (٥٤٧٥)، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من غلبة الدين، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٥)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العُمُرِ، ومن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، ومن عذابِ القَبْرِ، ومن فتنةِ المَحْيَا والمَمَاتِ، اللهمَّ إنِّي أسألُكَ عزائِمَ مغفرتِكَ، ومُنْجِيَاتِ أَمْرِكَ، والسَّلامةَ من كل إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ»[1]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من يَوْمِ السُّوءِ، ومن ليلةِ السُّوْءِ، ومن ساعَةِ السُّوءِ، ومن صاحبِ السُّوءِ، ومن جار السُّوءِ في دار المُقَامَةِ»[2]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وسيِّئ الأسقام»[3]، يا أرحمَ الرَّاحمين.

«اللهمَّ أعنَّا علىٰ شُكْرِكَ، وذِكْرِكَ، وحُسْنِ عبادَتِكَ»[4] إلىٰ أن نلقاك

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٥٧)، وابن مردويه في «تفسيره» (٥/ ١٤٧ ـ «الدر المنثور» للسيوطي)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ٧٦): قال الحاكم: صحيح الإسناد، وليس كما قال، إلا أنه ورد مفرقاً في أحاديث جيدة الأسانيد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٩٤)، وفي «الدعاء» (١٣٣٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٨٧٣)، عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٠): رجاله ثقات، ثم قال في (١٠/ ١٤٤): رجاله رجال الصحيح غير بشر بن ثابت، وهو ثقة.

(٣) رواه أبو داود (١٥٥٤)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٣٤٠)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه أبو داود (١٥٢٢)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، والنسائي (١٣٠٣)، كتاب: الصلاة، باب: نوع آخر من الدعاء، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٤)، =

وأنـــت راضٍ عـــنَّا .

«اللهمَّ إنَّا نسألُكَ الهُدَىٰ، والتُّقىٰ، والعفافَ، والغِنَىٰ» [(١)].

«اللهمَّ إنا نسألُك مُوْجِباتِ رحمتِكَ، وعزائِمَ مغفرتِكَ، والغنيمةَ مِنْ كل بِرٍّ، والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ من النَّارِ» [(٢)].

«اللهمَّ أغنِنَا بحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِنَا بفضلِكَ عمَّنْ سِوَاكَ» [(٣)].

«اللهمَّ أوسِعْ علينا من الرِّزْقِ الحلالِ، وأعتِقْ رقابَنَا من النَّارِ، واصْرِفْ عنَّا فَسَقَةَ الجِنِّ والإنسِ» [(٤)].

اللهمَّ قَنِّعْنَا بما رزقْتَنَا، وباركْ لنا فيه، ويسِّرْ علينا تناوُلَهُ، ولا تجعلْنا في رِزْقِنا خَوَلاً لغيرِك، ولا تحرِمْنَا خيْرَ ما عِنْدَك، بشرِّ ما عندَنا، اللهمَّ ارزقْنا رِزْقاً حلالاً واسعاً، لا يكونُ لأحدٍ علينا فيه مِنَّةٌ، ولا لك علينا فيه تَبِعَةٌ، يا أرحمَ الرَّاحمين .

= وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٠١٠)، وغيرهم، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه مسلم (٢٧٢١)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٢٥)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٦٣)، كتاب: الدعوات، باب: (١١١)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٥٣)، والبزار في «مسنده» (٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٧٣)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ١١٧)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: الأضاحي، كما نسبه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٤٩)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ من قوله.

اللهمَّ فرِّغنا لِمَا خَلَقْتَنا لَهُ، ولا تَشْغَلْنا بما تكفَّلْتَ لنا به، ولا تُخْزِنَا ونحنُ نسألُكَ، ولا تعذِّبْنا ونحن نستغفِرُكَ، اللهمَّ عافِنا وعافِ مَرْضانا، وعافِ مرضىٰ المُسْلِمين، ونفِّسْ كَرْبنا، وكَرْبَ المَكْرُوبين، وفرِّجْ همَّنا، وهمَّ المَهْمُوْمِيْن، وأوفِ دَيْنَنَا، ودَيْنَ المَدِيْنِيْن، واكتُبِ السَّلامةَ علىٰ الحُجَّاجِ، والغُزَاةِ، والمسافرين، في بَرِّك وبحرِك أجمعين، يا أرحمَ الرَّاحمين.

اللهمَّ تُبْ علينا، وعلىٰ العُصاةِ والمُذْنبيْن، واقبلْ توبتَنَا، وتوبَةَ التَّائبين، وفُكَّ أسْرَ المَأسورين والمَأْسُوراتِ؛ مِنَ المسلمينَ والمسلماتِ، اللهمَّ انْصُرِ الإسلامَ والمُسْلِمِيْن، وعساكرَ الموحِّدِيْن، واخْذُلِ الكَفَرَةَ، والمُشْرِكين، وأذِلَّهُمْ وانصُرْنَا عليهِمْ، واشْفِ صدُوْرَ قلبِ قومٍ مؤمنين، يا أرحمَ الرَّاحمين.

■ ○ ■



فصـــل

في دَعْوةِ المَظْلُومِ

عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إيَّاكُمْ ودعوةَ المظلومِ، وإنْ كانَ كافراً»[(١)].

وفي الحديث: «إيَّاكُمْ ودعوةَ المظلومِ؛ فإنَّه ليسَ بينها وبينَ اللهِ حجابٌ»[(٢)].

وروىٰ البخاريُّ، عن زيدِ بنِ أسلمَ، عنْ أبيه: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ استعملَ مولًىٰ له يُدْعىٰ هَنِيّاً علىٰ الحِمَىٰ، فقال: يا هَنِيُّ! اضمُمْ جناحَكَ عنِ المسلمينَ، واتَّقِ دعوةَ [المظلوم][(٣)]؛ فإنَّ دعوةَ المظلومِ مستجابةٌ» وذكر بقيَّة الحديث[(٤)].

وروىٰ ـ أيضاً ـ عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ ـ وكانتْ بينَه وبينَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في الأصل: «المسلمين»، ولعله سبق قلم.

(٤) رواه البخاري (٢٨٩٤)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ لليهود: «أسلموا تسلموا».

أناسٍ خصومةٌ في أرضٍ ـ، فدخَلَ علىٰ عائشةَ فذكرَ لها ذلكَ، فقالتْ: يا أبا سَلَمَةَ! اجْتَنِبِ الأرضَ؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: «مَنْ ظَلَمَ قِيْدَ شِبْرٍ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِيْنَ» (١).

وفي البخاريِّ ـ أيضاً ـ عنه ﷺ، قال: «من أخذ شيئاً مِنَ الأرضِ بغير حَقِّهِ؛ خُسِفَ بِهِ يومَ القيامةِ إلىٰ سَبْعِ أَرَضِيْن» (٢).

وفي التِّرمذيِّ، عنه ﷺ، قال: «لا تزولُ قدمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ مِنْ عندِ ربِّهِ، حتىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عن عُمُرِهِ فيم أَفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابِهِ فيم أَبْلَاهُ؟ وعنْ مالِهِ مِنْ أينَ اكتَسَبَهُ، وفيم أنفَقَهُ؟ وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ؟» قال: حديثٌ غريب (٣).

وحُكِيَ في بعضِ الإسرائلياتِ علىٰ زَمَنِ موسىٰ ـ عليه السلام ـ: أنَّه كان رجلٌ صيادٌ يصيدُ السَّمَكَ، ويقُوْتُ منه أطفالَهُ وزوجتَه، فخرجَ يوماً،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٣)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦١٢)، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الظلم، وغصب الأرض، وغيرها.

(٢) رواه البخاري (٣٠٢٤)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ إلاَّ من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعَّف في الحديث من قبل حفظه، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٢٧١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٧٢)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. والحديث حسن الشواهد، كما ذكر الترمذي أنَّ في الباب: عن أبي برزة، وأبي سعيد ـ رضي الله عنهما ـ.

فوقعتْ في شبكتِه سمكةٌ كبيرةٌ؛ ففرحَ بها، وأخذَها ومضىٰ إلىٰ السُّوقِ؛ ليبيعَها، ويصرفَ ثمنَها في مصالح عيالِهِ، فلَقِيَهُ بعضُ العَوَانِيَّة، فرأىٰ السَّمَكَةَ معه، فأخذَها، فمنعه الصيَّادُ، فضربه بخشبةٍ كانتْ في يده ضربةً مُوْجِعَةً علىٰ رأسه، وأخذَ السَّمكةَ منه غَصْباً بغير عِوَضٍ، فدعا الصَّيَّادُ عليه، فقال: إلـٰهي! خلقتني ضعيفاً، وخلقته قويّاً عنيفاً، فخذْ حقِّيَ منه عاجلاً؛ فقد ظلمني، ولا صبرَ لي إلىٰ الآخرةِ، ثم إنَّ ذلكَ انطلقَ بالسَّمكةِ إلىٰ منزله، وسلَّمها إلىٰ زوجته، وأمرَها أن تشويَها، فلما شوتْها ووضعتْها بين يديه علىٰ المائدة ليأكل منها، فتحتْ فاها ونكَزَتْ أصبعَه نكزَةً أطارتْ بها قرارَهُ، فقام وشكا إلىٰ الطَّبيبِ ألمَ يدِهِ، وما حلَّ به، فقال: دواها أنْ يُقْطَعَ الأصبعُ؛ لئلاَّ تسريَ إلىٰ الكفِّ، فقطعها وانتقل إلىٰ اليدِ، فقال له الطَّبيب: ينبغي أنْ تُقْطَعَ اليدُ فقطعها، فانتقل إلىٰ السَّاعد، فخرجَ هائِماً علىٰ وجهه، مستغيثاً إلىٰ ربِّه، فرأىٰ شجرةً فقصدَها، فأخذَهُ النَّوْمُ، فنام تحتها، فرأىٰ في منامِهِ قائلاً يقول له: يا مسكينُ! إلىٰ كمْ تقطعُ أعضاءَك! امض إلىٰ خصمِك الذي ظلمْتَهُ فأرضِهِ، فانتبهَ من النَّومِ، فقال: خصمي الصَّيَّادُ، فدخل المدينةَ وطلَبَهُ، واستحلَّ منه وأرضاه، وتابَ توبةً نصوحاً، وباتَ تلك الليلةَ، ففي اليومِ الثَّاني، تداركَه اللهُ بلطفهِ ورحمته، فردَّ يده كما كانتْ، ونزلَ الوحيُ علىٰ موسىٰ: يا موسىٰ! لولا أنَّ ذلك رَضِيَ عن خصمه؛ لعذَّبْتُه ما امتدتْ به حياتُه[1].

ولابن نُبَاْتَةَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ [من الطويل]:

ألا رُبَّ ذي ظُلْمٍ كَمَنْتُ لظُلْمِهِ ... فَأَوْقَعَهُ المِقْدَارُ أيَّ وُقُوْعِ

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥/ ٦٣ ـ ٦٥).

وما كانَ لي إلا سِلاحُ تَرَكُّعٍ وأدعيةٌ لا تُتَّقىٰ بِدُرُوْعِ
وهَيْهَاتَ أن يَنْجُوْ الظَّلُومُ وخَلْفَهُ سِهَامُ دعاءٍ مِنْ قِسِيِّ رُكُوْعِ
مُرَيَّشَةٌ بالهُدْبِ مِنْ جَفْنِ سَاهِرٍ مُنَصَّلَةٌ أطرافُها بنَجِيْعِ [(١)]

وسمعتُ أنَّ الشَّيخَ عبدَ الرحمـٰنِ أبو شعرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [(٢)] كان يتمثَّلُ بهـٰذهِ الأبياتِ، ويحضُّ عليها.

قال ابنُ عقيلٍ في «الفُنُونِ»: حُكِيَ أنَّ بعضَ الوُزَراءِ ظَلَم رجلاً، فقال له الرَّجل: اتَّقِ اللهَ، وكُفَّ عنِّي، وإلَّا دعوتُ اللهَ عليكَ، فقالَ له الوزيرُ: ادْعُ بما شئتَ، فما مضىٰ إلَّا أيَّامٌ حتىٰ قُبِضَ علىٰ الوزيرِ وعُذِّبَ، فكتب إليه الرَّجلُ بهـٰذين البيتين [من الوافر]:

سهامُ الليلِ لا تهدي ولكنْ لها أَمَدٌ وللأَمَدِ انتهاءُ
أَتَهْزَأُ بالدُّعاءِ وتَزْدَرِيْهِ تأمَّلْ فيكَ ما فَعَلَ الدُّعاءُ [(٣)]

قال مالكُ بنُ دينارٍ: منْ أرادَ السَّلامةَ، فلا يَظْلِمَنَّ أحداً، فقيلَ له في ذلك، فقال: بينَا أنا أمشي علىٰ السَّاحلِ؛ إذ رأيتُ صيَّاداً ومعه سَبْعَةُ

---

(١) انظر: «ديوان ابن نباتة المصري» (ص: ٣١٤)، ووقع في «الديوان»: «. . . كمنت لحربه»، و«. . . سلاح تهجد»، و«. . . أطرافها بدموع».

(٢) هو الإمام العلامة، القدوة، الحافظ، علامة الزمان، عبد الرحمـٰن بن سليمان بن أبي الكرم، أبو الفرج الدمشقي الصالحي الحنبلي، المعروف بـ: «أبي شعر»، كان إماماً علامة متقدماً في استحضار الفقه، وواسع الاطلاع في مذاهب السلف، ومعرفة أحوال القوم، عفيفاً، نزهاً، ورعاً، متقشفاً، منعزلاً عن الناس، معظِّماً للسنة وأهلها، بارعاً في التفسير، توفي سنة (٨٤٤ هـ). انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (٤/ ٨٣)، و«شذارت الذهب» لابن العماد (٧/ ٢٥٣).

(٣) وانظر: البيتين في «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ١٨٤).

أنوان [1]، فأخذت منه نوناً، وهو كارِهٌ، بعد أن ضربتُه علىٰ رأسه، فعضَّ النُّونُ علىٰ إبهامي، واتَّفقَتِ الأطبَّاءُ علىٰ قَطْعِهِ، ووَقَعَتِ الأَكِلَةُ [2] في كَفِّي وسائِرِ عَضُدِي، فخرجْتُ أَسِيْحُ في الأرضِ، وأريدُ قطعَ يدي، فأويْتُ إلىٰ شَجَرَةٍ، فنمْتُ تحتها، فقيل لي: لأيِّ شيءٍ تريدُ قطعَ يدِكَ ؟! رُدَّ الحقَّ إلىٰ أهله، فانتبهتُ وجِئْتُ إلىٰ الصَّيَّادِ، وقلتُ: أخطأتُ، ولا عَوْدَ، فقال لي: ما عَرَّفَكَ ؟ فقصصْتُ عليه قِصَّتِي، وتضرَّعْتُ إليه، فأحلَّني، فقمتُ قائماً علىٰ قدمي، والدُّودُ يتناثرُ علىٰ عَضُدِي، وسَكَنَ الوَجَعُ بإذنِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فقلتُ له: يا أخي ! بأيِّ شيءٍ دعوْتَ عليَّ ؟ قال: لمَّا ضربْتَني وأخذْتَ السَّمَكَةَ منِّي، نظرْتُ إلىٰ السَّماءِ، وبكيْتُ بكاءً شديداً، وقلتُ: يا ربِّ ! أسألُكَ أن تجعلَهُ عِبْرَةً لِخَلْقِكَ [3].

والْتَزَقَ رجلٌ إلىٰ الظَّلَمَةِ سنةَ إحدىٰ وستين، وظَلَمَ النَّاسَ ظُلْمَاً زائداً، ففي سنة اثنتين وستين قُبِضَ عليه، وجَرَىٰ له ما لم يَجْرِ لأحَدٍ، من أَخْذِ مالِهِ ونَفْسِهِ، وما أَشْبَهَ ذلك.

وقيل: إنَّ نَمْلَةً دبَّتْ علىٰ ذَيْلِ سليمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، فأخَذَهَا وألقاها، فنادَتِ النَّملةُ بَفَرْطِ الألمِ، فقالتْ: يا نبيَّ اللهِ ! ما هٰذه السَّطوةُ ؟ أظَهرْتَ القوَّةَ علىٰ ضَعْفي، وهو مُطَّلِعٌ علىٰ ما فَعَلْتَ بي، فكنْ علىٰ أُهْبَةٍ لجواب السُّؤالِ علىٰ ظُلْمِي، أوْهَنْتَ عَظْمِي، فهبَطَ الأمينُ جبريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، وقال: يا نبيَّ اللهِ ! الحقُّ يقرئُكَ السَّلامَ، ويقولُ لك: وعِزَّتي وجلالي؛

---

(١) الأنوان: جمع نون، وهو الحوت.

(٢) الأَكِلَة: علىٰ وزن فَرِحَة: داء في العضو يأتكل منه.

(٣) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٦٧).

لئن لم تَطْلُبِ العفوَ من النَّمْلةِ؛ لأطالبنَّك بذَنْبِها يومَ القيامةِ ! [1]. وهـٰذه الحكاية نقلتُها من كتابٍ ليس يُعْتَمَدُ عليه .

وقيل : أوحىٰ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلىٰ داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ : يا داودُ ! قلْ لبني إسرائيلَ : من ظلم امرأةً، أو صبيَّةً، أو من يَعْقِلُ بحبَّةٍ في الميزانِ؛ كَوَيْتُه مقدارَها في النَّارِ، يا داودُ ! وعزَّتي وجلالي، لأوقِفَنَّ الخُصَمَاءَ موقِفَ الخُصَمَاءِ، ولأُحْضِرَنَّهمْ يومَ القيامةِ، ولأسألَنَّهم عنِ القليلِ، والكبيرِ، والفتيلِ، والنَّقِيرِ، والقِطْمِيْرِ، والأعمىٰ مَنْ عَمِيَ عن حُجَّته ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وما فرَّطَتْ رُسُلِي، ولقد بلَّغَتْ ما وصَّيْتُ إليها، وأنا شاهدٌ، وكفىٰ بي أعظمَ الشَّاهدين [2].

وقال كَهْمَسُ بن الحسن ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ [3] أذنبْتُ ذَنْباً، وأنا أبكي عليه، فقيل لَهُ : وما هو ؟ فقال : زارَني أخٌ لي، فقدَّمْتُ له سَمَكاً، فلما فَرَغَ مِنْ أكله، قُمْتُ إلىٰ حائطٍ لجاري، فأخذْتُ منه قِطْعَةَ طينٍ أغسِلُ بها يَدِي، فأنا أبكي علىٰ ذلك أربعينَ سَنَةً [4].

وقيـــل : إنَّ عيســىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مــرَّ بمَقْبُــرَةٍ فنــادىٰ رجــلاً

---

(١) انظر : «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص:٦٨)، وقول المؤلف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بعد إيراد هـٰذه الحكاية : نقلتها من كتاب ليس يعتمد عليه، فإنما يعني به كتاب ابن الجزري هـٰذا، وقد نقل عنه المؤلف حكايات أخرىٰ فيها من الغرابة والنكارة ما فيها، شأن كتب المواعظ والرقائق في سردها وحكايتها دون الإشارة إلىٰ ما فيها .

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه .

(٣) في الأصل : «الحسن بن كهمس»، وكذا هو في «الزهر الفائح» الذي نقل عنه المؤلف هـٰذه الحكاية، وهو خطأ لا ريب .

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢١١)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ١٨).

فأحياهُ اللهُ تعالىٰ، فقال له عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ما كنتَ تعملُ في دارِ الدُّنيا؟ فقالَ: كنْتُ حمَّالاً أحملُ علىٰ رأسي فأَتَقَوَّتُ، فحمَلْتُ ذات يومٍ لإنسانٍ حطباً، فكَسَرْتُ منه خِلاَلاً [1]، فتخلَّلْتُ به، فلمَّا مِتُّ أوقَفَنِي بينَ يديه، وقال: يا عَبْدي! أما عَلِمْتَ أنِّي مُوقِفُكَ بين يَدَيّ؟ فلانٌ اشْترىٰ حَطَباً بماله، وأعطاكَ الكِرَاءَ لتؤدِّيَهُ إلىٰ منزِلِهِ، فأخذْتَ منه حَطَبَةً لا تمْلِكُها، أَسْتَهْوَنْتَ بأمري؟! فسألْتُكَ يا روحَ اللهِ، باللهِ إلَّا ما شَفَعْتَ لي عند الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؛ فإنِّي في الحِساب منذ أربعين سنة [2].

وقال الحسنُ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ: إنَّ الرَّجلَ لَيَتَعَلَّقُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ، فيقولُ: بيني وبينك اللهُ، فيقولُ: واللهِ ما أعرفُك، فيقول: أنت أخذْتَ طينةً من حائِطي، وآخرُ يقول: أنتَ أخذْتَ خيطاً من ثوبي [3].

وقيل: إنَّ حسَّانَ بنَ أبي سِنَانٍ كانَ لا ينامُ الليلَ، ولا يأكلُ سَمِيناً، ولا يشربُ بارداً، فلمَّا ماتَ، رُئي في المنام، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: أنا محبوسٌ عَنِ الجنَّة، بِإِبْرَةٍ استَعَرْتُها، فَلَمْ أَرُدَّها إلىٰ صاحبِها [4].

■ ○ ■

(١) **الخِلال**: هو العود الذي يُتَخلَّل به.

(٢) انظر: «الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٦٩).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٥٤)، و«الزهر الفائح» لابن الجزري (ص: ٦٩).

فصـــل

[فيما يَفْعَلُ مَنْ أَكَلَ حَرَاماً دونَ عِلْمِهِ]

وإذا أكل مالاً مغصُوباً أو حراماً، ولم يعْلَمْ؛ فإن عَلِمَ وهو في جَوْفِهِ قاءَهُ، وإن علم بعد ذلك استحلَّ من صاحِبِهِ.

ففي «صحيح البخاريِّ»، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان لأبي بكرٍ غلامٌ يُخْرِجُ له الخَرَاجَ، وكان أبو بكر يأكلُ من خَرَاجِهِ، فجاءَ يوماً بشيء فأكلَ منه أبو بكرٍ، فقال له الغلامُ: أتدري ما هٰذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ فقال: كنتُ تكهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهليَّةِ، وما أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إلا أنِّي خَدَعْتُهُ، فلقِيَنِي، فأعطاني بذلكَ، فهٰذا الذي أكلتَ منه، فأخذ أبو بكر يده، فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنِهِ [1].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: أيام الجاهلية.
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٥٤): قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزهاً؛ لأن أمر الجاهلية وضع، ولو كان في الإسلام لغرم مثلما أكل أو قيمته، ولم يكفه القيء، كذا قال. والذي يظهر: أن أبا بكر إنما قاء؛ لِمَا ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن، وحلوان الكاهن ما يأخذه علىٰ كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون عن غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية، خصوصاً قبل ظهور النبي ﷺ، انتهىٰ.

ففي هـٰذا الحديث: دليل علىٰ ما تقدم.

وفيه ـ أيضاً ـ: دليلٌ علىٰ أنَّه لا يضارِبُ من أطْعَمَهُ، ولا يضرُّ به، ولا يشوِّشُ عليه الكلامَ، ولا غيرَه.

■ ○ ■

فصـــل
[في طِيْبِ المَطْعَمِ، واجْتِنَابِ الحَرامِ، واتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ]

فإن شكَّ في المالِ، هل هو حرامٌ أم لا ؟ تَرَكُه، ولم يقربه، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «دعْ ما يَرِيْبُكَ إلىٰ ما لا يَرِيْبُكَ» (١).

وقال حسَّانُ بنُ أبي سِنان: ما رأيتُ شيئاً أهونَ من الوَرَعِ «دَعْ ما يَرِيْبُكَ إلىٰ ما لا يَرِيْبُكَ» (٢).

قال شيخُنا ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مرَّةً: صَدَقَ، هٰذا حلالٌ فكُلْهُ، وهٰذا حرامٌ فلا تأكُلْهُ، وما أرىٰ أنَّا علىٰ كَلِمَةٍ أَشَدَّ منها، وذلك أنَّ كُلَّ ما حَصَلَ للإنسان من رِيْبَةٍ فلا يقْرَبْهُ.

---

(١) رواه النسائي (٥٧١١)، كتاب: الأشربة، باب: الحث علىٰ ترك الشبهات، والترمذي (٢٥١٨)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٠)، وغيرهم، عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٧٢٤)، معلقاً بصيغة الجزم، ورواه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١١٦)، موصولاً، وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٣/ ٢٠٩).

وفي «صحيح البخاريِّ»، عن أبي هريرةَ، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «اشترىٰ رجلٌ من رجل عَقَارَاً له، فوجدَ الرَّجُلُ الذي اشترىٰ العقارَ في عَقارهِ جَرَّةً فيها ذهبٌ، فقال الذي اشترىٰ العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ منِّي، إنَّما اشتريتُ منْكَ الأرضَ، ولم أبْتَعِ الذَّهَبَ، وقال الذي له الأرضُ: إنَّما بِعْتُكَ الأرضَ وما فيها، فتحاكما إلىٰ رَجُلٍ، فقال الذي تحاكَمَا إليه: أَلكما ولدٌ؟ قال أحدُهما: لي غلامٌ، وقال الآخرُ: لي جاريةٌ، فقال: أنْكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقُوا علىٰ أنْفُسِهِمَا منه، وتصدَّقا»(١).

■ ○ ■

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٥)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (١٧٢١)، كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين.

فصـــل

[في الأَخْذِ علَىٰ يَدِ الظَّالمِ]

قال بعضُ الحُكَماءِ: احفظْ أربعَ خِصَالٍ، تنجُ بها من كلِّ شيءٍ: فأوَّلَها عينَيْك، ولسانَك، وقلبَك، [وهواك]؛ فعينيكَ لا تنظرْ بهما إلىٰ ما لا يَحِلُّ لك، ولسانَك لا تقلْ بِهِ شيئاً تعلمُ أنَّ الحقَّ بخلافِهِ، وقلبَك لا يكنْ فيه غِلَّةٌ ولا عداوةٌ لأحدٍ من المسلمين، وهواكَ لا تنظرْ به إلىٰ شيءٍ مِنَ الشَّرِّ؛ فإن لمْ يكنْ فيك شيءٌ من هـٰذه الخصالِ، وإلَّا فاجعلْ الرَّمادَ علىٰ رأسِكَ، واعلمْ أنَّك هلكْتَ[1].

وفي كتاب «الزُّهْدِ» للإمام أحمدَ: أنَّ رجلاً من إخوان فُضَيْلِ بنِ عِياضٍ ـ من أهل خُرَاسانَ ـ قدم[2] مكَّةَ، فجَلَسَ إلىٰ الفُضَيْلِ في المسجدِ الحرامِ يحدِّثُه، ثمَّ قام الخُرَاسانيُّ يطُوْفُ، فسُرِقَتْ منه دنانيرُ ـ ستِّينَ أو سبعينَ ـ، فخرجَ الخُرَاسانيُّ يبكي، فقال له فُضَيْلُ: مالكَ؟ فقال: سُرِقَتِ الدَّنانيرُ، قال: عليها تبكي؟ قال: لا، مَثَّلْتُنِي وإيَّاهُ بين يدي اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فأشرفَ عقلي علىٰ إدحاضِ حُجَّته، فبكيتُ رحمةً له[3].

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ١٦٨)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢/ ١٧٤).

(٢) في الأصل: «فقدم».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ١٧٥).

فهٰذا رَحِمَ الظَّالمَ، ومِمَّنْ رَحِمَ الظَّالمَ - أيضاً - أشياءُ كثيرة؛ كَمَا رُوِيَ عن بعضِهِمْ: أنَّه خُطِفَتْ عِمَامَتُه، فبقي يعدُو خَلْفَه ويقول: أبْرَأْتُ ذِمَّتَكَ منها، فقلْ: قِبلْتُ، فقيل له: فقال: منِّي يأخُذُه حَلالاً.

وجرىٰ لآخرَ مثلُ هٰذا، فقيل له: فقال: لأنَّ هٰذا منكر، فإذا أبرأْتُه منها؛ فقد أَزَلْتُ المُنْكَرَ.

وسُرِقَ لبعض المُتقَدِّمِيْنَ شيءٌ، فحزِنَ عليه، فذكرَ ذلك لبعضِ العارفين، فقال له: إنْ لمْ يكنْ حزنُك علىٰ أنَّه قد صار في هٰذه الأمَّةِ مَنْ يعملُ هٰذا العملَ، أكثرَ من حزنِكَ علىٰ ذَهَابِ مالِكَ، لم تُؤَدِّ النَّصيحةَ إلىٰ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - في عبادِه إليه - أو كما قال -.

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، وأبو داودَ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه، من حديثِ أبي أُمَيَّةَ المخزومِيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ: أُتِيَ بلصٍّ قد اعترفَ، ولم يوجَدْ معَهُ مَتَاعٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما إخالُكَ سَرَقْتَ!»، قال: بلىٰ؛ فأعادَ عليه مرتين، أو ثلاثاً، فَأَمَرَ به فَقُطِعَ، وجيءَ به، فقال: استغفرِ اللهَ، وتُبْ إليهِ، فقالَ: أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، فقال: «اللهمَّ تُبْ عليهِ» «ثلاثاً»(1).

ومِمَّنْ علِمَ ظالِمَه، وقَدِرَ عليه، ولم يؤاخِذْه؛ ما جرىٰ لشيخنا الشيخِ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٣)، وأبو داود (٤٣٨٠)، كتاب: الحدود، باب: في التلقين في الحد، والنسائي (٤٨٧٧)، كتاب: السرقة، باب: تلقين السارق، وابن ماجه (٢٥٩٧)، كتاب: الحدود، باب: تلقين السارق.
قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٦٦): قال الخطابي: في إسناده مقال، والحديث إذا رواه مجهول لم يكن حجة، ولم يجب الحكم به.

زينِ الدِّينِ ابن الحبَّالِ[1]: أنَّه كان في بعضِ بساتينِ الشَّامِ هو وأخوه، فجاء، فلقيهما أناسٌ، فعرَّوْهُم، وأخذوا ما عليهما، ثم عرفَ واحداً منهم، ولم يقل له شيئاً واحداً، وأخبرني هو بهـٰذا الخبر.

قلتُ له: عرفتَه؟ قال: نعم، هو في المَجْزَرَةِ، قلتُ له: وما قلتَ له؟ قال: قلتُ له: تُبْ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولا تعُدْ، وعرَّفْتُه، قلتُ له: مَنْ هو؟ قال: ما كنتُ لأهْتِكَهُ، وما أظنُّه دعا عليهِ، بل دعا له.

وأعجبُ من هـٰذا: حكايةُ الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ، قال ابنُ الجوزيِّ: كنَّا بمجلسِ الوزيرِ يُملي علينا كتابَه «الإِفْصَاحَ»، فبينما نحنُ كذلكَ؛ إذ قَدِمَ رجلٌ ومعَهُ رجلٌ ادَّعىٰ عليه أنَّه قَتَل أخاه، فقال له: أقتَلْتَهُ؟ قال: نعم؛ جرىٰ بيني وبينه كلام، فقتلتُه، قال الخصمُ: سلِّمه إليَّ حتىٰ أقتُلَهُ، فقدْ أقرَّ بالقتلِ، فقال: أطلقوه، قالوا: كيفَ ذلك، وقد قتل أخانا؟ فقال: أتبيعونه؟ فاشتراه منهم بستِّ مئةِ دينارٍ، وسلَّم الذَّهبَ إليهمْ، وذهبُوا، وقال للقاتلِ: اقعدْ عندنا لا تبرَحْ، قال: فجلسَ عندهمْ، وأعطاه خمسين ديناراً، قال: فقلنا للوزيرِ: لقد أحسنتَ إلىٰ هـٰذا، وعملْتَ معه أمراً عظيماً، وبالغتَ في الإحسانِ إليه؟! فقال الوزير: منكم أحدٌ يعلمُ أنَّ

---

(١) هو الإمام العلامة، المقرئ، الفقيه، المحدث، عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن يوسف بن الحبال، زين الدين، أبو الفرج الحنبلي، كان صاحب دين وورع وزهد، متابعاً للسنة والآثار، عمل مدرساً بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، كما أنه تولّىٰ القضاء، وقيل: إنه كتب القرآن أكثر من مئة مرة، توفي سنة (٨٦٦ هـ). انظر: «الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي المؤلف (ص: ٦٤)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٤/ ٤٣)، و«القلائد الجوهرية» لابن طولون (٢/ ٥٩٢).

عيني اليمينَ لا أبصرُ بها شيئاً ؟ فقلنا : معاذَ اللهِ، فقال : بلىٰ والله ، أتدرونَ سبب ذلك ؟ قلنا : لا ، قال : هٰذا الذي خلَّصتُهُ من القَتْلِ ، جاءَ إليَّ وأنا في الدُّورِ ، ومعي كتابٌ في الفقه أقرأُ فيه ، ومعه سلَّةُ فاكهةٍ ، فقال : احملْ هٰذه السَّلَّةَ ، قلتُ له : ما هٰذا شُغْلي ، فاطلبْ غيري ، فشاكَلَني ولَكَمَني ، فقلعَ عيني ومضىٰ ، ولم أَرَهُ بعدَ ذلك إلىٰ يومي هٰذا ، فذكرتُ ما صَنَعَ لي ، فأردْتُ أن أقابلَ إساءتَه إليَّ بإحسانٍ مع القدْرَةِ [1] .

وفي «صحيح البخاريِّ» ، عن أبي هريرة : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ برجلٍ قد شَرِبَ ، فقال : «اضربوه» ، فضربُوه ، فلمَّا انْصرَفَ ، قال بعضُ القومِ : أخزاكَ اللهُ ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : «لا تقولوا هٰكذا ، لا تُعِينُوا الشَّيطانَ عليه» [2] ـ وفي رواية أيضاً ـ : «لا تكونوا عونَ الشَّيطانِ علىٰ أخيكُم» [3] .

وخرَّجه النَّسائيُّ بمعناه وزادَ : «ولكنْ قولوا : رَحِمَكَ اللهُ» [4] .

وخرَّجه أبو داودَ ، وعندَه : «ولكنْ قولوا : اللهمَّ اغفرْ له ، اللهمَّ ارْحَمْهُ» [5] .

---

(١) وانظر : «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي (ص : ١٠٤) ، و«شذارت الذهب» لابن العماد (٤/ ١٩٤) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٥) ، كتاب : الحدود ، باب : الضرب بالجريد والنعال .

(٣) رواه البخاري (٦٣٩٩) ، كتاب : الحدود ، باب : ما يكره من لعن شارب الخمر ، وإنه ليس بخارج من الملة .

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٥٢٨٧) .

(٥) رواه أبو داود (٤٤٧٨) ، كتاب : الحدود ، باب : الحد في الخمر .

وخرَّج البخاريُّ ـ أيضاً ـ، من حديثِ عمرَ بنِ الخطَّابِ: أنَّ رجلاً كانَ علىٰ عهدِ النَّبيِّ ﷺ، وكان اسمُه عبدَ الله، وكان يلقَّبُ حِمَاراً، وكان رسول الله ﷺ يضحَكُ منه، وكانَ رسولُ الله ﷺ قد جَلَدَهُ في الشُّرْبِ، فأُتِيَ به يَوْماً، فأمر به فجُلِدَ، فقال رجلٌ من القومِ: اللهمَّ الْعَنْه، ما أكثرَ ما يؤتىٰ به! فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تلعنوه، واللهِ ما علمتُ إلاَّ أنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ» (١).

■ ○ ■

(١) رواه البخاري (٦٣٩٨)، كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة.



فصـــل
[في الصَّبرِ علىٰ الظَّالمِ، واحْتِساب ظُلْمِهِ]

ولا يدعُ علىٰ الظَّالمِ، والصَّبْرُ عن الدُّعاءِ عليه أولىٰ؛ كما في قصَّةِ الإمامِ أحمدَ لما ضُرِبَ، فقيل له: ألا تدعو عليهم؟ فقال: ليس بصابرٍ من دعا علىٰ ظالمٍ [1].

وقد رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه نهىٰ عن سبِّ السَّارقِ، والدُّعاءِ عليه [2].

وخرَّجَ أبو داودَ، من حديثِ عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ: أنَّها سُرِقتْ مِلْحَفَةٌ لها، فجَعَلَتْ تدعو علىٰ مَنْ سَرَقها؛ فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يقول لها: «لا تُسَبِّخِي عنه»، قال أبو داود: «لا تُسَبِّخِي»؛ يعني: لا تُخَفِّفِي [3].

وخرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ، من وجهٍ آخرَ، عن عائشةَ، قالت: سُرِقَتْ لحفتي، فدعوتُ الله علىٰ صاحبِها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تُسَبِّخِي عليه، دَعِيْهِ بِذَنْبِهِ» [4].

---

(١) رواه ابن أبي يعلىٰ الحنبلي في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٠٨).

(٢) انظر: حديث أبي أمية المخزومي ـ رضي الله عنه ـ في الفصل السابق.

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٧)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٣٥٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢١٥).

وفي «مسند الإمام أحمد» ـ رضي الله عنه ـ، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «ما زادَ اللهُ عبداً بعفوٍ إلاَّ عزّاً» [(١)].

فإن دعا علىٰ من ظَلَمَهُ بالعَدْلِ جازَ، وكانَ مُسْتَوْفِياً لبعضِ حَقِّه مِنْه، وإنِ اعتدىٰ عليه في دعائه لم يَجُزْ.

وروىٰ ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء:١٤٨]، قال: لا يحبُّ أن يدعوَ أحدٌ علىٰ أحدٍ، إلاَّ أنْ يكونَ مظلوماً؛ فإنَّه قدْ رُخِّصَ له أن يدعوَ علىٰ من ظَلَمَهُ، وذلك قولُه: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، «ومن صبر فهو خيرٌ» [(٢)].

قال الحسنُ: قدْ رُخِّصَ له أن يدعوَ علىٰ من ظَلَمَهُ، من غيرِ أن يتعدّىٰ عليه [(٣)].

ورُوِيَ عنه قال: لا تَدْعُ عليه، ولكنْ قُلْ: اللهمَّ أعِنِّي عليهِ، واستخرجْ حَقِّي منه [(٤)].

ومن العارفينَ من كان يرحَمُ الظَّلَمةَ، فرُبَّما دعا له.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٦)، بلفظ: «. . . وما زاد اللهُ رجلاً بعفو إلاَّ عزّاً، وقد رواه مسلم (٢٥٨٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أيضاً، وباللفظ الذي ساقه المؤلف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦/ ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٠).

(٣) رواه هنَّاد بن السَّري في «الزهد» (٢/ ٥١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠١).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦/ ١).

وسُرِقَ لبعضِهِمْ شيءٌ، فقيلَ له: ادْعُ عليه، فقالَ: اللهمَّ إنْ كانَ فقيراً؛ فأغِنْه، وإن كان غنياً؛ فأجْمِلْ بقلبِهِ [1].

وقال إبراهيم التَّيْمِيُّ: إنَّ الرجل لَيَظْلِمُني؛ فأرحَمُهُ، فقيلَ له: كيفَ ترحمُه وهو يظلمك؟ فقال: إنه لا يدري لسَخَطِ مَنْ يتعرَّضُ [2].

وآذىٰ رجلٌ أيوب السِّخْتِيَانِي وأصحابَه أذىً شديداً، فلمَّا تفارقُوا، قال أيوبُ: إني لأرحَمُهُ، إنَّا نفارقه وخُلُقُهُ مَعَهُ [3].

وقال بعضهم: لا يَكبُرَنَّ عليك ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ؛ فإنَّما يسعىٰ في مضرَّتِهِ ونَفْعِكَ [4].

وقيل لبعض السَّلَفِ الصَّالِح: إنَّ فلاناً يقعُ فيك، فقال: لأَغِيظَنَّ من أَمَرَه، يغفرُ اللهُ لي وله، قيلَ: من أَمَرَهُ؟ قال: الشيطانُ [5].

وقال الحجَّاج بن فرافصة: بَلَغَنَا أنَّ في بعضِ الكتبِ: مَنِ استغفرَ لظالمه، فقد هَزَمَ الشَّيطانَ [6].

---

(١) روىٰ ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٢٥): أن الربيع بن خثيم سرق له فرس، وقد أعطي به عشرين ألفاً، فاجتمعوا عليه، وقالوا له: ادع الله عليه، فقال: اللهم إن كان غنياً فاغفر له، وإن كان فقيراً فأغنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٩٤)، إلىٰ قوله: «فأرحمه».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٢٩٣).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩/ ١٨٠)، عن عبد الله بن صالح.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (ص: ٢٧٦)، عن الفضيل بن غزوان.

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٣٤)، ومن طريقه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

وقال الفضيلُ بن عياضٍ: حسناتُكَ من عدوِّك، أكثرُ منها مِنْ صديقِك، إنَّ عدوَّك يغتابُك، فيدفعُ إليك من حسناتِهِ الليلَ والنهارَ، فلا تَرْضَ، حتَّىٰ إذا ذُكِرَ بين يديك، تقولُ: اللهمَّ أهلِكْهُ، لا بل ادعُ اللهَ له، اللهمَّ أصلِحْهُ، اللهمَّ راجعْ به، فيكونُ اللهُ يعطِيْكَ أَجْرَ ما دعوتَ؛ فإنْ قال الرَّجلُ: اللهمَّ أهلِكْه، فقد أَعْطىٰ الشَّيطانَ سُؤْلَه؛ لأنَّ الشَّيطانَ إنما يدورُ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ آدمَ علىٰ هَلاَكِ الخَلْقِ [(١)].

وقال بعضُ السَّلَفِ: لولا أنَّ النَّاسَ يدعون علىٰ مَلِكِهِمْ، لعُجِّلَ لِملوكِهِمُ العِقَابُ ـ أو معنىٰ هـٰذا ـ. يشيرُ إلىٰ أنَّ دعاءَ النَّاسِ عليهمْ استيفاءٌ منهم لحقوقِهِمْ من المظالِمِ أو بعضِها، فبذلكَ يدفَعُ عنهمُ العقوبةَ.

وفي البخاريِّ، عن شقيقٍ، قال عبدُ الله: «كأنِّي أنظرُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياءِ، ضرَبَه قومُه فأَدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ، ويقولُ: اللهمَّ اغفرْ لقومي؛ فإنَّهم لا يعلمون» [(٢)].

وعن خَبَّابٍ، قالَ: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدةً، وهو في ظِلِّ الكعبةِ، وقد لَقِيْنا من المشركين شدَّةً، فقلتُ: [يا رسولَ الله!] ألا تدعو الله؟! فقعدَ وهو مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فقال: «لقد كانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُمشَّط بِمشَاطِ الحديدِ، ما دونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ أو عَصَبٍ ما يصْرِفُه ذلك عن دِيْنِهِ، ويُوْضَعُ المِنْشَارُ علىٰ فَرْقِ رَأسِهِ فَيُشَقُّ باثنتينِ، ما يصرِفُه ذلك عن دينِهِ،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣٢٩٠)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (١٧٩٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد.

وَليُتِمَّنَّ اللهُ هـٰذا الأمرَ، حتَّىٰ يسيرَ الرَّاكبُ من صنعاءَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ، ما يخافُ إلَّا اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ» زاد بيانٌ: «والذئبَ علىٰ غَنَمِهِ» [1].

■ ○ ■

(١) رواه البخاري (٣٦٣٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.



فصـــل

[في ذِكْرِ بَعْضِ ما وَرَدَ مِنَ التَّشْدِيدِ في الظُّلمِ، والتَّحْذيرِ منْهُ]

والظُّلمُ تارةً يكون في النَّفسِ، وأشدُّه الدِّماءُ، وتارةً في المالِ، وتارةً في الأعراضِ، ولهـٰذا قولُ النَّبيِّ ﷺ في خُطبةِ الوداعِ: «إنَّ دماءَكُمْ، وأموالَكم، وأعراضَكم، عليكم حرامٌ؛ كحُرْمَةِ يومِكُمْ هـٰذا، في شهرِكم هـٰذا»[1].

وفي روايةٍ: ثم قال: «ألا فاسْمعُوا منِّي تعيشُوا، ألا لا تظالَمُوا، ألا لا تظالَمُوا، ألا لا تظالَمُوا، إنَّه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مُسْلمٍ، إلَّا عن طِيْبِ نفسٍ منه»[2].

وفي «صحيح مسلم»، عنه ﷺ، قال: «كلُّ المسلمِ علىٰ المسلمِ حرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُه، وعِرْضُه»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٧٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١٥٧٠)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٢٦)، وغيرهم، عن أبي حَرَّة الرَّقاشي، عن عمه ـ رضي الله عنه ـ، وإسناده ضعيف، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٤٦)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٦٦).

(٣) تقدم تخريجه.

وفي حديثِ عمَّارٍ: «أعوذُ بكَ اللهمَّ أنْ أَظْلِمَ أو أُظلَمَ»[1].

وخرَّج أبو داودَ، وغيرُه، من حديثِ أمِّ سَلَمَةَ، قالتْ: ما خرجَ رسولُ الله ﷺ من بيتي قطُّ إلاَّ رَفعَ طَرْفَهُ إلىٰ السَّماءِ، فقال: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ»[2].

وخرَّجه التِّرمذيُّ وصحَّحَه، ولفْظُه: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك أن نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظْلِمَ، أو نُظْلَمَ، أو نَجْهَلَ، أو يُجْهَلَ عليَّ»[3].

قال ابنُ رَجَبٍ في «شرح حديث لبَّيْكَ»[4]: مَنْ سَلِمَ مِنْ ظُلْمِ غيرِهِ، وسَلِمَ النَّاسُ من ظُلْمِهِ؛ فقد عُوْفِيَ، وعُوْفِيَ النَّاسُ منه.

وكان بعضُ السَّلَفِ يدعو: اللهمَّ سَلِّمْنِي، وسَلِّمْ مِنِّي[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٠٣)، وفي «مسند الشاميين» (١٤٨١)، لـكن عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٣): أحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا، وفي بقية الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٢٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٣٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٧).

(٤) انظر: (ص: ١٠٢) منه، وما بعدها.

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٦)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنه كان يقول ذلك إذا خرج من بيته.

ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥١١)، عن سعيد بن المسيب: أنه كان لا يفتي فتيا، ولا يقول شيئاً إلا قال ذلك، وانظر: «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» للبيهقي =

والظُّلمُ أعمُّ من العُدْوانِ، وقد فرّق اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بين الظُّلْمِ والعدوانِ في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

وفرّقَ ابنُ رجبٍ بينهما:

بأن الظُّلْمَ: ما كان بغيرِ حَقٍّ، أو استحقاقٍ لشرٍّ منه، وقَتْلُ نفسٍ لا يحلُّ قَتْلُها.

والعدوانُ: مجاوَزَةُ الحدودِ وتعدِّيْها فيما أَصْلُه مباحٌ؛ مثلُ: أنْ يكونَ له علىٰ أحدٍ حقٌّ من مالٍ، أو دمٍ، أو عِرْضٍ؛ فيستوفي أكثرَ منه، فهٰذا هو العدوانُ، وهو تجاوزُ ما يجوْزُ أخذُهُ، وهو من أنواعِ الرِّبا المُحَرَّمَةِ، وقد ورد: «السَّبَّتانِ بالسَّبَّةِ رِبا»(1).

والظُّلْمُ المُطْلَقُ: أَخْذُ ما ليسَ له أخذُه، ولا أخذُ شيءٍ منه من مالٍ، أو دَمٍ، أو عِرْضٍ، وكلاهما في الحقيقةِ ظلمٌ.

وقد حَرَّم اللهُ الظُّلمَ؛ ففي «الصَّحيح»، عن النَّبيِّ ﷺ:

= (ص: ٤٣٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣/ ١٩١).

(١) روىٰ أبو داود (٤٨٧٧)، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٧٢٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٠٥)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «إن من أكبر الكبائر: استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر: السبتان بالسَّبَّة».

«يقولُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يا عبادي ! إنّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علىٰ نفسي، وجعلْتُهُ بينكم مُحَرَّماً، فلا تظالموا» (١).

وفي «الصَّحيحين»، عنه ﷺ قال: «الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يومَ القيامةِ» (٢).

وفيهما، عنه ﷺ، قال: «إنَّ الله لَيُمْلِي للظَّالمِ، حتَّىٰ إذا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] (٣).

وفي «صحيح البخاريِّ»، عنه ﷺ، قال: «مَنْ كانتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأخيه، فليتحَلَّلْهُ [منها]؛ فإنَّه ليسَ ثمَّ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، من قَبْلِ أن يُؤْخَذَ لأخيه من حَسَنَاتِهِ؛ فإنْ لم يكنْ له حسناتٌ، أُخِذَ من سيِّئاتِ أخيه، فَطُرِحَتْ عليه» (٤).

وفي «صحيح مسلمٍ»، عنه ﷺ، قال: «أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ ؟» قالوا: المفلسُ من لا دِرْهَمَ لَهُ، ولا متاعَ، قال: «إنَّ المفلسَ من أمَّتي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شَتَمَ هٰذا، [وقذف

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٣١٥)، كتاب: المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ومسلم (٢٥٧٩)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: «وكذلك أخذ ربك...»، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه البخاري (٦١٦٩)، كتاب: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

هـٰذا]، وأكلَ مالَ هـٰذا، وسَفَكَ دَمَ هـٰذا، وضَرَبَ هـٰذا، فيَقْضِي هـٰذا من حسناتِهِ، وهـٰذا من حسناتِهِ، فإذا فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يَقْضِيَ ما عليه، أُخِذَ من سيئاتهم فطُرِحَ عليه، ثم طُرِحَ في النَّار» [١].

وفي الحديث: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلىٰ أهلِها يومَ القيامةِ، حتىٰ يُقادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ من الشَّاةِ القَرْنَاءِ» [٢].

وفي حديث عبد الله بن أُنَيْسٍ: «وَلَيُسْأَلَنَّ الحجرُ لِمَ نَكَبَ الحَجَرَ، ولَيُسْأَلَنَّ العودُ لِمَ خَدَشَ صاحِبَهَ» [٣].

وقال بعضُهم [من الكامل] [٤]:

فخفِ القضاء غداً[إذا] وَفَّيْتَ ما ... كَسَبَتْ يَدَاكَ اليومَ بالقِسْطَاسِ
في مَوْقِفٍ ما فيه إلا شَاخِصٌ ... أو مُهْطِعٌ أو مُقْنِعٌ للرَّاسِ
أعضاؤُهم فيه الشُّهودُ وسُخْتُهُم ... نارٌ وحاكِمُهُمْ شديْدُ الباسِ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٢)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، والشاة الجلحاء: هي التي لا قرون لها.

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» (ص: ١١٥ ـ ١١٧)، ومن طريقه: ابن ناصر الدين الدمشقي، في «مجلس في حديث جابر» (ص: ٤٠ ـ ٤١)، ثم قال: هـٰذا أوهىٰ طرق هـٰذا الحديث، وآفته من عمر بن صبح بن عمران التميمي الخراساني، ذاك الكذاب، أحد الوضاعين.
ومعنىٰ نكب الحجر: لثم أو أصاب.

(٤) هو الشريف مسعود بن المحسن، المعروف بـ: «البياضي»، كان قد كتب هـٰذه الأبيات إلىٰ الراضي. انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٨/ ٤١١).

إنْ تُمْطِلِ اليومَ الحقوقَ مَعَ الغِنَى فغداً تؤدِّيها مَعَ الإفْلاسِ [1]

ظلمُ العباد شرٌّ مُكْتَسَبٍ؛ لأنَّ الحقَّ لآدميٍّ مطبوعٌ على الشُّحِّ، فلا يَتْرُكُ من حقِّه شيئاً، لا سِيَّما مع شدَّة حاجته يومَ القيامةِ؛ فإنَّ الأمَّ تفرحُ يومئذٍ إذا كان لها حقٌّ على ولدها لتَأْخُذَهُ منه، ومع هذا، فالغالبُ أنَّ الظَّالمَ تُعَجَّلُ له العقوبةُ في الدُّنيا، وإنْ أُمهِلَ، كما قال ﷺ: «إنَّ اللهَ ليُمْلِي للظَّالمِ، حتَّى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ»، ثم تلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢] [2].

كان بعضُ أكابر التَّابعين، قال لرجلٍ: يا مُفْلِسُ! فابتُلِي القائلُ بالدَّيْنِ والحَبْسِ بعدَ أربعين سنةً [3].

وضربَ رجلٌ أباه وسَحَبَه إلى مكانٍ، فقال رجلٌ رآه: إلى هنا رأيتُ هذا مضروباً، قد ضَرَبَه اللهُ فكبَّه.

وصادرَ بعضُ وزراءِ الخلفاءِ رجلاً وأخذَ منه ثلاثةَ آلافِ دينارٍ، فبعد مُدَّةٍ غَضِبَ الخليفةُ على الوزيرِ وطَلَبَ منه عشرةَ آلافِ دينارٍ، فَجَزِعَ أهلُه من ذلك، فقال: مايُؤْخَذُ منِّي أكثرُ من ثلاثةِ آلافٍ، كما كُنْتُ ظلَمْتُ، فلما أدَّى ثلاثةَ آلافِ دينارٍ، وقَّعَ الخليفةُ بالإفراجِ عنه.

---

(١) في الأصل:
إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فقد تؤديها غداً مع الإفلاس
وفيه خلل في الوزن لا يخفى، والتصويب من المرجع المشار إليه آنفاً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٧١)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٥٤٥ _ ٥٤٦)، عن ابن سيرين.

وقد سمعتُ من امرأة، وما أدري هل ذلك صحيحٌ أم لا، أنَّ شيخاً كان مارّاً، فجاء صبيٌّ فقال له: بَخْ؛ لِيُفْزِعَهُ، فتأخَّر، فوقع، فلما صار الصَّبيُّ شيخاً جاءه صبيٌّ، فعمل معه مثلَ ذلك، فقال: يا ربِّ! حتىٰ بخ لم تتركْها لي ؟!

وتارةً يُعَجِّلُ اللهُ العقوبةَ للظَّالمِ، كما في قضية صاحبِ السَّمَكةِ التي تقدّمَتْ، وجميعُ ما في القسم الأول.

وتارةً يؤخِّرُها إلىٰ الآخرةِ، فسبحانَ من هو قائمٌ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسبت ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤]، حَكَمٌ عَدْلٌ لا يجورُ، وإنَّما يُجازي بالعَدْلِ، وميزانُ عَدْلِهِ لا يُحَابي أحداً، بل تتجوَّزُ فيه مثاقيلُ الذَّرِّ، ومثاقيلُ الخَرْدَلِ، وكما تَدِينُ تُدَانُ، وكلُّ ما فوقَ التُّرابِ تُرابٌ.

وقال بعضُهم [من البسيط] [١]:

فجانِبِ الظُّلمَ لا تَسْلُكْ طريقته عَواقِبُ الظُّلْمِ تُخْشَىٰ وهي تُنْتَظَرُ
وكلُّ نفس ستُجْزَىٰ بالذي عَمِلَتْ وليس للخَلْقِ من دُنْياهُمُ وَزَرُ [٢]

ورُبَّما يكونُ الغَضْبُ يكفِّرُ الذُّنوبَ، قال ابنُ رَجَبٍ في كتاب «ما يُروىٰ عَنْ أهلِ المعرفةِ والحقائقِ» [٣]: والمرادُ: أنَّ مَنْ ذَهَبَ له مالٌ

---

(١) انظر: «شرح حديث لبيك» لابن رجب (ص: ١٠٩).

(٢) **الوَزَرُ**: الملجأ، وأصله: الجبل.

(٣) هو كتاب: «مختصر فيما روي عن أهل المعرفة والحقائق في معاملة الظالم السَّارق». ذكره المؤلف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «فهرست كتبه» (٣١/أ)، وكذا في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠).
وقد طبع في «مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (١٦)، (ص: ٢٦١ ـ ٢٧٤)، عن=

بسرقةٍ ونحوِها؛ فإنَّ ذهابه من جملة المصائبِ الدُّنيويَّةِ، والمصائبُ كلُّها كفَّارةٌ للذُّنوبِ، والصَّبْرُ عليها، يَحْصُلُ به للصَّابرِ الأجرُ الجزيلُ، وفي حصولِ الأجرِ لهُ بمجرَّدِ المصيبةِ، خلافٌ مشهورٌ بينَ العلماءِ.

فإذا كانتِ المصيبةُ من فعل آدميٍّ ظالمٍ؛ كالسَّارقِ والغاصبِ ونحوهما؛ فإنَّ المظلومَ يستحقُّ أن يأخذَ يومَ القيامةِ من حسناتِ الظَّالمِ؛ فإنْ لمْ تكنْ له حسناتٌ طُرِحَتْ من سيئاتِ المظلومِ عليه؛ فإنْ دعا المظلومُ علىٰ الظَّالمِ في الدُّنيَا، فقد استوفىٰ منه بدعائه بعضَ حَقِّه، فخفَّ وِزْرُ الظَّالمِ بِذلك.

فلهـٰذا أمرَ النَّبيُّ ﷺ عائشةَ في الحديثِ السابق [١]: أن تصبرَ فلا تدعو عليه؛ فإنَّ ذلك يخفِّفُ عنه.

وخرَّج الترمذيُّ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «مَنْ دعا علىٰ مَنْ ظَلَمَهُ فقدِ انتصرَ» [٢].

= نسخة مكتبة فاتح باستانبول رقم (٥٣١٨).
ثم طبع أخيراً ضمن «مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي» بتحقيق طلعت الحلواني (٢/ ٦٤١).

(١) أي: حديث الذي سرق ملحفتها ـ رضي الله عنه ـ، فدعت عليه، فقال لها النبي ﷺ: «لا تسبِّخي عنه».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٢)، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، وقال: غريب، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٥٧٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٤٥٤).
قال الترمذي في «العلل» (ص: ٣٦٦): سألت محمداً ـ يعني: البخاري ـ عن هـٰذا الحديث، فقال: لا أعلم أحداً روىٰ هـٰذا الحديث غير أبي الأحوص، ولـٰكن هو عن أبي حمزة، وضعَّف أبا حمزة جداً.
قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٢٦)، في قوله: «فقد انتصر»؛ أي: أخذ من=

وروىٰ الليثُ، عن طلحة: أنَّ رجلاً ظلمَ رجلاً، فقال: اللهمَّ إن كان ظلمني فأَشْقِهِ، فقال له مسروقٌ: قد استوفَيْتَ.

وقال مجاهد: لا تَسُبَّنَّ أحداً؛ فإن ذلك يخفِّفُ عنه، ولٰكنْ أحبَّ للهِ بقلبك، وأبغضْ لله بقلبك.

وقال سالم بن أبي الجَعْدِ: الدُّعاءُ قِصاصٌ (١).

وشكا رجلٌ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رجلاً ظَلَمَه، وجَعَل يَقَعُ فيه، فقال له عمرُ: إنَّك أن تلقىٰ الله ومظلمُتك كما هي، خيرٌ لك من أن تلقاه وقد استَقْضَيْتَها (٢).

وقال ـ أيضاً ـ: بَلَغَنِي أنَّ الرجلَ لَيَظْلِمُ المَظْلَمَةَ، فلا يزالُ المظلومُ يشتُمُ الظَّالمَ، ويَنْقُصُه حتَّىٰ يستوفي حقَّه، ويكونُ للظَّالمِ الفَضْلُ عليه (٣).

فالمسكينُ الظَّالمُ، يا وَيْحَه يَومَ العَرْضِ، يومَ لا يُمكِنُ الاستدانَةُ، كلاَّ! ولا القَرْضُ، يَوْمَ يَحرقُهُ تَحْرِيقَ الأَرْض، وقد صار علىٰ يديه يَعَض، فالدُّنيا دار فَناء، وعِبادَةٍ وعناء، فلا تجعلوها دارَ ظُلْم، ومأمناً، فكأنَّك

= عرض الظالم، فنقص من إثمه، فنقص ثواب المظلوم بحسبه، وهٰذا إخبار بأن من انتصر ولو بلسانه، فقد استوفىٰ حقه، فلا إثم عليه، ولا أجر له، فالحديث تعريض بكراهة الانتصار وندب العفو؛ بجعل أجره علىٰ الله ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[الشورىٰ: ٤٣].

(١) ذكره ابن مفلح في «المقصد الأرشد» (٣/ ١١١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٥٨٢).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٧١١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٧٧).

بالظَّالم، قد دُفِنَ في رَمْسهِ، وراح أَمْسُه، ولا ينفُعه دينارُه ولا فَلْسُه، كلا ! ولا دارُه ولا غَرْسُه، وقد طال تحتَ الأرضِ سِجْنُه وحَبْسُه، وضاق عليه قبرُهُ ورَمْسُه.

قال بعضُهم [من البسيط] [1]:

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قَدْ حَانا ... واعْصِي الهوىٰ فالهوىٰ ما زالَ فَتَّانا

أمـا تَـرَيْـنَ المَنَـايـا كيـفَ تَلْقُطُنـا ... لَقْطَـاً وتُلْحِـقُ أخْـرَانـا بـأُوْلانـا

فـي كـلِّ يـومٍ لنـا مَيْـتٌ نُشَيِّعُـه ... نـرىٰ بِمَصْـرَعِـهِ آثـارَ مَـوْتَـانـا

يـا نفسُ مـالـي ولـلأمـوالِ أتْـرُكُهـا ... خَلْفِـي وأَخْـرُجُ مـن دُنْيَـاي عُـرْيـانـا

أَبَعْـدَ خَمْسِيـنَ قـد قَضَّيْتُهـا لَعِبَـاً ... قَـدْ آنَ أَنْ تُقْصِـرِي قَـدْ آنَ قَـدْ آنَـا

مـا بـالُنَـا نَتَعَـامـىٰ عَـنْ مصـائِـرِنـا ... نَنْسَـىٰ بِغَفْلَتِنـا مَـنْ ليـسَ يَنْسَـانـا

نزدادُ حِرْصَاً وهـٰذا الدَّهْرُ يزْجُرُنا ... كـأَنَّ زاجِـرَنـا بـالحِـرْصِ أَغْـرانـا

أيـنَ المُلُـوكُ وأبنـاءُ المُلـوكِ ومَـنْ ... كـانَـتْ تَخِـرُّ لـه الأذْقَـانُ إذْعَـانَـا

صاحتْ بهمْ حادثاتُ الدَّهْرِ فانقلبوا ... مُسْتَبْـدَلِيْـنَ مـنِ الأوطـانِ أوْطَـانـا

خلَّـوْا مَـدَائِـنَ كـان العـزُّ مَفْـرِشَهـا ... واستفـرشـوا حُفَـرَاً غُبْـراً وقِيْعَـانـا

يـا راكضـاً فـي ميادينِ الهوىٰ مَرِحَـاً ... ورافِـلاً فـي ثيـاب الغِـيِّ نَشْـوَانـا

مضىٰ الزَّمانُ وولَّىٰ العُمْرُ في لَعِبٍ ... يكفيك ما قَدْ مَضَىٰ قَدْ كَانَ ما كانا

وقال غيرُه [من البسيط] [2]:

يـا رب هيِّـئْ لنـا مِـنْ أمْـرِنـا رَشَـدَا ... واجْعَـلْ مَعُـوْنَتَـكَ الحُسْنـىٰ لنـا مَـدَدَا

---

(١) ذكر هـٰذه الأبيات: ابن الجوزي في كتابه الرائق «المدهش» (ص: ١٢٢).

(٢) هو عُمارة بن أبي الحسن اليمني، (المتوفىٰ سنة: ٥٦٩ هـ)، كما في «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني (٣/ ١٤٠)، ووقع هناك: «فالنفس تعجز» بدل «فالعبد يعجز».

ولا تَكِلْنــا إلــىٰ تَــدْبِيْــرِ أَنْفُسِنَــا فـالعَبْدُ يَعْجَزُ عَـنْ إصلاحِ مـا فَسَدَا

اللهمَّ لولا أنَّك بالفضلِ تجودُ، ما كان عبدُك إلىٰ الذَّنب يعودُ، ولولا محبَّتُك للغفران، ما أمهلت من يبارزُك بالعِصْيان، وأسبلت سِتْرك علىٰ من أسْبَلَ ذَيْلَ النِّسْيان، وقابلت إساءتنا منك بالإحسان.

إلـٰهي ما أَمَرْتنا بالاستغفارِ، إلاَّ وأنْتَ تريدُ المَغْفِرَةَ، ولولا كَرَمُكَ ما أَلْهَمْتَنَا المَعْذِرَةَ، أنت المُبْتَدِي بالنَّوَال قبل السُّؤال، والمُعْطِي من الأَفْضَال فوقَ الآمالِ، ولا نرجو إلاَّ أَفْضَالَك وغُفْرانَك، ولا نطلُبُ إلاَّ إحسانَك، وإنْ عصيتُك رَجَعْتُ إليك طالباً غُفْرانك.

اللهمَّ ارحَمْنا، واعفُ عنَّا، وإلىٰ غيرِك فلا تَكِلْنا، وارزُقْنَا التَّوْبَةَ، والنَّظَرَ إلىٰ وجهِكَ الكريمِ، وإذا أردْتَ بالنَّاسِ فتنةً فاقبِضْنَا إليك غيرَ مفتونين، وأبْرِمْ لهـٰذه الأُمَّةِ أمراً رَشَدَاً تُعِزُّ فيه أولياءَك، وتُذِلُّ فيه أعداءَك، ويُؤْمَرُ فيه بالمعروفِ، ويُنْهَىٰ فيه عن المنكرِ، وأصلحْ لنا حُكَّامنا، والولاةَ علينا، وأصلحْ لنا دينَنَا الذي هو عصمةُ أمرِنا، ودنيانا التي فيها معاشُنا، وآخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ، واغفرْ لنا، ولوالِدِيْنا، ومشايِخِنا، ولمن علَّمنا، ولمن حَضَرَنا، ولمن غاب عنَّا، ولجميعِ المسلمينَ والمسلماتِ، والمؤمنينَ والمؤمناتِ، الأحياءِ والأمواتِ، إنَّك قريبٌ مُجيبُ الدَّعواتِ، وصلِّ بجلالِك علىٰ سيِّدِ المُرْسَلِيْن، وخاتَمِ النَّبيِّين، وعلىٰ جميعِ الأنبياءِ والمُرْسلين، وعلىٰ آل كلٍّ، وسائرِ الصَّالحين وسلِّم، ورَضِيَ اللهُ عن أصحابِ رسولِ اللهِ أجمعين، وارحَمِ التَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّينِ، برحمَتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين.

سبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّةِ عمَّا يصِفُون، وسلامٌ علىٰ المُرْسَلِين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

وكان فراغُه ليلةَ الأربعاء، في آخر شهر ربيع الأوَّل، سنة اثنتين وستين وثمان مئة

علىٰ يد مؤلِّفه

يوسفَ بنِ حسنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الهاديِّ

بصالحيَّة دمشق

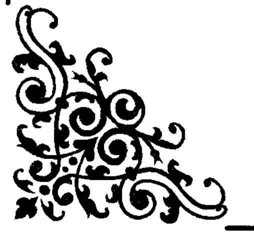
والحمد لله وحده، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبِهِ وسلَّم (١)

■ ○ ■

(١) جاء في آخر الأصل المخطوط بيد مؤلفه: «سمعه الشيخ حسن بن علي بن مفرج المرداوي، وأبو بكر بن حسن بن عبد الهادي، وأحمد بن حسن بن عبد الهادي.
وسمع بعضه: الحاج محمد بن عبد الله اللوزية، وسليمان بن دويم المرداوي».




الفهارس العلمية






فهرس الآيات القرآنية الكريمة

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الزخرف

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الفجر

سورة الإخلاص

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«اللهم إني أعوذ بك من جار السوء. . .»	أبو هريرة	٢٥٦
«اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء. . .»	أبو هريرة	٢٥٤
«اللهم إني أعوذ بك من زوال. . .»	عبد الله بن عمر	٢٥٤
«اللهم إني أعوذ بك من شر. . .»	عائشة	٢٥٤
«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع. . .»	ابن مسعود	٢٥٦
«اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين. . .»	عبد الله بن عمرو	٢٥٦
«اللهم إني أعوذ بك من الفقر. . .»	أبو هريرة	٢٥٥
«اللهم إني أعوذ بك من القسوة. . .»	أنس بن مالك	٢٥٣
«اللهم إني أعوذ بك من الكسل. . .»	عائشة	٢٥٢
«اللهم إني أعوذ بك من المغرم. . .»	أبو اليسر السلمي	٢٥٥
«اللهم إني أعوذ بك من منكرات. . .»	قطبة بن مالك	٢٥٥
«اللهم إني أعوذ بك من الهم. . .»	أنس بن مالك	٢٥١
«اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء. . .»	عقبة بن عامر	٢٥٧
«اللهم إني أسألك بحق السائلين. . .»	أبو سعيد الخدري	٢٤٩
«اللهم إني أسألك حبك. . .»	أبو الدرداء	١٤٧
«اللهم إني أسألك حبك. . .»	ثوبان	٥٤
«اللهم إني أسألك خيرها. . .»	عائشة	٢٤٠
«اللهم إني أسألك خيرها. . .»	عبد الله بن عمرو	٢٣٢
«اللهم إني أسألك في سفرنا. . .»	عبد الله بن عمر	٢٣٧
«اللهم إني أسألك من الخير. . .»	أبو أمامة	٢٥٥
«اللهم إني أسألك من فضلك. . .»	أبو هريرة	٢٣١
«اللهم إني أستخيرك بعلمك. . .»	جابر بن عبد الله	٢٢٧
«اللهم اهدنا فيمن هديت. . .»	الحسن بن علي	٢٤٢
«اللهم بارك لنا في ثمرنا. . .»	أبو هريرة	٢٢٩
«اللهم بعلمك الغيب. . .»	عمار بن ياسر	٥٦

حـرف البـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

حـرف الحـاء

حـرف الخـاء

حـرف الـدال

حـرف الـراء

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«فقال: آمين...»	مالك بن الحويرث	٧٨

حرف القاف

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«قل حين تصبح: لبيك اللهم...»	زيد بن ثابت	٥٥

حرف الكاف

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه...»	عمر بن الخطاب	٨٨
«كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحد...»	أبي بن كعب	٢٠٠
«كان ﷺ إذا دعا...»	خلاد بن السائب	٨٧
«كان ﷺ يرفع يديه حتىٰ يرىٰ...»	أنس بن مالك	٨٤
«كل أمر ذي بال...»	أبو هريرة	٢٠١
«كل المسلم علىٰ المسلم حرام...»	-	٢٨٥
«كل نبي سأل سؤالاً...»	أنس بن مالك	١٧٨
«كيف يسمع دعاءنا ربنا...»	ابن عباس	٣٣

حرف اللام

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«لا إلـٰه إلاَّ الله العظيم الحليم...»	ابن عباس	٢٢٧
«لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له...»	المغيرة بن شعبة	٢٢٦
«لا بأس، طهور...»	ابن عباس	١٦٩
«لا تتهم فيما قضاه لك...»	عبادة بن الصامت	١٦٤
«لا تزول قدم ابن آدم...»	ابن مسعود	٢٦٢
«لا تسبخي عليه...»	عائشة	٢٧٩
«لا تسبخي عنه...»	عائشة	٢٧٩، ٢٩٢
«لا تعجزوا عن الدعاء...»	أنس بن مالك	٥٠
«لا تقولوا هـٰكذا...»	أبو هريرة	٢٧٦

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

■ ○ ■



فهرس الآثار والأقوال

طرف الأثر	القائل	الصفحة
إن الله يحب أن يدعىٰ	عائشة	٩٢
إن لم يكن حزنك	-	٢٧٤
إن ولياً من أوليائي حضره	وهب بن منبه	١٧٢
أنا لا أترك باباً مفتوحاً	أبو الحسن بن غرسة	١٠٥
أنا محبوس عن الجنة	حسان بن أبي سنان	٢٦٧
أنت المعاتب لمالك	-	١٦٨
أنزل ذلك في الدعاء	عائشة	٢٠٣
آنس الله وحشتكم	بشر بن منصور	١٢٥
إنك أن تلقىٰ الله ومظلمتك	عمر بن عبد العزيز	٢٩٣
إنكم تخرجون إلىٰ الصعيد بأبدان	مالك بن دينار	١٩٢
إنكم تدعون أفضل الدعاء	عبد الله بن الزبير	٩٢
إنما أبكي علىٰ حر النهار	عامر بن عبد الله بن الزبير	١١٥
إني لأرحمه	أيوب السختياني	٢٨١
إني لأستحي من الله أن أسأله	-	٢١٦
إني لأستحيي من الله	بنت أم حسان الأسدية	٩٩
إنه لا إلـٰه إلاَّ هو الحي القيوم	ابن الجوزي	١٨٢
إنه لتمر بي أوقات	بعض العارفين	١١٨
أهل الليل في ليلهم	أبو سليمان الداراني	١١٨
أوحي إلىٰ نبي من الأنبياء	سعيد بن سنان الحمصي	١٤٤
أوصتني والدتي عند موتها	شبيب بن شيبة	١٢٣
إياك أن تطلب حوائجك	طاوس	٦٧، ١٠٤
أيحسن بالحر المريد	أبو عبد الله النباجي	١٠٠
أي ساعة	عطاء	٣٤
أيها الصادقون تنعموا	مالك بن دينار	١١٨
أين الله ؟	الحسن البصري	٣٤

حرف الميم

حرف الياء

■ ○ ■

فهرس الأشعار والأرجاز

حرف التاء

حرف الدال

صدره	قافيته	بحره	قائله	موضع وروده
يا نفس توبي	فتانا	البسيط	-	٢٩٤
أما ترين المنايا	بأولانا	البسيط	-	٢٩٤
في كل يوم لنا	موتانا	البسيط	-	٢٩٤
يا نفس مالي	عريانا	البسيط	-	٢٩٤
أبعد خمسين	آنا	البسيط	-	٢٩٤
ما بالنا نتعامىٰ	ينسانا	البسيط	-	٢٩٤
نزداد حرصاً	أغرانا	البسيط	-	٢٩٤
أين الملوك	إذعانا	البسيط	-	٢٩٤
صاحت بهم	أوطانا	البسيط	-	٢٩٤
خلوا مدائن	وقيعانا	البسيط	-	٢٩٤
يا راكضاً في ميادين	نشوانا	البسيط	-	٢٩٤
مضىٰ الزمان	ما كانا	البسيط	-	٢٩٤

حرف الهاء

صدره	قافيته	بحره	قائله	موضع وروده
لا تجلسنَّ بباب من	داره	مجزوء الكامل المرفل	ابن قدامة	١٠٥
وتقول حاجاتي	أداره	مجزوء الكامل المرفل	ابن قدامة	١٠٥
اتركه واقصد	كاره	مجزوء الكامل المرفل	ابن قدامة	١٠٥
أهين لهم نفسي	تهينها	الطويل	الإمام الشافعي	١٥٥

حرف الياء

صدره	قافيته	بحره	قائله	موضع وروده
وليس لي في سواك	فامتحني	المنسرح	-	١٦٣

■ ○ ■

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة

حـرف البـاء

حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

حـرف الحـاء

اسم العلم	رقم الصفحة

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

اسم العلم	رقم الصفحة

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

■ ○ ■

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

■ ○ ■